الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي " العربي بن مهيدي " أم البواقي

معهد الآداب و اللغات — قسم اللغة العربية و آدابها

" الموشح "
في مآخذ العلماء على الشعراء
لأبي عبيد الله المرزباني

دراسة تصنيفية موضوعاتية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي القديم

إعداد الطالب :
عمار قرايري

إشراف الأستاذ الدكتور :
عمار ويس

لجنة المناقشة :

أ. د / ..... جامعة ..... رئيسا

أ. د / عمار ويس — جامعة منتوري – قسنطينة — مشرفا و مقررا

أ. د / ..... جامعة ..... عضوا مناقشا

أ. د / ..... جامعة ..... عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2006 – 2007 م

012/A173

22

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي " العربي بن مهيدي " أم البواقي

معهد الآداب و اللغات — قسم اللغة العربية و آدابها

المكتبة المركزية

" الموشح "

في مآخذ العلماء على الشعراء

لأبي عبيد الله المرزباني

دراسة تصنيفية موضوعاتية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي القديم

إعداد الطالب :

عمار قرايري

إشراف الأستاذ الدكتور :

عمار ويس

لجنة المناقشة :

أ. د / ..... جامعة ..... رئيسا

أ. د / عمار ويس جامعة منتوري – قسنطينة مشرفا و مقررا

أ. د / ..... جامعة ..... عضوا مناقشا

أ. د / ..... جامعة ..... عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2006 – 2007 م

إهداء

- إلى روح والدتي، تغمدها الله بواسع رحمته.
- إلى والدي الكريم، متعه الله بالصحة و العافية.
- إلى زوجتي و أبنائي.
- إلى كل من علمني حرفا.
- إلى كل من أحبني بصدق.

أهدي هذا الجهد المتواضع

مقدمة

مقدّمة

علاقتي بكتاب "**الموشّح**" في مآخذ العلماء على الشعراء قديمة جديدة فعنوان الكتاب لم يكن غريبا عليّ كل الغرابة ذلك أني قرأت بعض الأخبار التي أوردها **المرزباني** في موشحه التي نقلتها عنه الكتب المهتمة بالشعر و نقده و تاريخ الأدب بصفة عامة، ولكنّني لم أكن أعرف الكتاب حقّ المعرفة و لا الكاتب إلاّ حينما كلفت بإعداد بحث التخرّج، فكنت أبحث عن عمل أدبي قد يم أجعله موضوعا لبحثي، و من جملة كتب كثيرة نظرت فيها كتاب **الموشّح** فتصفحته فاستهوتني مادته وأخافتني في الوقت نفسه لغزارة المادة و سعة حجم الكتاب و لعموم مادته، إذ هو في النقد العام للشعر الذي يصعب ضبطه و ربما يجد الباحث فيه نفسه غارقا في بحر من المعارف و المواقف و الموضوعات الشائكة التي يصعب الخروج منها.

و من محاسن الصّدف أن التقيت بأستاذي المشرف على رسالتي هذه، و تناقشنا في الأمر فأرشدني إلى أهمية تناول هذا الكتاب و خاصة من الوجهة **التصنيفية الموضوعاتية**، و هكذا رسا قاربي على هذا الموضوع و بدأت أخطّط لمباشرة عملي فيه.

و رغم أنني لم أعثر على دراسة سابقة لكتاب **الموشّح** في مآخذ العلماء على الشعراء – رغم جهد البحث – و هو الرّأي الذي شاطرني فيه من سألتهم عنه ممن توسّمت فيهم الخبرة و حسن الإطلاع من أهل الاختصاص و خاصة هذه الزاوية من البحث التي خصّصتها لعملي، و التي تتضمن الدّراسة التصنيفية الموضوعاتية.

و على هذا الأساس كانت العزيمة تحد وني لتحقيق مجموعة أهداف و هي :

أ- التعريف بأبي عبيد الله **المرزباني** الذي وجدت أنّ بعض أهل العلم و الثقافة لا يعرفون عنه إلاّ القليل، و خاصة أنّ المؤلف يقع بعيدا عن الأضواء حتىّ من قِبل البعض من كتاب تاريخ النقد العربي القديم، الذين أهملوا ذكره رغم إسهاماته الكثيرة في جلّ معارف عصره على اختلافها فهو موسوعة بمعنى الكلمة.

ب- التعريف بكتابه **الموشّح** الذي يلجأ إليه أغلب الدارسين و الباحثين و المؤرخين للأدب لأخذ ما لم يجدوه في كتب أخرى من روايات و أخبار متنوعة و إن وجد بعضها فهو متناثر هنا و هناك.

ج- التعريف بموضوعاته الكثيرة و تصنيف ملاحظاته النقدية، التي تتناثر بين صفحات الكتاب، و تدعيم كل ذلك بالأمثلة و التطبيق بطريقة يسهل على القارئ أو الباحث الرجوع إليها.

د- محاولة الإسهام بهذا الجهد المتواضع في إنارة بعض الجوانب الخفية من هذا الكتاب و مضمونه خدمة لتراثنا العربي الإسلامي و لو بالشيء القليل.

و وجدت أنّ أنسب المناهج لهذا البحث، **المنهج التاريخي و المنهج الموضوعاتي** مع الاستفادة من المناهج الأخرى كلّما دعت الضرورة إلى ذلك.

و من هذا المنطلق وضعت خطة للبحث قسمتها إلى مد خل و ثلاثة فصول :

أما **المدخل** فقسّمته إلى قسمين بارزين أولهما : التعريف بصاحب الكتاب أبي عبيد الله **المرزباني** و ثقافته و مصادر تعلّمه و آثاره و فضله و ثانيهما : رسم صورة و لو مقتضبة للحياتين الأدبية و النقدية في عصره للتعرّف على موقع الكاتب منهما و مدى تأثره و تأثيره فيهما، إضافة إلى إسهاماته الأدبية و العلمية.

أما **الفصل الأول** فأردته أن يكون التفاتة إلى أهم الجهود النقدية السابقة لكتاب **الموشّح** من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي في طوره الثاني حتى يمكن التعرّف على ما قدّمه الكاتب من جهد و ما أضافه من لبنات في مجال نقد الشعر و قسمت هذا الفصل إلى مرحلتين : **الأولى** : خصّصتها للنقد قبل مرحلة التأليف أي من العصر الجاهلي مرورا بالإسلامي إلى عصر بني أمية و **الثانية** : تناولت فيها أهم التآليف النقدية في العصر العباسي.

أما **الفصل الثاني** فخصصته للتعريف بالكتاب من جوانب مختلفة : تسميته، نُسَخه، مصادره، سبب و طريقة تأليفه، منزعه، موضوعاته و مستويات النقد فيه.

و ختمت بحثي بفصل ثالث صنفت فيه الملاحظات النقدية الواردة في كتاب **الموشّح** و قسّمتها إلى مجموعة من المسائل بحسب نوع الملاحظة النقدية و صنفها إما نقدية أو بلاغية أو عروضية أو نحوية أو لغوية مع تدعيم كل مسألة أو ملاحظة بمثال من الشعر الوارد في **الموشّح** التزاما بالجانب التطبيقي الذي يوضّح الفكرة أحسن توضيح.

و إذا كان لا بدّ من الإشارة إلى الصّعوبات التي اعترضت سير بحثي، فإنّ أبرزها تمثل في ندرة المصادر و المراجع التي تحدثت عن كتاب **الموشّح**، و صعوبة الحصول عليها، فأغلب ما تحصّلت عليه من مصادر و مراجع يحوي نُتَفًا قليلة تعرّف بالمؤلّف و علمه، بل إن أغلبها ينقل المعلومات نفسها و لا يزيد، و من ثَمّ كانت الإحاطة بحياة **المرزُباني** شاقّة بل غير ممكنة، لتبقى بعض الجوانب من حياته مظلمة، و هي بحاجة إلى بحث و استقصاء، و حتى الكتب التي تتناول النقد القديم و تاريخه، التي عثرت عليها لا تقف عند " **الموشّح** " طويلا، إن لم أقل أن بعض هذه الكتب تجاهلته تماما، رغم تخصّص بعضها في التأريخ للنقد في عصره، و من هنا كان سبيلي في البحث الاستفادة من القليل الممكن و اتباعه

بالاستنتاج المرفوق بالقرائن. و كادت هذه الصعوبة أن تعجزني لو لا استعانتي بالصّبر و طول النّفس و حسن الرّجاء.

و لا يسعني في ختام هذا البحث المتواضع، إلاّ أن أبدي امتناني و جزيل الشكر للمركز الجامعي العربي بن مهيدي بأم البواقي لما لقيناه فيه من حسن وفادة و اهتمام وأخصّ بالذّكر قسم اللغة العربية و آدابها، الذي جمع بين الجدّية في العمل و حُسن التنظيم و الحرص على إفادتنا و توجيهنا. كما لا يفوتني أن أشكر كلّ من ساعد ني من بعيد أو من قريب من الأساتذة و الأصدقاء و الزملاء، الذين لم يبخلوا عليّ بالنّصح و التشجيع، و أخصّ بالذّكر أستاذي الفاضل الأستاذ الدّكتور " الرّبعي ابن سلامة" الذي فتح لي باب الإعانة و التّوجيه دونما حدود.

كما يسعدني كثيراً أن أتوجّه بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل المشرف الأستاذ الدكتور "عمّار ويس" الذي شرّفني بقبوله الإشراف على هذا البحث، و وجدت فيه نعم المرشد و المعين و المشجّع، إذ كنت آتيه في تعب و قلق و أغادره و أنا في قمّة العزم و الحزم و الارتياح، و ما كان لي أن أنهي عملي على هذه الصورة لو لا توجيهاته المستمرّة و متابعته لخطوات عملي. فله منيّ جميل التقدير و العرفان.

و أرجو أن أكون بهذا البحث الذي أنفقتُ فيه من الجهد و الوقت الكثير، قد حققت – من خلاله – بعض النفح لتاريخ أدبنا العربي و فنونه و خاصة نقد الشّعر منه، و أعتَذر مسبقا عما يكون قد شاب هذا العمل من نقائص و حسبي أنّني لم أدّخر جُهدا، و اللّه أسأل التوفيق و السّداد.

المدخل

أولا : ترجمة المؤلف

ثانيا : لمحة عن الحياة الأدبية و النشاط النقدي في عصره

أولا : ترجمة المؤلف

1- من هو المرزباني :

هو " أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبد الله، أصله من خراسان... ومولده في جمادي الآخرة سنة سبع و تسعين و مائتين، و يحيا إلى وقتنا هذا و هو سنة سبع و سبعين و ثلاثمائة و نسأل الله له العافية و البقاء بمنه وكرمه" [1].

إن ما يدعو إلى الاستئناس بهذا التعريف، كونه صادرا عن مصدر موثوق به، أعني "الفهرست"، و مؤلفه " ابن النديم "، عاصر المؤلف و الكاتب **المرزباني**، و يبدو أنه كان يكنّ له التقدير و الاحترام وشاهدنا على ذلك دعاؤه له بالعافية و البقاء و مَنِّ الله وكرمه.

و يكنّيه بعضهم أبا عبيد الله، كابن خلّكان في " وفيات الأعيان"، و حدد أصله ومكان ولادته بقوله : " أبو عبيد الله محمد بن عمران... الكاتب **المرزباني** الخراساني الأصل البغدادي المولد" [2]. و بعضهم يجمع بين الصيغتين : أبي عبد الله، و أبي عبيد الله، كالخطيب البغدادي في " تاريخ بغداد" [3].

(1) ابن النديم، محمد بن إسحاق. الفهرست. ط 1. تحقيق : ناهد عباس عثمان. الدوحة : دار قطري بن الفجاءة. 1985م. ص 256.

(2) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد. وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان. تحقيق : إحسان عباس. بيروت : دار صادر. 1978م. م 4، ص 354.

(3) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب. تاريخ بغداد. ط 1. تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا. بيروت : دار الكتب العلمية. 1997م. ج 3، ص 352.

بالعربية حافظ الحد" [1].

و لا تختلف المصادر في تسميته ونسبه إلا في هذه الكنية، و يدعى **بالمرزباني** " و **المرزباني** : بفتح الميم و سكون الراء، و ضم الزاي و فتح الباء الموحدة و بعد الألف نون. هذه النسبة إلى بعض أجداده، و كان اسمه المرزبان، و هذا الاسم لا يطلق عند العجم إلا على الرجل المقدم العظيم القدر، و تفسير معنى "مرزبان" أنه يعني "ساترب" و هو " حاكم الولاية من ولايات الإمبراطورية الفارسية القديمة ..." [2].

أما بالنسبة لتاريخ ولادته فتتفق أغلب المصادر على أنه ولد سنة سبع و تسعين و مائتين، في جمادى الآخرة، غير أن صاحب " اللباب في تهذيب الأنساب" قد قال أنه : " ولد سنة ست و تسعين و مائتين" [3]، و هو ما ذهب إليه صاحب " إنباه الرواة على أنباه النحاة" حين قال: " و كان مولده في سنة ست و تسعين و مائتين" [4]، و لم يتسن لابن خلكان التأكد من سنة ميلاده، فذكر تاريخين و قال: " و كانت ولادة **المرزباني** المذكور في جمادى الآخرة، سنة سبع و تسعين و مائتين، و قيل سنة ست وتسعين" [5]، فهو هنا يميل إلى سنة سبع و تسعين و مائتين، و هي السنة التي يرجحها أغلب المؤرخين لميلاد **المرزباني**.

لقد كانت أخبار نشأة أبي عبيد الله **المرزباني**، شحيحة، فلم تجُد المصادر إلا بنتف يسيرة من حياته، رغم أنه كان من بيت رياسة و مجد : فقد كـــان أبـــــوه

(1) ابن خلكان. المصدر السابق. م 4، ص 356.

(2) غربال، محمد شفيق. الموسوعة العربية الميسرة (صورة طبق الأصل من طبعة 1965م). بيروت : دار إحياء التراث العربي. م 1، ص 941.

(3) الجزري، عز الدين ابن الأثير. اللباب في تهذيب الأنساب. بيروت : دار صادر. 1980م. ج 3، ص 195.

(4) القفطي، جمال الدين. انباه الرواة على أنباه النحاة، ط 1. تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة : دار الفكر العربي و مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت. 1986م. ج 3، ص 182.

(5) ابن خلكان. المصدر السابق. م 4، ص 355.

– عمران بن موسى بن سعيد – " نائب صاحب خراسان بالباب ببغداد" [1]، "و كان أبـــوه خليفـــة لوالي خراسان في دار الخلافة" [2].

2- نـــشأته :

من خلال هذه الإشارات القليلة جدا عن والده، نعرف أنه تربى في أسرة لها من المكانة الاجتماعية ما مكّنه من التفرغ للعلم و طلبه في يسر، إضافة إلى ما كانت عليه أسرته من مال و جاه، و بغداد آنذاك كانت حاضرة العلم و الأدب و الثقافة بصفة عامة، و مقصد العلماء و طلبة العلم من كل حدب و صوب.

و قد كان لحياة الترف البغدادي، أثرها في حياة **المرزباني**، فقد كان إلى جانب طلب العلم، عاشقا للخمرة، و لكنها لم تكن تلهيه و لا تذهب عقله، و لا فضله، و استمر في طلبها حتى وهو كبير، حسب ما يقوله الرواة.

3- مكانتـه وفضلـه :

وصفه صاحب كتاب "وفيات الأعيان" بأنه "صاحب التصانيف المشهورة، و المجاميع الغريبة، كان راوية للأدب صاحب أخبار، و تواليفه كثيرة، و كان ثقة في الحديث و مائلا إلى التشيّع في المذهب" [3]، و كان في حياته العقلية يؤثر مذهب المعتزلة، و" جزم الذهبي في العبر أنه كان معتزليا" [4]، و " قد صنف في أخبارهم كتابا كبيرا، و كان المعتزلة في تلك الأيام يقـــودون الحركـــة الفكريـــة و الأدبيـــة

(1) مبارك، زكي. النثر الفني في القرن الرابع. بيروت : دار الجيل. د–ت. ج 2، ص 146.

(2) بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. ط 3. ترجمة عبد الحليم النجار. القاهرة : دار المعارف. 1974م. ج 2، ص 243.

(3) ابن خلكان. المصدر السابق. م 4، ص 354.

(4) الحنبلي، ابن العمان. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي، بيروت : دار الأفاق الجديدة. ص 111.

في الأقطار الإسلامية، و قد أخذ عليه سامحه الله شيء من التسامح في رواية الحديث" [1].

و تضاربت الروايات عن قضية الثقة في الحديث، فأغلبهم يصفه بالثقة و منهم أحمد بن محمد العتيقي الذي قال: " و كان مذهبه التشيع و الاعتزال، و كان ثقة في الحديث" [2].

بينما يخبرنا أبو القاسم الأزهري عن **المرزباني** و بعض توجهاته و صفاته فيقول: " كان أبو عبيد الله معتزليا، و صنف كتابا جمع فيه أخبار المعتزلة، و لم أسمع منه شيئا، لكن أخذت لي إجازته بجمع حديثه، و ما كان ثقة "[3].

و كان **المرزباني** يجمع الكثير من صفات الفضل في العلم و الأدب و الأخلاق، و لم يكن يؤخذ عليه من الهفوات إلا إدمان الشراب، كما تشير إلى ذلك مصادر كثيرة، و كان من عادته في ذلك أن يضع بين يديه زجاجة حبر و زجاجة خمر، فلا يزال يشرب و يكتب و هو مقسم الفكر و الإحساس بين الواقع والخيال، و قد شعر رحمه الله يخطر ذلك على عقله و صحته، وظهر تململه حين سأله عضد الدولة مرة عن حاله، فأجابه : " كيف حال من هو بين قارورتين؟ يعني المحبرة و قدح النبيذ "[4].

و هذه الإجابة تنبئ عن شعور بالذنب و الندم و الأسف، و لم تخبرنا الروايات عن حاله مع الخمرة في أخريات حياته، هل تاب منها أم أن له معها خبرا آخر.

---

(1) مبارك، زكي. المرجع السابق. ج 2، ص ص 146، 147.

(2) البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. المصدر السابق. ج 3، ص 353.

(3) (4) المصدر نفسه. ج 3، ص 352.

و مما اعتبره الرواة عيبا في كاتبنا أبي عبيد الله **المرزباني**، عدم تحديده لأصحاب الإجازات، و لذلك اتهمه بعضهم بالكذب، فقد روى أبو القاسم الأزهري فقال: " كان أبو عبيد الله بن الكاتب يذكر أبا عبيد الله **المرزباني** ذكرا قبيحا و يقول: أشرفت منه على أمر عرفت به أنه كذاب، قلت : ليس حال أبي عبيد الله عندنا الكذب و أكثر ما عيب به المذهب، و روايته عن إجازات الشيوخ له من غير تبيين الإجازة، فالله أعلم" [1].

وقد تكون هذه العيوب المنسوبة إلى أبي عبد الله **المرزباني** من باب التحامل من بعض المغرضين على الرجل ليس إلاّ، " كأبي حيان التوحيدي الذي كان يقارنه بابن شاذان و ابن الحلاّل، ممن كان لهم جمع و رواية وليس لهم فيما جمعوه نقط و لا إعجام و لا إسراج و لا إلجام" [2].

و مما يضفي عليه مكانة مرموقة و هيبة و تقديرا، ما وردنا من أخبار الثقات و العلماء و الأدباء عن **المرزباني**، بل حتى من الخليفة البويهي عضد الدولة، الذي كان لا يرضى أن يجتاز داره دون تحيته و سؤاله عن حاله، و في هذا حدث ابن أيوب " قال: دخلت يوما على أبي علي الفارسي النحوي، فقال: من أين أقبلت؟ قلت من عند أبي عبيد الله **المرزباني**، فقال: أبو عبيد الله من محاسن الدنيا" [3]، هذه شهادة عالم جليل و هو أبو علي الفارسي المعروف، على عظم شأن **المرزباني**، و في شأن تصانيفه قال علي بن أيوب القمّي: " يقال إن أبا عبيد الله أحسن تصنيفا من الجاحظ" [4].

(1) البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. المصدر السابق. ج 3، ص 352.

(2) مبارك، زكي. المرجع السابق. ج 2، ص 147.

(3) (4) البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. المصدر السابق. ج 3، ص 352.

أما شهادة تقدير الخلفاء فتبدو فيما رواه أبو علي بن أيوب حين قال : " و كان عضد الدولة يجتاز على بابه، فيقف ببابه حتى يخرج إليه أبو عبيد الله فيسلم عليه و يسأله عن حاله" [1]، و يروي لنا القفطي أن : " عضد الدولة فناخسرو ابن بويه كان على كبره و تعظمه يجتاز بباب أبي عبيد الله، فيقف بالباب حتى يخرج إليه أبو عبيد الله، فيسلم عليه، و يسأله عن حاله" [2].

فوقوف الخليفة بباب **المرزباني** أبلغ دليل على مكانة الرجل و فضله، بل يقال إنه " خلع عليه عضد الدولة مرارا خلع الإجلال و الإكرام" [3]، و كان من عادة الشعراء و الأدباء عموما و العلماء أن يقفوا على أبواب الحكام لا أن يحدث العكس كما حدث مع **المرزباني** و عضد الدولة.

ولم يرو أن أبا عبيد الله **المرزباني** قصد مكانا لطلب العلم فيه أو للتعليم فيه، بل كانت داره مكان تعلم و تعليم، إذ كان يقصده شيوخه و أساتذته فيأخذ عنهم، و يقصده تلامذته للأخذ عنه، فكانت داره ملتقى المعلمين و المتعلمين على حد سواء، و يؤكد القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي الصّيمري هذا الزعم بقوله : " و أكثر أهل الأدب الذين روى عنهم سمع منهم في داره" [4].

و كان شيوخه و تلاميذه يقصدونه من أماكن بعيدة، فلا يرضى لهم المشقة، و كان **المرزباني** رجلا غنيا مضيافا، يعِدّ لهم جميعا المقام الطيب، و الإكرام اللائق في داره، و قد ذكر القاضي الصّيمري ما سمعه عن **المرزباني** فقال : "سمعت أبا عبيد الله **المرزباني** يقول: كان في داري خمسون، ما بين لحاف و دُواج معدة لأهل العلم الذين يبيتون عندي" [5].

---

(1) البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. المصدر السابق. ج 3، ص 352.

(2) القفطي، جمال الدين. المصدر السابق. ج 3، ص 181.

(3) بروكلمان، كارل. المرجع السابق. ج 2، ص 243.

(4) (5) البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. المصدر السابق. ج 3، ص 352.

فاهتمامه براحة طلبة العلم يدل على تقديره لهم و للعلم نفسه و ربما كانت الجلسات العلمية و الأدبية تطول و تطول حتى يستعصي على أهل العلم مغادرة بيت **المرزباني**، فيحددون فيه مقامهم و ما يلزمهم من حاجيات كالأكل و الفراش، كما يدل هذا الصنيع من الرجل على نفس كريمة، تُقري الضيف، و تؤويه، وخاصة إذا كان ممن يحملون راية العلم و المعرفة، ممن عاصروه.

و تكاد تجمع المصادر التي عدت إليها، على أن **المرزباني** من كبار المعتزلة، ذكي، راوية، مكثر، مصنف جميل التصانيف، كثير المشايخ، ممتع المحاضرة و المذاكرة، مقدم عند أهل العلم، كما وصفه ابن العماد الحنبلي " بالعلامة و صاحب التصانيف المشهورة و المجاميع الغريبة" [1]، و قال عنه صاحب " اللباب في تهذيب الأنساب" ابن الأثير الجزري أنه " صاحب أخبار و رواية للآداب و له تصانيف كثيرة حسنة، و كان ثقة في الحديث" [2].

و هكذا نرى أن **المرزباني** قد أحاطت به هالة من المدح و التقدير و العرفان لقيمته الأخلاقية و جهوده العلمية و الأدبية، وتنوع الأذواق، فهو رجل واسع الوجود في ضروب كثيرة من مناحي الحياة الخاصة و العامة، و يمثل روح العصر الذي عاش فيه، بما فيه من نهضة علمية و أدبية و فنية.

4- شيوخه و تلاميذه :

إن أديبا و ناقدا و راوية و كاتبا **كالمرزباني** جعل داره ملتقى لأهل العلم و الأدب، يدرُسون و يدرِّسون ثم يبيتون في داره، لأبلغ دليل على أن الكاتب أخذ العلم و الأدب على أيد كثيرة، و قد يصعب تحديد عدد شيوخه الذين أخذ عنهم، و لكن مصادر الأدب تخبرنا عن طائفة منهم، فقد "حدث عن أبي القاسم البغوي،

(1) الحنبلي، بن العماد. المصدر السابق. ج 3، ص 111.

(2) الجزري، بن الأثير. المصدر السابق. ج 3، ص 195.

و أبي حامد محمد بن هارون الحضرموتي، و أحمد بن سليمان الطوسي، و أبي بكر ابن دريد، و أبي عبد الله نقطويه، و أبي بكر بن الأنباري و من في طبقتهم و بعدهم" [1].

و قد اكتفى الأستاذ المحقق "علي محمد البجاوي" بما ورد في تاريخ بغداد من شيوخ ولم يزد من مصادر أخرى، و لعل ذلك يعود إلى كثرة هؤلاء الشيوخ مما يجعل حصرهم في عدد معين، يعد ضربا من الخيال، و تجد هذه الأسماء تتكرر في أكثر من مصدر مع بعض الزيادة و النقصان، فقد ذكر صاحب وفيات الأعيان، اسم " أبي بكر بن أبي داود السجستاني" و كل المصادر تتبع ما تذكره من أسماء بكلمة "و غيرهم" أو " و آخرين" [2] ... دليل على كثرتهم.

و صاحب كتاب "الفهرست" يقول عنه أنه " كثير السماع" [3]، و هذا دليل آخر على كثرة شيوخه و تنوعهم أيضا، كتنوع موضوعات كتابه **الموشح**.

و أما صاحب كتاب " إنباه الرواة على أنباه النحاة " فقد وصف **المرزباني** بأنه : " فاضل كامل ذكي راوية مكثر، مصنف جميل التصانيف، كثير المشايخ، ممتع المحاضرة و المذاكرة، مقدم في الدول و عند أهل العلم"[4]، و لم يحدد القفطي أسماء بعينها لمشايخه.

أما من روى عن **المرزباني** فهم كثر أيضا شأنهم شأن شيوخه، و لكن مصادر الأدب اكتفت بذكر بعضهم و أكملت ذلك بكلمة "وغيرهم" و نذكر من أخبرنا عنهم الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" إذ يقول : " حدثنا عنه القاضيان

(1) البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. المصدر السابق. ج 3، ص 352.
(2) ابن خلكان. المصدر السابق. م 4، ص 354.
(3) ابن النديم. المصدر السابق. ص 256
(4) القفطي، جمال الدين. المصدر السابق. ج 3، ص 180.

أبو عبد الله الصّيمري، و أبو القاسم التّنوخي، و علي بن أيوب القميّ، و الحسن بن علي الجوهري، و محمد بن المظفر الدّقّاق، و غيرهم" [1].

فكيف يمكن ضبط قائمة من أخذ عنه العلم و الأدب، و هو من جعل داره مجلسا و ناديا لتداول العلم و الأدب، و تلاقح الأفكار، و تبادل الروايات و الأخبار لعشرات السنين؟.

5- كـــتبه :

قد يكون من المستحسن قبل سرد قائمة ما ألفه **المرزباني** من كتب متنوعة أن نذكر ما أورده صاحب " تاريخ بغداد " من أن ابن أيّوب قال : " وسمعت أبا عبيد الله يقول: سوّدت عشرة آلاف ورقة، فصحّ لي منها مبيضا ثلاثة آلاف ورقة" [2].

فهذا القول شهادة على اهتمام **المرزباني** بالتأليف و الكتابة، و الإكثار منها، و التنويع في موضوعاتها، أتى على وصفها ابن النديم في الفهرست و ياقوت في معجم الأدباء.

و قد ذكر محقق كتاب **الموشح** علي محمد البجاوي عددا من هذه المؤلفات نقلا عن كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، و ذلك في تقديمه لكتاب **الموشح**.

ولكنني آثرت أن أشير إلى مؤلفات **المرزباني** التي سجلها ابن النديم في "الفهرست" [3]، لكثرتها و شموليتها و إحاطتها بما ذكرته المصادر الأخرى من كتب نسبت **للمرزباني**، و خاصة أن ابن النديم مفتون بأبي عبيد الله **المرزباني**، "وابن النديم حُجّة في تقدير المصنفين و الكتاب و الإخباريين" [4]، و هذه الكتب هـــي : "

(1) (2) البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. المصدر السابق. ج 3، ص 352.

(3) ابن النديم. المصدر السابق. ص ص 256، 259.

(4) عامر، فخر الدين. مصادر التراث في كتب التراجم الأدبية. ط 2. القاهرة : عالم الكتب. 2000م. ص 245.

1- كتاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت و أصحابه، نحو خمسمائة ورقة.
2- كتاب الأنوار والثمار، فيه بعض ما قيل في الورد و النرجس و جميع الأنوار، من الأشعار وما جاء فيها من الآثار و الأخبار، ثم ذكر الثمار و ذكر النحل و جميع الفواكه و ما جاء فيها من مستحسن النظم و النثر، و هو نحو من خمسمائة ورقة.
3- كتاب أخبار أبي تمام مفرد، نحو مائة ورقة.
4- كتاب أخبار أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة، نحو مائة ورقة.
5- كتاب أخبار أبي عبد الله محمد بن حمزة العلوي، نحو مائة ورقة.
6- كتاب أخبار الأولاد و الزوجات و الأهل و ما جاء فيهم من مدح و ذم، نحو مائتي ورقة.
7- كتاب أخبار البرامكة، فيه ابتداء أمرهم مشروحا إلى انقضاء دولتهم و انتهاء شأنهم، نحو من خمسمائة ورقة.
8- كتاب أخبار شعبة بن الحجاج، نحو مائة ورقة.
9- كتاب أخبار عبد الصمد بن المعذل، نحو مائتي ورقة.
10- كتاب أخبار المتحضرين، نحو مائة ورقة.
11- كتاب أخبار ملوك كندة، نحو مائتي ورقة.
12- كتاب أخبار من تمثل بالأشعار، أكثر من مائة ورقة.
13- كتاب الأزمنة، فيه أحوال الفصول الأربعة الصيف و الشتاء و الاعتدالين، و وصف الحر و البرد و الغيوم و البرق و الرياح و الأمطار و الرواء و الاستسقاء، وغير ذلك مما يدخل في جملتها من أوصاف الربيع و الخريف، ثم يذكر طرفا من أمر الفلك و البروج و الشمس والقمر و منازله، و نعوت العرب له و أَشْجَاعِها، و يذكر النجوم السيارة و الثابتة و أحوال الليل و النهار و أيام العرب و العجم و الشهور و السنين و الأعوام و الدهر و ما جاء في كل باب من أبواب هذا الكتاب من اللغة و الأخبار و الأشعار مشروحا، نحو ألفي ورقة.

14-كتاب أشعار الخلفاء، أكثر من مائتي ورقة.

15-كتاب أشعار النساء، أكثر من خمسمائة ورقة.

16-كتاب أشعار تنسب إلى الجن، نحو مائة ورقة.

17-كتاب أعيان الشعر في المديح و الهجاء و الفخر و الجود و أخبار الأجواد و الأوصاف و التشبيهات، و قد وقف من أصوله التي بخطه نيفا و عشرين ألف ورقة.

18-كتاب الأوائل في أخبار الفرس القدماء و أهل العدل و التوحيد و شيء من مجالسهم و نظرهم، نحو مائة و خمسين ورقة.

19- كتاب التسليم و الزيارة، نحو أربعمائة ورقة.

20-كتاب التعازي، نحو ثلاثمائة ورقة.

21-كتاب تلقيح العقول، أكثر من مائة باب، أولها باب في العقل، و ثم باب الأدب ثم باب العلم و ما جانس ذلك و قاربه، أكثر من ثلاثة آلاف ورقة.

22-كتاب التهاني، نحو من خمسمائة ورقة.

23-كتاب الحجاب، مائة ورقة.

24-كتاب الدعاء، نحو مائتي ورقة.

25-كتاب ذم الدنيا، أكثر من مائة ورقة.

26-كتاب الرائق، و هو أخبار المغنين، أكثر من ألف وستمائة ورقة.

27-كتاب الرياض، فيه أخبار المتيمين مصنفة أبوابا، و فيه ذكر الحب و ما يتشعب منه و ذكر ابتدائه و انتهائه و ما ذكر أهل اللغة من أسمائه و أجناسه و اشتقاقات تلك الأسماء، بشواهد من أشعار الجاهلية و المخضرمين و الإسلاميين و المحدثين، أكثر من ثلاثة آلاف ورقة.

28-كتاب الزهد و أخبار الزهاد بخطه، أكثر من مائتي ورقة.

29-كتاب الشباب و الشيب، نحو ثلاثمائة ورقة.

30-كتاب الشعر و هو جامع لفضائله و وصف محاسنه و منافعه و مضاره و عيوبه ونعت أجناسه و ضروبه و أوزانه و عروضه و أعيانه و مختاره

و تأديب قائليه و مفسديه، و البيان عن منحوله و مسروقه، إلى غير ذلك من أنواعه و معانيه و ضروبه، و هو أكثر من ألفي ورقة.

31- كتاب شعر حاتم الطائي، نحو مائتي ورقة.

32- كتاب العيادة، نحو أربعمائة ورقة.

33- كتاب الفرج، قريب من مائة ورقة.

34- الكتاب المتوج في العدل و حسن السيرة، أكثر من مائة ورقة.

35- كتاب المديح في الولائم و الدعوات و الشراب، نحو خمسمائة ورقة.

36- كتاب المراثي، نحو خمسمائة ورقة.

37- كتاب المرشد، فيه أخبار المتكلمين و أهل العدل و التوحيد و شيء من مجالسهم و نظرهم، في نحو من ألف ورقة.

38- الكتاب المزخرف في الإخوان و الأصحاب، أكثر من ثلاثمائة ورقة.

39- كتاب المستطرف في الحمقى و النوادر، اكثر من ثلاثمائة ورقة.

40- الكتاب المستنير، فيه أخبار الشعراء المشهورين و المكثرين من الشعراء المحدثين، و مختار أشعارهم على أسنانهم و أزمانهم، أولهم بشار بن برد و أخرهم أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله رضي الله عنهما، و عدد أوراقه ستة آلاف ورقة، وهو بخط **المرزباني** في ستين مجلدا سليمانيا.

41- الكتاب المشرف في حكم النبي صلى الله عليه و سلم و آدابه ومواعظ الصحابة رضوان الله عليهم و غيرهم و الوصايا و حكم العرب و العجم، ألف و خمسمائة ورقة.

42- الكتاب المعجم، يذكر فيه الشعراء على حروف المعجم، و بدأ بمن أول اسمه ألف ثم بمن أول اسمه باء إلى آخر الحروف، و هو يحيط بنحو من خمسة آلاف اسم، و فيه من شعر كل واحد منهم أبيات يسيرة من مشهور شعره، و يزيد على ألف ورقة.

43- كتاب المغازي، نحو ثلاثمائة ورقة.

44- كتاب المفصل في البيان و العربية و الكتابة، نحو سبعمائة ورقة.

45- الكتاب المفيد، فيه عدة فصول، الفصل الأول منها مشتمل على أخبار الملقبين من شعراء الجاهلية و الإسلام، و أخبار من غلبت عليه كنيته منهم أو شهر بكنية أبيه أو عرف بأمه أو نسب إلى جده أو عزى إلى مواليه و ما جانس هذه الأحوال ودخل في جملتها، والفصل الثاني يذكر فيه ما روى من نعوت الشعر و عيوبهم في أجسامهم و صورهم كالسودان و العور و العميان و العشو والبرصان و سائر ما يؤثر في الجسد من شعر الرأس إلى القدمين عضوا عضوا. و في الفصل الثالث مذاهب الشعراء في دياناتهم كالشيعة و أهل الكلام و الخوارج و المتهمين و اليهود و النصارى و من جرى مجراهم، و الفصل الأخير يذكر فيه من ترك قول الشعر في الجاهلية تكبرا، و الإسلام تدينا، و من ترك المديح ترفعا والهجاء تكرما و الغزل تعففا، و من أنفذ شعره في معنى واحد، كالسيد بن محمد الحميري و العباس بن الأحنف ومن جرى مجراهم، و هو أكثر من خمسة آلاف ورقة.

46- الكتاب المقتبس، فيه أخبار النحويين البصريين، و ذكر أول من تكلم في النحو و من ألفه، و أخبار القراء و الرواة من أهل البصرة و الكوفة ومن نزل منهم بمدينة السلام، نحو ثلاثة آلاف ورقة.

47- الكتاب المنير في التوبة، و العمل الصالح والتقوى والورع و ما جانس ذلك، أكثر من ثلاثمائة ورقة.

48- كتاب المواعظ وذكر الموت، أكثر من خمسمائة ورقة.

49- الكتاب **الموشح**، وصف ما أنكره العلماء على بعض الشعراء في أشعارهم من الكسر و اللحن و السناد و الإيطاء و الإقواء و الإحالة و الاضطراب في القول و هلهلة النسج، و غير ذلك من عيوب الشعر، وهو أكثر من ثلاثمائة ورقة.

50- الكتاب الموفق في أخبار الشعراء المشهورين من الجاهليين، و بدأ بامرئ القيس وطبقته و المخضرمين و من تبعهم من الإسلاميين على طبقاتهم،

وجعل جريرا و الفرزدق و طبقتهما في صدر الإسلاميين، و أورد محاسن أخبارهم إلى أول الدولة العباسية وذكر ابن هرمة و الحسين بن مطير ومن يستشهد بشعره منهم، وعدد أوراقه أكثر من خمسة آلاف ورقة.

51-كتاب نسخ العهود إلى القضاء، نحو مائتي ورقة.

52-كتاب الهدايا، نحو ثلاثمائة ورقة.

53-كتاب الهدايا،نسخة أخرى بخطه.

54-كتاب الواثق فيه وصف أحوال الغناء و نعوته و ضروبه وطرقه و أخبار المغنين و المغنيات الأحرار و الإماء و العبيد".[1]

و يضيف ابن خلكان إلى هذه المجموعة الكبيرة من المؤلف، كتابا آخر سبق فيه غيره حين قال عن **المرزباني**: " وهو أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان الأموي و اعتنى به، و هو صغير الحجم يدخل في مقدار ثلاثة كراريس" [2].

بعد الاطلاع على ما نسب لأبي عبيد الله **المرزباني** من مؤلفات عديدة، و متنوعة، نفهم ما جعل أبا علي الفارسي المشهور يشهد بأنه من محاسن الدنيا، و هو نفسه ما دعا آخرين إلى تقديمه على الجاحظ من حيث حسن التصنيف، فتعدد الموضوعات و إحاطتها بأكثر اهتمامات ذلك العصر و جمعها بين موضوعات الدنيا و موضوعات الدين، ينبئ عن رجل واسع الثقافة، متعدد الأذواق، يملك من الصبر و الإرادة ما جعله ينجز كل هذه الآلاف من الصفحات المكتوبة، إضافة إلى دقة التصنيف و التبويب، كما يبدو من مؤلفاته التي ذكرها ابن النديم.

(1) ابن النديم. الفهرست. ص ص 256 - 259.

(2) ابن خلكان. المصدر السابق. م 4، ص 354.

وقد لا أكون مخطئا إذا قلت إن **المرزباني** بما تميز به من فكر و ثقافة و حفظ للأخبار و دقة ملاحظة يمثل موسوعة تصور روح عصره، إذا كان العالم أو الأديب يأخذ بجميع معارف عصره على اختلافها، أو يأخذ على الأقل من كل علم بطرف.

و نلاحظ من خلال ما أورده ابن النديم من مصنفات **للمرزباني**، أن الكاتب – **المرزباني** – عكف على التأريخ للشعراء القدماء و المحدثين، ثم نظر إليهم في بعض مصنفاته فجعل للمقلين تصنيفا و للمشهورين و المكثرين تصنيفا، ولم يقف عند هذا الحدّ، بل غاص في ذواتهم متأملا عيوبهم الجسمانية في شمول وتفصيل، لعله يرد شيئا من أشعارهم إلى تلك العيوب، أو يعيننا على الإحاطة بأمورهم من خلال أشعارهم، و عيوبهم، وكذلك دياناتهم، و أحيانا يوزعهم طبقات، وقد يخص الشاعر بمؤلف مستقل كما فعل مع أبي تمام. كما صنف في أمور أخرى غير الأدب مثل بعض قضايا الحياة و الطبائع و الاجتماعيات و العبادات، كما أسهم في التصنيف اللغوي و النقدي كما في كتاب "**الموشح**".

و من هنا تبدو لنا عقلية الرجل الموسوعي، و لابد هنا " أن نشير إلى أن مجموعة مؤلفات **المرزباني** تدور حول نقطة واحدة هي تنظيم الثقافة الأدبية" [1].

ومن جملة هذه المؤلفات الكثيرة للمرزباني لم يطبع – حسب علمي – إلا كتابان هما " **الموشح** في مآخذ العلماء على الشعراء" الذي حققه علي محمد البجاوي، موضوع هذا البحث، و كتاب "معجم الشعراء" الذي حققه الأستاذ عبد الستار فراج بمطبعة عيسى الحلبي، القاهرة. كما صححه و علق عليه الأستاذ الدكتور فوتيز كرنكو، تحت عنوان " معجم شعراء العرب" و نشرته دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.

(1) مبارك، زكي. المرجع السابق. ج 2، ص 148.

و من المدهش أن كتاب "المعجم" هذا في أخبار الشعراء، تحدث فيه **المرزباني** "عن نحو خمسة آلاف شاعر، و أثبت فيه أبياتا لكل من تحدث عنهم من الشعراء. فمن الذي يعرف اليوم هذا المقدار من أسماء الشعراء، مع أننا اجتزنا من تاريخ الأدب نحو خمسة عشر قرنا، و كان **المرزباني** لم يجتز منه غير خمسة قرون" [1].

و لو بقيت جميع كتب **المرزباني** أو جلّها، لأمكنها أن تعطينا مكتبة زاخرة بالعلم و الأدب ... و لأمكننا من خلالها أن نعرف ما كان للمرزباني من عقل و فكر و أسلوب.

6-وفـــاته:

تكاد تتفق جل المصادر الأدبية على أن أبا عبيد الله **المرزباني** توفي سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة و إن شذ بعضها كمعجم الأدباء لياقوت الحموي الذي حدد تاريخ وفاته بثمان و سبعين و ثلاثمائة.

و قد ورد في الفهرست قول ابن النديم : " و توفي رحمه الله في سنة أربع وثمانين و ثلاثمائة" [2]، و ذكر الذهبي تحت عنوان " سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة من الهجرة" [3]، كتاريخ للوفاة، أسماء كل من: صالح بن أحمد الهمذاني، و علي الرماني النحوي، و أبي الحسن محمد بن علي الماسرجسي الفقيه و **المرزباني**.

(1) مبارك، زكي. المرجع السابق. ج 2، ص 149.

(2) ابن النديم. المصدر السابق. ص 256.

(3) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. الإعلام بوفيات الأعلام. ط1. بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية. 1993م. م 1، ص ص 261، 262.

و لم يختلف عنه ابن العماد الحنبلي صاحب كتاب " شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب" إذ ذكر سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة ثم قال: " و فيها أبو عبيد الله **المرزباني**..." [1].

أما ابن خلكان فقال في كتابه " وفيات الأعيان، و أنباء أبناء الزمان"، "و توفي يوم الجمعة ثاني شوال سنة أربع و ثمانين، و قيل سنة ثمان و سبعين و ثلاثمائة، و الأول أصح، رحمه الله تعالى، وصلى عليه الفقيه أبو بكر الخوارزمي، و دفن في داره بشارع عمرو الرومي ببغداد في الجانب الشرقي" [2].

و يفصل في وفاته ما قاله الخطيب البغدادي، في " تاريخ بغداد " إذ يقول : " حدثني التنوخي، قال : مات **المرزباني** في ليلة الجمعة لليلتين خلتا من شوال سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة، و صلى عليه أبو بكر الخوارزمي الفقيه، وحضرت الصلاة عليه، و دفن في داره بشارع عمرو الرومي في الجانب الشرقي" [3].

و يبقى الفرق بين الخبرين الأخيرين، في أيهما أصح، ليلة الجمعة أم يوم الجمعة، وهذا ما ذكره محقق كتاب "**الموشح**" علي محمد البجاوي حين قال : " و توفي ليلة الجمعة، و قيل في يوم الجمعة، الثاني من شوال سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة" [4].

فرحمه الله تعالى و غفر له و جزاه خير الجزاء عما بذله من كرم الإيواء لأهل العلم والأدب، وجهد التأليف و التصنيف.

---

(1) الحنبلي، ابن العماد. المصدر السابق. ج 3، ص 111.

(2) ابن خلكان. المصدر السابق. م 4، ص 355.

(3) البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. المصدر السابق. ج 3، ص 353.

(4) **المرزباني**، أبو عبيد الله بن عمران. **الموشح** في مآخذ العلماء على الشعراء. تحقيق : علي محمد البجاوي. القاهرة : دار نهضة مصر. 1965م. ص (م)

ثانيا : لمحة عن الحياة الأدبية و النشاط النقدي في عصره

قد يطول الحديث عن الحياة الأدبية و النقدية في العصر العباسي الذي شهد مولد و حياة **المرزباني**، و لذا فإنني مجبر على التقاط بعض الملامح التي أرى أن لابد من الإشارة إليها، و أخص بالحديث الفترة الممتدة من أواخر القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع الذي توفي في أواخره **المرزباني**.

ورغم أن الخلافة العباسية قد فقدت هيبتها، و انقسمت الدولة الإسلامية إلى دويلات، و تعدد حاكموها، فالعباسيون في بغداد، و البويهيون في فارس، و الحمدانيون في الشام، والفاطميون في مصر و المغرب، إلا أن هذا لم يمنع تكوين مراكز أدبية، فكانت بغداد و البصرة، و كانت الكوفة و حلب و غير ذلك... منارات إشعاع للعلم و الأدب و الثقافة.

1- الحياة الأدبية :

أما الحياة الأدبية فكانت في مجملها مرآة عاكسة لمظاهر البيئة الجديدة التي كانت مزيجا من الثقافات و المدنيات، العربية و الوافدة، " فالموالي من الفرس و غيرهم يتم تعريبهم كما يتم تحضر العرب، و ينهضون جميعا بحياة عقلية و أدبية خصبة، هي ثمرة امتزاج الثقافات الأجنبية من فارسية و يونانية وهندية بالثقافة العربية الموروثة" [1].

(1) ضيف، شوقي. النقد. ط 3. القاهرة : دار المعارف. 1974. ص 33.

و يتجلى أثر هذا الامتزاج الذي لم يخل من نزاع و منافسة و تعصب في العيش المترف، و زخرفة القصور، و ألوان البيئة، و تتبع للعلوم بشغف كبير، كما ينعكس على الأدب شعره و نثره، " فإذا هما مزيج من تراث الأرض و ثروة المدنيات الجديدة، ينتهي إليها أدب الجاهلية، و أدب العهد الراشدي و الأموي، فيصب فيهما اللغة و الأساليب الكتابية و العلوم الإسلامية و الثروة الشعرية، و يتناول ذلك كله العقل الجديد فيحور فيه و يزيد عليه، و يسقط منه" [1].

أما **الشعر** فعرف معركة و صراعا بين أنصار القديم و أنصار الجديد، و استطاعت أغلب الأغراض الشعرية القديمة أن تثبت وجودها و تقاوم الاندثار، فبقي المدح و الهجاء و الرثاء و الوصف و الغزل و غيرها، و ضعف الشعر السياسي، و الغزل العذري لتفشي الفساد و الترف، وضعف شعر الحماسة و الفخر.

كما ظهرت في هذا العصر بعض الأغراض الشعرية الجديدة كالشعر الفلسفي و الشعر الصوفي و الشعر التعليمي، تلبية لمتطلبات الحياة الجديدة و تأثرا بالروافد الفكرية الوافدة.

و من الأغراض القديمة التي قويت في العصر العباسي **المدح**، ذلك أن أغلب الشعراء أصبح بوقا للعظماء و الحكام، و وسيلة إعلام تنشر أخبارهم و تشيد بمناقبهم و " قد زاد الإقبال على المدح لأنه سبيل الرزق، و لأن العظماء في حاجة إليه بسبب ما قام بينهم من تنافس، و قد بلغ فيه الغلو حدا مقيتا"[1].

و كذلك صار شأن **الهجاء** الذي أصبح وسيلة للكسب، و ازداد فحشا و قساوة، من غير حياء و لا لطف إلا نادرا، و أما **الغزل**، فعفيفه اندثر أو كـــاد،

(1) الفاخوري، حنا. تاريخ الأدب العربي. ط 9. بيروت : المكتبة البوليسية. 1978م. ص 362.

(2) المرجع نفسه. ص 364.

و ظهر منه الفاحش، الذي يصف الجانب المادي من جسم المرأة و لا يتحرج من ذكر ما هو مستور، استجابة لحياة الفسق و الفجور، و ما فيها من لهو و ترف، و مجالس شراب و غناء، و إماء و قيان، و " من وصمات الغزل انصرافه إلى التشبيب بالغلمان من الروم و الديلم و الترك مما سمي بالغزل المذكر" [1].

و أما **الوصف** فبالإضافة إلى وصف الأشياء المألوفة، مال إلى وصف مستجدات الحياة كالقصور والبساتين و الأزهار والبرك و الأطعمة...، و تعمق شعر الحكمة متأثرا بالعقل اليوناني و فلسفته، و الثقافة الهندية و الفارسية.

وظلت أساليب الشعر محافظة على الموروث القديم، كعمود الشعر و وحدة الروي ونظام البيت و الافتتاح بالغزل إلا في النادر الذي دعا إليه أبو نواس من تغيير مطالع القصائد من الغزل إلى ذكر القصور و الخمرة حين قال :

صفة الطّلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

كما ظهر التجديد في " الحرص على التناسب والترابط بين أجزاء القصيدة، ومراعاة الترتيب في التركيب، و الإكثار من النظم على البحور الخفيفة، و ابتداع أوزان أخرى كالمستطيل و الممتد و هما عكس الطويل و المديد، و الميْل إلى هجر الغريب من التراكيب و الألفاظ و اعتماد العذوبة و الوضوح، و التزام البديع و أساليب البيان، و ظهرت الصنعة في الشعر.

أما **النثر** فإن التطور فيه كان أوسع، وبفعل النزعة العقلية و الفكرية الجديدة، و الملاحظ أن الخطابة قد ضعفت، وتقلص ظلها، لضعف العصبيات و الأحزاب و ضعف الفصاحة العربية، و انصراف الناس إلى الثقافة و الكتابة للإقناع و " استعاضوا عن الألسنة تخطب بالأقلام تكتب، و حلت محل الخطابة الرسائل

(1) الفاخوري، حنا. المرجع السابق، ص 364.

الإدارية و المنشورات الدولية، و المناظرات العلمية و الأدبية، ولم يبق لها إلا بعض الأصداء في المساجد، في الجُمَعِ و الأعياد" [1].

و انتشرت فنون الكتابة لتصف الحضارة الجديدة، بلهوها و قصورها و رياضها و لتصف النفس البشرية بأهوائها ونزعاتها، و لتشرح الكتب الأدبية و تنقدها، و لتبسط المسائل العلمية و الدينية، وروايات الأخبار الخيالية و التاريخية وكتابة القصص والمفاخرات وغير ذلك من الفنون الكتابية.

و تعددت أغراض الكتابة وموضوعاتها " التي يتناولها الكتاب بما نقلوه عن أممهم في نظم الحكم و في الاجتماع ونظريات الأخلاق، و ما زالوا حتى أوجدوا الكتاب العباسي الذي يصفه الجاحظ فيقول إنه : " يجمع السير العجيبة، و العلوم الغريبة، و آثار العقول الصحيحة، و محمود الأذهان اللطيفة، والحكم الرفيعة، و المذاهب القويمة، و التجارب الحكيمة، و الأخبار عن القرون الماضية و البلاد النازحة و الأمثال السائرة و الأمم البائدة" [2].

أما أساليب النثر في هذه الفترة فقد ظهر عليها أثر الفلسفة و العلوم والمنطق وظهر أثر الترجمة من العلوم و الآداب والفلسفة الأجنبية، و " مالت إلى السهولة في العبارة و التأنق في اللفظ و الجودة في الوصف، و إطالة المقدمات و تنويع البدء و الختام و مالت إلى الغلو... و التفصيل والإطناب، و ظهر الأثر العربي أيضا في الكتابة فكانت جزلة متينة لا تخلو من إيجاز أحيانا، وظهر الإيجاز بنوع خاص في التوقيعات" [3].

ثم ما لبث الكتاب أن بدؤوا يصرفون عنايتهم إلى المفردات و طرق التعبير المعقدة و أغرقوا في التصنع.

---

(1) الفاخوري، حنا. المرجع السابق. ص ص 365، 366.

(2) ضيف، شوقي. المرجع السابق. ص 33.

(3) الفاخوري، حنا. المرجع السابق. ص 365.

و من أشهر شعراء هذه الحقبة من العصر العباسي أبو الطيب المتنبي و أبو فراس الحمداني و أبو العلاء المعرّي، و الشريف الرضي.

و اشتهر من الكتاب و المؤلفين، ابن العميد و الصاحب بن عباد، و بديع الزمان الهمذاني.

و من أشهر من عنوا بتراجم الشعراء، أبو الفرج الأصبهاني في كتابه " الأغاني" و أبو منصور الثعالبي في كتابه " يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر"، و ابن قتيبة في " عيون الأخبار" و " أدب الكاتب" و " الشعر و الشعراء"، و أبو العباس المبرد صاحب " الكامل في الأدب"، و أبو بكر الصّولي صاحب "كتاب الأوراق في أخبار آل العباس و أشعارهم".

2- النشاط النقدي:

أما النشاط النقدي فهو وثيق الارتباط بالحياة الأدبية، فكل منهما يحيا و يتطور بالآخر بصفة عامة، وتطور الأدب يؤدي إلى تطور الحكم عليه.

و قد كان للنقد الأدبي في القرن الثالث فسحة عظيمة، و تفاوتت فيه المناحي و الطرق و وجهات النظر، " و وقف النقاد على العناصر الجديدة التي ظهرت في الشعر المحدث فأدركوا ما فيها من كريم و هجين، وصالح و فاسد، ومتمش مع سنن العرب، و خارج على النهج المألوف ... و أن أثر اللغويين على النقد الأدبي خف كثيرا ... و أن الفضل في تحليل الشعر المحدث و الوصول إلى أكثر خصائصه إنما كان للنقاد و الأدباء وإن لم يصلوا دائما إلى تعليل آرائهم و إقامة الحجة على ما يرون" [1].

(1) إبراهيم، طه أحمد. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. بيروت : دار الحكمة. ص 140.

و قد شهد هذا القرن مولد التأليف في الأدب أو البيان العربي بأوسع معانيه، فقد ألف **الجاحظ** (255هـ) كتاب البيان و التبيين، و ألف **المبرد** (285هـ) كتاب الكامل. و قد اشتمل كلا الكتابين على كثير من نعوت الجودة، و التنبيه على مواضع العيب و المؤاخذة في النص الأدبي، كما أن فيهما كثيرا من الموازنات بين النصوص المتشابهة في مغزاها أو مبناها، و في هذا القرن ألف **ابن سلاّم** (232هـ) كتاب طبقات فحول الشعراء، و ألف **ابن قتيبة** (276هـ) كتاب الشعر و الشعراء، و هما كتابان في الشعراء أكثر منهما في دراسة الشعر و نقده، و ألف **ابن المعتز** (296هـ) كتاب "البديع" الذي ذكر فيه محاسن الكلام التي استقصاها من كلام السابقين، و جمع فيه بعض ما وجد في القرآن الكريم و أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم، و كلام الصحابة و الأعراب و أشعار المتقدمين.

و يطل القرن الرابع ليشهد تطورا ملحوظا من الناحيتين النظرية و التطبيقية، و يرى الدكتور إحسان عباس أن ذلك كان بفضل " ثلاثة أشخاص كانوا قوى دافعة في توجيه النظرية الشعرية، وجعلوا للنقد محورا و مجالا، سواء أكان ذلك في الحدود النظرية أو التطبيقية و اضطر النقاد إلى أن يتعمقوا سبر غور العلاقة بين النظر و التطبيق ... أما تلك القوى التي نشير إليها فهي أبو تمام و أرسطو و المتنبي".[1]

كما يرى الدكتور إحسان عباس أن معظم النقد في القرن الرابع يمكن أن يدرس " في ثلاث فصول و هي : الصراع النقدي حول أبي تمام، و النقد في علاقته بالثقافة اليونانية، ومعركة النقد التي دارت حول المتنبي" [2].

(1) (2) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. بيروت. دار الثقافة. 1986م. ص 127.

غير أن هذه الصور النقدية الثلاث يجب ألاّ تحجب عن أنظارنا ما ظهر من جهود نقدية أخرى كان لها أثرها البارز في تنمية وتطوير النقد في هذا القرن، و منها " عيار الشعر" **لابن طباطبا** العلوي، و يعتمد النقد فيه كليا على صفاء الذوق الفني، و جل مبادئه النقدية استخدمت في دراسة الإعجاز القرآني على يد جماعة من غير النقاد و منهم الرّماني و الخطابي و الباقلاني، و " كتاب الموازنة بين الطائيين أبي تمام و البحتري في الشعر" لأبي القاسم الآمدي، و منهجه يقوم على المقارنة الموضعية تاركا الحكم الكلي للقارئ. و يحاول أن يكون بعيدا عن الخصومة و إن اتهم بتحيزه للبحتري.

يبدأ الآمدي موازنته بين الشاعرين بإيراد الحجج التي يستند إليها أنصار كل شاعر و أسباب تفضيلهم له، ثم يأخذ في دراسة سرقات أبي تمام و أخطائه و عيوبه البلاغية و يفعل مثل ذلك مع البحتري إلى أن يصل إلى الموازنة التفصيلية بين ما قاله كل منهما في كل معنى من معاني الشعر، و قد اتسم نقده بالحذر و اليقظة و النضج. و ألف قدامة بن جعفر كتابين : "نقد النثر" و"نقد الشعر" و في هذا الكتاب الأخير يعتبر قدامة النقد علما مجاله تخليص الجيد من الرديء في الشعر، أما سائر ما يتعلق بالشعر من علم العروض و الوزن و القوافي و الغريب و اللغة فليس مما يدخل في باب النقد إلا على نحو عارض.

كما ألف القاضي **الجرجاني** كتابه " الوساطة بين المتنبي وخصومه" وكان منهجه في هذا الكتاب منهج القاضي الفقيه و المؤرخ الأديب، فبدأ كتابه بذكر الحقيقة التي لمسها بنفسه وهي أن بعض الناس يتعصبون للمتنبي أو عليه تبعا لأهوائهم وعواطفهم، ثم يحاول أن يكون منصفا في التوسط في الحكم، فالذين عابوه على أخطائه من خصومه يرد عليهم بأن الخطأ وارد عند كل إنسان، و لا أحد يسلم منه، و يقيس ذلك بما يشبهه من أخطاء المتقدمين المشهورين، فاللحن و الغلط لا يكاد يخلو منهما شاعر.

كما ألّف **أبو هلال العسكري** "كتاب الصناعتين، النثر و النظم" ومنهجه تقريري تعليمي تحول فيه النقد إلى بلاغة، لأن صاحبه من أنصار البديع.

ومن أهم الموضوعات النقدية في هذا العصر أيضا مسألة السرقات الشعرية، فبالإضافة إلى ما دار حول أبي تمام و البحتري والمتنبي هنالك كتب أخرى منها " سرقات أبي نواس" **لابن يموت بن المزرّع** (ت334)، وتذكر المصادر كتابا عاما في السرقات **لجعفر بن محمد** حمدان الموصلي (ت 323)، يقول عنه ابن النديم في الفهرست :" إنه لم يتمه و لو أتمه لاستغنى الناس عن كل كتاب في معناه"[1]، و ربما فاق التأليف في السّرقات الأدبية التأليف في أي موضوع غيره.

هذه بعض ملامح الحياة الأدبية و النقدية، أوردتها مقتضبة، توطئة لموضوع البحث، علّها ترينا ما كانت تغص به الحياة العباسية من حركة فكرية و إبداعية واسعة.

(1) ابن النديم. المصدر السابق. ص 428.

الفصل الأول :

الجهود النقدية السابقة

للكتاب "الموشح"

أولا : النقد قبل مرحلة التأليف

ثانيا : التآليف النقدية

لعل من المفيد – قبل دراسة كتاب " **الموشّح** في مآخذ العلماء على الشّعراء" **للمرزباني**، أن نلقي نظرة على أهم الجهود النقدية السابقة لهذا الكتاب، و سأحاول التّركيز على ما كان من نقد للشعر دون النثر، كون كتاب **الموشّح** في نقد الشعر. وسأركّز في مرحلة التآليف النقدية على أهم الكتب التي تخصّصت في نقد الشعر و كان لها صيت في تاريخ و مسيرة النقد الأدبي العربي، ذلك أن نقد الشعر لا يحيط به بحث كهذا، بل يتسع و يتشعب، و يكفي أن أقف منه على أهم معالمه و تآليفه، وخاصة أن **المرزُباني** جمَّاعة لهذه المواقف و الأحكام النقدية السابقة له، و راوية لها، مع محاولته أن يدلي ببعض مواقفه بين الحين و الحين.

أولا : النقد قبل مرحلة التأليف

1- النقد في العصر الجاهلي :

تتحدّد فترة النقد قبل مرحلة التأليف زمنيا من الجاهلية إلى أوائل العصر العبّاسي، حينما يصادفنا كتاب **الأصمعي** (122-216هـ) الموسوم بـ " **فحولة الشعراء**" و الذي يعده النقاد ومؤرخو الأدب، أول محاولة مكتوبة تختص بنقد الشعر، و يصدر صاحبها مواقف نقدية يمكن اعتبارها بداية جادّة للنقد في مجال الشعر.

تبدأ المحاولات النقدية مع بداية الشعر الجاهلي أو بعدها بقليل، و تتفق أغلب المراجع على أن المادة النقدية كانت قليلة، مستوحاة من الشواهد النقدية أو الصور النقدية أو الأحكام النقدية، على اختلاف التّسميات عند مختلف الكتاب، إلا أن بعض الكتاب ينفي تماما وجود النقد في العصر الجاهلي، و يشك في صحّة هذه الشواهد رغم قلتها، كأمثال الأستاذ طه أحمد إبراهيم في سياق حديثه عن موقف النابغة الذبياني من حسّان بن ثابت الذي قال مفتخرا :

لنا الجفَنات الغرُّ يلمعن بالضُّحى و أسيافنا يقطرن من نجدة دما
وَلدْنا بني العنقاء و ابني مُحَرِّقٍ فأكرِم بنا خالاً و أكرم بنا ابْنَما

فقال له النابغة، أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك و أسيافك، و فخرت بمن وَلَدْت و لم تفخر بمن ولدك[1].

(1) **الموشح**. ص 82.

فشكك الأستاذ طه أحمد إبراهيم في هذا الحكم النقدي الدقيق من النابغة و قال : " لم يكن الجاهلي يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير، و جموع الكثرة وجموع القلة، و لم يكن له ذهن علمي يفرق بين هذه الأشياء كما فرق بينها ذهن الخليل و سيبويه، و مثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم، و عرف الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ، و ألمّ بشيء من المنطق"[1].

إلا أن هذه المواقف و غيرها، و ما ذهبت إليه من أدلة، تنفي وجود محاولات نقدية في العصر الجاهلي، لا تصمد أمام المنطق نفسه الذي انطلقت منه، إذ لا يعقل أن نقرّ بوجود شعر جاهلي رصين، و لا نقرّ بوجود نوع من النقد و لو كان بسيطا، يعلق و يمحّص و يميّز و يثمّن و يوجّه،لأنّ مجرّد الإعجاب و الاستحسان أو النفور و الاستهجان يعد في حد ذاته موقفا نقديا.

و السؤال الذي يطرح نفسه : ما هو المقياس الذي كان أصحاب هذه الملاحظات و المواقف و الأحكام النقدية، يستندون عليه في نقدهم للشعر و إبداء آرائهم فيه؟.

و يجيبنا عن هذا السؤال د. عبد العزيز عتيق الذي يرى " أن نقدهم كان مبنيا على الذوق و الفطرة التي تتأثر بما تسمع من قول، فتصدر الحكم عليه غير معلَّل، أو غير مشفوع بحيثياته"[2].

(1) إبراهيم، طه أحمد. المرجع السابق. ص 19.

(2) عتيق، عبد العزيز. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. بيروت : دار النهضة العربية. ص 34.

حياة النقد في الأدب العربي صحبت حياة الشعر، و جرت مع طبيعته، و تطورت فكرة النقد مع تطور ظروف الأمة العربية، تبعا للعوامل التي أثرت في حياتها و ثقافتها و عقليتها، لذا كان النقد في الجاهلية " عبارة عن ملاحظات على الشعر و الشعراء، قوامها الذوق الطبيعي الساذج، وقد مكّن له تنافس الشعراء، و اجتماعهم في الأسواق، و أبواب الملوك و الرؤساء، وهذه العصبية من القبيلة للشاعر، ومكانة الشاعر وكلامه بين البادين، فكان ذلك كله سببا لتجويد الشعر من ناحية، و لتعقب الشعراء بالتجريح و التقريظ من جهة ثانية[1].

ولم يخْلُ النقد الجاهلي من جزئية و تعميم إذ كان يتناول اللفظ و المعنى الجزئي المفرد، ويعتمد على الانفعال و التأثر دون أن تكون هناك قواعد مقررة يرجع إليها النقاد في شرح أو تحليل، و ينتهي إلى بيان قيمة الشعر ومكانة الشاعر بين أصحابه[2].

وكان الشاعر الجاهلي يسعى إلى إرضاء ذوق الجماهير التي قد تقبل على قصيدته أو تنفر منها، و لذا يسعى إلى تقديمها في أحسن صورة حتى يؤثِّر في مستمعيه و ينال استحسانهم، فقد كان الأعشى " ينشد شعره على آلة موسيقية هي الصَّنْج، و كان يطوف بها بين أحياء العرب، وكانت الأحياء و شيوخها يحتفلون به ويقبلون عليه لسماعه ويهيئون له الهدايا و الصِّلات "[3].

وقد ينال الشاعر رضا الناس، و لكنه لا يعْدِم وجود فريق منهم لا يستسيغ قوله، " و كذلك كان شأنهم في الأسواق حين يستمعون إلى ما ينشده الشعراء، فيُظهِر فريق منهم إعجابا، و يظهر فريق سخرية و استخفافا " [4].

---

(1) طبانة، بدوي. قدامة بن جعفر و النقد الأدبي. ط 3. القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة. 1969م. ص 26.

(2) المرجع نفسه. 27.

(3) (4) ضيف، شوقي. النقد. ط 3. القاهرة : دار المعارف. 1973م. ص 17.

وما اهتمام زهير بتنقيح قصائده إلا اهتمام بذوق جماهيره و كان يسمّي قصائده بالحوليات، فالقصيدة الواحدة تستغرق سنة كاملة بين الزيادة و النقصان و التعديل و تخيّر اللفظ و المعنى حتى تخرج في صورة ترضي الذوق الجاهلي، و هذه صورة لتقدير الجماهير للأدب وتقويمه، و " ليس هذا كله إلا نموا واضحا لروح نقد عامة سرَت بين شعراء الجاهلية، حتى يؤثر في مسامعهم تأثيرا كاملا" [1].

وقد ذكرت الكتب العديد من الآراء و الأحكام النقدية على ألسنة الشعراء وغيرهم – و إن شك بعضهم في صحة بعض هذه الرّوايات و الأحكام على نحو ما جاء في كتاب : " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " للأستاذ طه أحمد إبراهيم –[*]، نورد بعضها للاطلاع على اهتمام الجاهلي بما يلقى عليه من شعر، و لتبيان دور هذه الأحكام النقدية في توجيه الشاعر و تقويم شعره إنْ لفظا أو معنى. ونعتمد في ذلك على بعض أشهر هذه المرويات، من مثل ما رواه **المرزباني** حين قال : [2] " تنازع أمرؤ القيس بن حُجر و علقمة بن عبدة، و هو علقمة الفحل، في الشعر: أيّهما أشعر؟ فقال كلّ واحد منهما : أنا أشعر منك. فقال علقمة : قد رضيت بامرأتك أمّ جُنْدُب حكما بيني وبينك. فحكّماها، فقالت أم جندب لهما : قولا شعرا تصفان فيه فرسَيْكما على قافية واحدة و روِيٍّ واحد. فقال أمرؤ القيس :

خليلـــيَّ مُرَّا بِي على أم جـنـــدب نُقَضِّ لُبانات الفؤاد المعـذَّب

وقال علقمة :

ذهَبْتَ من الـهِجْران في غير مذهب ولم يكُ حقًّا طولُ هذا التَّجَنُّب

(1) ضيف، شوقي. المرجع السابق. ص 19.

(*) ينظر المرجع نفسه. ص ص 19–23.

(2) الموشح. ص ص 28، 29.

فأنشداها جميعا القصيدتين، فقالت لامرئ القيس : علقمة أشْعَر منك. قال : و كيف؟ قالت : لأنك قلت :

فللسّوط ألُهوب و للسّـــاق درَّة وللزَّجر منه وقع أخْرَج مُهْذِب

الأخرج : ذكر النعام، و الخرج : بياض في سواد وبه يسمى. فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، و مريته فأتعبته بساقك، وقال علقمة :

فأدْرِكــهن ثانيا من عِنـــانــه يَمُــرٌ كمرٌ الرَّائح المُتَحـــلِّب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه، لم يضربه و لم يتبعه.

فقال : ما هو بأشعر مني، ولكنك له عاشقة. فسُمِّي الفحل لذلك".

و الملاحظ في هذه القصة أن أم جندب حدّدت مقياس التّباري بين الشاعرين، و هو وحدة الموضوع، أي وصف الفرس، و وحدة القافية، و وحدة الرّوي.

إلاَّ أنّ الأحكام الجزئية و النظرة التعميمية بادية في الموضوع، فأم جندب تقوّم قصيدة من خلال بيت واحد، وتحكم لشاعر من خلال معنى واحد أجاد فيه، و مهما يكن " فإن صحّت هذه القصّة كانت لها دلالة كبيرة في النقد الأدبي. فأم جندب تريد مقياسا دقيقا تستند عليه في الموازنة، هو وحدة الرّوي و وحدة القافية، ووحدة الغرض، و هذا يكفي لأن يكون أساسا من أسس النقد في العصر الجاهلي، و هذا دليل على أن النقد في بعض الأحيان لم يكن سليقة و فطرة بل كانت له أصول يعتمد عليها" [1].

(1) إبراهيم، طه أحمد. المرجع السابق. ص 21.

من خلال حكم أم جندب تتجلى لنا سلطة الحياة الاجتماعية السائدة في العصر الجاهلي، و التي تجعل الاهتمام بالبيت أحيانا أكثر من الاهتمام بالقصيدة، وكم من شاعر اشتهر ببيت شعري. كما يظهر لنا انصياع الحكم لمتطلبات الحياة الاجتماعية التي تبجّل السرعة للفرس، ومن هنا جاء الحكم لعلقمة لأن فرسه كان سريعا دون عناء، و صارت السرعة هنا معيارا اجتماعيا يستند عليه الناقد في تعليل موقفه.

ومن الأمثلة الواضحة الدالة على طبيعة النقد في العصر الجاهلي ما رواه **المرزباني** في **موشّحه** حين قال[1] : " تحاكم الزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وعبدة بن الطبيب، و المُخبّل السعدي إلى ربيعة بن حُذار الأسدي في الشعر، أيّهم أشعر؟ فقال للزّبرقان : أما أنت فشِعرك كلحم أُسْخن لا هو أُنْضِج فأُكِل ولا ترك نيِّئا فيُنتفع به. و أما أنت يا عمرو، فإن شعرك كبرود حِبْر، يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيما النظر نقص البصر، و أما أنت يا مخبّل فإن شعرك قصَّر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم. وأما أنت يا عبدة فأن شعرك كمزادة أُحْكِم خرْزها فليس تقطر و لا تُمطر".

و على العموم فإن هذه الأحكام الصادرة من ربيعة بن حذار تفتقد هي الأخرى إلى التعليل والدقة و ذكر الأسباب، شأنه في ذلك شأن أغلبية من أصدروا أحكاما نقدية "ومن يدري....؟ فلعل سكوت هؤلاء النقاد عن تعليل أحكامهم كان ناشئا عن إيثارهم للإيجاز في مثل هذه المواقف. ولعله كان ناشئا عن شعورهم بأنهم كانوا يتوجهون بأحكامهم النقدية إلى قوم يتكلمون العربية مثلهم عن سليقة، ويعرفون من بلاغتها مثل ما يعرفون، فلم يكن من حق الناقد أن يقف من الجمهور الأدبي المتحلق حوله موقف المعلم الذي يفسّر و يعلّل" [2].

(1) **الموشح**. ص ص 107، 108.

(2) عتيق، عبد العزيز. المرجع السابق. ص 37.

و إذا كان الشعر الجاهلي إحساسا أكثر منه عقلا، فإن النقد أيضا كان إصغاءً للعواطف والمشاعر، و لذا قلّت فيه التعليلية، و هو لا يبتعد عما تريده الحياة الاجتماعية الجاهلية، حتى أنها تتحول في أكثر الأحيان إلى معيار للحكم على الشعر، و إذا كان لابد من وسيط موضوعي للتعليل، فلا مصدر له إلاَّ من هذه البيئة الاجتماعية.

و من هنا نجد أن النقد الذي تمخّضت عنه قرائح النقاد في هذا العصر إنّما يمثل نشأة النقد العربي و مراحله، و قد يكون من التَّجنّي أن نطالبهم بأكثر مما قدموا، فلا يعقل أن نتوقّع منهم أن يحلّلوا و يعلّلوا، و أن يخوضوا في قضايا النقد الأخرى التي أخذت قرونا من بعد حتى وصلت إلى ما هي عليه من رقيّ وتطور.

2- النقد في صدر الإسلام :

جاء الإسلام دينا جديدا ليغير مجرى الحياة، و ليحقق مجتمعا تسوده مثل سامية، و أخلاق أرادها خالق العباد لعباده، و كان لابد للشعر أن يكون معبّرا عن روح الدين الجديد، و انتقل النقد إلى دور الموجّه للشاعر حتى لا يَحيد عن متطلبات المجتمع الإسلامي، و ظهر " أوّل مقياس تقاس به معاني الشعر، بعد أن لم يكن هنالك مقياس ثابت متداول يحكم به عليها، و كان ذلك المقياس هو الدين، و ما ينشأ عنه من أخلاق،.. و ما اتفقت فيه روح الشعر مع روح الدين فهو من الشعر في الذروة، و ما خالفه فهو من كلام الغُواة الضّالين المُضلِّين" [1].

إنّ ما تجدر الإشارة إليه بصدد هذا الموضوع، الآية القرآنية : " و الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون و أنهم يقولون ما لا يفعلون إلاّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات و ذكروا الله كثيرا "[2].

(1) طبانة، بدوي. قدامة بن جعفر و النقد الأدبي. ص 27.
(2) سورة الشعراء. الآية 224.

فهذه الآية أتت بتقسيم جديد للشعراء لم يُعرَف من قبل، فبعد أن كان الشعراء يقوّمون على أساس قبَلي، أصبحوا يقوَّمون من خلال إيمانهم و أعمالهم الصّالحة، و هذا تقسيم أوسع و أشمل، لا يعترف بحدود مكانية أو زمانية أو اجتماعية بل على أساس من التقوى و العمل الصالح، و إذا كان الشاعر في الجاهلية يسعى إلى إعلاء شأن قبيلته و يدافع عنها، فإن الشاعر في الإسلام يحمل مسؤولية أكبر و أشمل و هي العمل على تحقيق المجتمع الإسلامي المنشود.

و في نفس المضمون تأتي أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم من مثل قوله صلى الله عليه و سلم: " إنما الشعر كلام مؤلَّف، فما وافق الحقَّ فهو حسن، و ما لم يوافق الحق فلا خير فيه" (1).

و نلاحظ أن هذا الحديث يعطي مقياسا جديدا سمّاه " الحقّ" و هو مقياس أخلاقي يجب أن يبنى عليه الجانب الفنّي في الشعر و إلاَّ صار مرفوضا و ممجوجًا.

و في نفس السّياق يرِد حديث الرسول صلى الله عليه و سلم " الشعر كلام من كلام العرب جزْل تتكلّم به العرب في بواديها و تسل به الضغائن من بينها" (2).

و في هذا الحديث تحديد لأمور ثلاثة، الجزالة، و البادية، و منع الضغائن، و هي سمات يحبّذها الرسول صلى الله عليه و سلم في الشعر، فالألفاظ القوية و الصوت الوعر من سمات الشعر الرّصين، و البادية بما توحيه من معان و شاعرية، تضفي على الشعراء صبغة خاصة، إضافة إلى وظيفة الشعر و هي إصلاح النفوس بدفعها نحو الخير و نبذ العصبية و الكراهية.

---

(1) ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن الأزدي. العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده. ط 3. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد. مصر : مطبعة السعادة. 1963م. ج 1، ص 27.

(2) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. الشعر و الشعراء. مراجعة : محمد يوسف نجم و إحسان عباس. بيروت : دار الثقافة. 1964م. ج 1، ص 67.

و ليس بدْعا من الرسول العربي أن يعجب بالشعر العربي كما يعجب به أصحاب الذوق السليم،فقد أعجب بشعر النابغة الجعدي، و قال له : لا يفضض الله فاك، و بلغ من استحسانه " لِبانت سعاد" أن صفح عن كعب و أعطاه بُردته، و استمع إلى الخنساء و استزادها مما تقول، و تأثر تأثرا رقيقا لشعر قتيلة بنت النّضر، و هو الذي دعا حسان بن ثابت ليجيب وَفْدَ تميم. و هو الذي قال : " إنّ من البيان لَسِحْرًا" (1).

و قد أبدى الرسول صلى الله عليه و سلم رأيه في أيّ شعراء الجاهلية أشعر، فقد روي عنه أنّه قال في امرئ القيس: " أنه أشعر الشعراء و قائدهم إلى النار" (2)، فالرسول صلى الله عليه و سلم يقدر منزلته الشعرية من حيث التفوق على بقية الشعراء، و التمكن من الصناعة الشعرية، و لكنه يمجُّ مضامينه و خاصة المنافية للأخلاق الإسلامية و هي منافية للحق الذي اعتمده مقياسا للشعر.

و قد ظل النقد في عهد النبوة كما كان في العصر الجاهلي موسوما بالفطرة و عدم التعليل، و ظل النقد يفاضل بين الشعراء و يحكم لشاعر على غيره دون تقديم الأسباب و العلل المقنعة غالبا.

و سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسول صلى الله عليه و سلم في نظرتهم للشعر، و كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكثرهم تأثيرا في النقد الأدبي في هذه الحقبة من التاريخ، " حتى ليعد الناقد الأول في هذه الفترة" (3) ، و قد " كان من أنقد أهل زمانه للشعر و أنفذهم فيه معرفة" (4).

(1) إبراهيم، طه أحمد. المرجع السابق. ص 28.
(2) ابن رشيق القيرواني، الحسن. المصدر السابق. ج1، ص 15.
(3) عتيق، عبد العزيز. المرجع السابق. ص 61.
(4) ابن رشيق القيرواني، الحسن. المصدر السابق. ج2، ص 218.

فكان يعجب – رضي الله عنه – بالشعر الذي يحقق المتعة الأدبية و يسكن به الغيظ و ينشر به الخير، و يحث على الفضائل و مكارم الأخلاق، أما غير ذلك من الشعر فرِدَّة و سفساف، يَجِبُ محاربته.

يقول عمر – رضي الله عنه – نِعْم ما تعلّمته العرب الأبيات من الشعر، يقدّمها الرّجل أمام حاجته" [1].

و كان عمر يفضل الشاعر زهير بن أبي سلمى، لِما كان في شعره من قيَم و حكمة و أخلاقيات و صدق، فقد قال عمر لبعض ولد هَرِم : " أنشِدني بعض مدْح زهير أباك، فأنشده. فقال عمر : إنْ كان ليُحسن فيكم القول، قال: و نحن و الله إنْ كنّا لنُحسن له العطاء، فقال : قد ذهب ما أعطيتموه و بقي ما أعطاكم" [2].

" وقد تحدث مرة مع وفد غطفان و قد نزل ببابه فقال: يا معشر غطفان، أي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... و ليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنتَ قد بُلِّغت عنّي خيانة ... لَمُبْلِغك الواشي أغشّ و أكذَب
و لَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخًا لا تلُمُّه ... على شَعَثٍ أيّ الرّجال المهذَّب؟

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين، قال : فأيُّكم الذي يقول :

فإنك كالليل الذي هو مُدرِكي ... و إن خِلت أن المنتأى عنك واسع
خطا طيف حجن في حبال متينة ... تمدّ بها أيد إليك نوازع

(1) ابن رشيق القيرواني، الحسن. المصدر السابق. ج1، ص 65.
(2) الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. الأغاني. تحقيق : عبد الستار أحمد فراج. القاهرة : دار الكتب المصرية. 1962م. ج 10، ص 304.

قالوا : النابغة قال فأيّكم الذي يقول :

إلى ابن مُحرِّق أعملت نفسي و راحلتي وقد هَدَت العيون
أتيتــك عاريــا خلَقًــا ثيابي على خوفٍ تُظَنُّ بيَ الظنون
فألفيــتُ الأمانــة لــم تخنها كذلك كــان نُــوحٌ لا يخون

قالوا النابغة يا أمير المؤمنين قال : هذا أشعر شعرائكم [1].

و قد قال في موضع آخر : " هو أشعر العرب" [2].

إلاَّ أنّ عمر بن الخطاب، في هذين الحكمين، لم يختلف حكمه عن أحكام نقاد العصر الجاهلي و عصر الرسول صلى الله عليه و سلم، سواء أكان النابغة أشعر شعراء غطفان جميعا على حدّ القول الأول أم كان أشعر العرب بلا منازع كما جاء في الحكم الثاني، فإن عمر لم يقدم تعليلا وتحليلا، وهي سمات للنقد فيما مضى و المقياس الوحيد الذي نستشفه من خلال مضامين الأبيات التي ذكرها عمر ابن الخطاب هو ما تحمله من قيم أخلاقية و معان سامية توائم روح الإسلام بما فيها من خير و حكمة و صدق وحق، دون إهمال لجودة الصنعة الشعرية.

و قد نهى عمر بن الخطاب عن المبالغة في المديح، وهجاء الناس، بل إنه كان يعاقب على الهجاء المقذع، و قد سجن الحطيئة حين هجا الزّبرقان بن بدر، ثم اشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم [*].

(1) الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. المصدر السابق. ج 11، ص 12.
(2) المصدر نفسه. ج 11، ص 4.
(*) ينظر المصدر نفسه. ج 2، ص ص 186 - 189.

و من خلال الأخبار المروية عن مواقف عمر – رضي الله عنه – من الشعر و الشعراء أنه كان يفضل شاعرين وهما : النابغة الذبياني و زهير بن أبي سلمى، و يعجب بهما أيّما إعجاب، و من دلالات إعجابه بزهير ما رواه الأصبهاني عن ابن عباس قوله : " خرجت مع عمر في أول غزوة غزاها، فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس، أنشدني لشاعر الشعراء، قلت : ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال : ابن أبي سُلمى. قلت: و بم صار كذلك؟ قال : لأنه لا يتبع حُوشِي الكلام، و لا يُعاظِل في المنطق، و لا يقول إلا ما يعرف، و لا يمدح الرّجل إلا بما يكون فيه".(1)

إن ما نلاحظه من خلال هذا الخبر، هو أنه يحتوي إشارات بالغة الأهمية عن شخصية عمر الأدبية، فهو رجل مُحِبّ للشعر، ذوّاق له، يرهف السمع و الإحساس لإنشاده.

و الجديد في هذا الخبر أن عمر بن الخطاب بن الخطاب خطا خطوة جديدة في سبيل تطوير الموقف النقدي، و ذلك حينما بيّن إعجابه بزهير ثم قدّم الأسباب والعلل، و قسمها إلى قسمين : قسم يخص اللفظ و الصياغة، و قسم يخص الجانب المعنوي.

فأما جانب الصياغة اللفظية فيتمثل في وجوب الابتعاد عن حوشي الكلام و غريبه و وحشيّه، و النفور من المعاظلة في الكلام و ركوب بعض ألفاظه رقاب بعض وتداخلها، ويعود ذلك إلى أن زهيرا كان يتخير ألفاظه وينتقيها حتى تخرج سلسلة بعيدة عن التعقيد اللفظي و الغريب المستهجن.

و أما الجانب الثاني فيتعلق بمعاني الأبيات أو القصيدة، فالصدق مطلب ضروري، فلا كذب و لا مبالغة ولا تجنٍّي بل يجب تحكيم العقل و المنطق في المضامين والتعبير عن القيم الأخلاقية و التي دعا إليها الإسلام لبناء مجتمع مثالي يسوده الإخاء و المودة و العدل.

(1) الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. المصدر السابق. ج 10، ص 290.

إذًا، فالجانب الفني يشتد ارتباطه بالجانب الأخلاقي المستمد من الفطرة ثم من الإسلام فيما بعد.

و ما يقال في عمر – رضي الله عنه – من اهتمام بالشعر و تذوقه و الإعجاب بروائعه و نقده له، يقال في بقية الصحابة رضوان الله عليهم : " و إن ظل عمر أرجحَهم كفة في ذلك، و لكنهم جميعا متأثرون برأي الرسول في أن أحسن الشعر ما وافق الحق، ومنهم من اقتدى بعمر فأصدر أحكامه على بعض الشعراء معللة، و إن لم يبلغ في ذلك مبلغة و لم يتوسع توسعة في التفسير و التفصيل" [1].

و أما بالنسبة لمواقف الشعراء، فإن ملاحظاتهم النقدية لم تَتْأَ كثيرا عما عرفناه من تعميم و قلة تعليل لقربهم من العصر الجاهلي، فكانت امتدادا له فقد أُثِر عن الحطيئة أنه قال : " خير الشعر الحَوْلي المُحكَّك" [2]، ويبدو أن الحطيئة كان متأثرا في تقويمه للشعر، بأستاذه زهير بن سلمى، صاحب الحوليات، و اعتماده على التصحيح و التنقيح و الصناعة الشعرية.

و في رواية أخرى يجعل الحطيئة نفسه أشعر العرب، حين سأله عبد الرحمان بن أبي بكرة عن أشعر العرب:" فأخرج لسانه كأنه لسان الحيّة ثم قال : هذا إذا طمِع" [3].

(1) عتيق، عبد العزيز. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص ص 80، 81.
(2) المرجع نفسه. ص 84.
(3) الأصبهاني. الأغاني. ج 2، ص 280.

فالحطيئة يدفعه إلى التفوق على كل شعراء العرب – حسب ادعائه- طمعه، و هي قيمة أخلاقية مرفوضة حتى من قبل أستاذه زهير بن أبي سلمى و هو الذي كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه، و لا تغريه الأموال و جزيل العطاء على الإجادة في نظم الشعر. و يدخل شعر الحطيئة من هذا الباب في ما لا خير فيه لمخالفته للحق لأن الدافع إليه ليس شريفا و لا عن قناعة الشاعر بما يقول مدحا أو هجاء أو غير ذلك، فهو لا يخلو من الغش و المغالطة، أما الحكم النقدي في حد ذاته فقد أتى مشفوعا بالتعليل على طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين فضل زهير على سائر شعراء العرب – و علة جودته أنه واقع تحت سلطة المكسب وخاصة المادي منه – فتلبيه رغبة الحطيئة و إرضاء شراهته للمال تعتبر تحفيزا له على الجودة و التفوق.

3- النقد في عصر بني أمية :

إذا تحولنا إلى العصر الأموي، و جدنا أن الحياة السياسية والدينية و الاجتماعية قد تغيرت، و تغيرت معها الحياة الأدبية وخاصة حياة الشعر، و اصطرع الشعراء على السبق و الغلبة، و كان لمَرْبد البصرة ما كان لسوق عكاظ في الجاهلية. فحبِي الشعر أيّما حياة، و عمرت مجالس الخلفاء بالشعراء، و استقر العرب في المدن و الأمصار و تأثروا بالحضارات الأجنبية، من جانبيها المادي و العقلي، فتطور شعرهم و تطورت بعد ذلك أذواقهم، ودخل النقد في عهد جديد يزخر بالنمو و التطور. و نشأت علوم العربية فكانت موادها وسائل و أدوات للنقد، و استحدثت مقاييس جديدة للنقد استمدت من النحو و اللغة و العَروض يحكم بها على الشعر، و استمرت تلك المقاييس طوال عهد بني أمية و صدرا من دولة بني العباس.

إلاّ أن هذا التطور لم يكن عاما في كل البيئات، ولا عند جميع الناس، بل إن بيئة تسبق أخرى تبعا لظروفها الخاصة، فتتباين شعرا و ذوقا ونقدا.

و أهم بيئات الشعر آنذاك، الحجاز و العراق والشام، أما بيئة **الحجاز** فكانت تحظى بالنعيم والرخاء، و شاع بينهم شعر الغزل، و بينما آثرت الحواضر – مكة و المدينة – الغزل الصريح، نجد بادية الحجاز تتجه إلى نقيض ذلك، و هو الغزل العفيف.

و كان لظهور هذين النوعين من الغزل أثر كبير في بعث نشاط نقدي واسع، " فقد أخذ كثير من الناس يوازنون بين هذا الشعر الجديد و الشعر القديم، كما أخذوا يوازنون بين نوعي الغزل: الصريح و العفيف، و لا يقف سبيل هذه الموازنة عند حدّ، فهو يطغى على كل الناس حتى الفقهاء، فسعيد بن المسيّب يسأل نوفل بن مساحق : من أشعر أعبيد الله بن قيس الرقيات أم عمر بن ربيعة؟ و يسأل غيره، هل جميل الشاعر البدوي العفيف أشعر، أو أبي ربيعة شاعر مكة الحضري؟ و يختلف الجواب باختلاف الذوق" [1].

ويقف النقد في الحجاز من الغزل الصريح موقفين متباينين. أحدهما امتدادا للنهج الأخلاقي الذي يرى أن الإسلام يحرّم الشعر الذي يدعو إلى الإباحية و هتك العفاف و تهييج الغرائز، و يدخل في هذا التيار ما نقله الأصفهاني في قوله : " كان ابن جريح يقول: ما دخل على العواتق في مجالسهن شيء أضرّ عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة"[2]، فهذا النوع من الغزل الصريح يؤثر في النفوس و يدفع الناس إلى المعاصي، و نجد بعض الناس ينهون عن رواية شعر بن أبي ربيعة و خاصة أمام النساء، و في هذا الصدد يروي صاحب الأغاني قول هشام ابن عروة[3] : " لا تُرَوُّوا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لئلا يتورطن في الزنا تورّطا، و أنشد :

(1) ضيف، شوقي. النقد. ص 25.

(2) (3) الأصبهاني. الأغاني. ج 1، ص 83.

لقد أرسلْتُ جاريـــــتي وقلت لها خذي حـــــذرك
وقولي في ملاحظـــــة لزينب نولـــي عمـــــرك"

بينما نجد طائفة من الناس لا يرون غضاضة حتى في هذا الضرب من الغزل، و أقبل بعضهم عليه على نحو إقبال عبد الله ابن عباس على عمر بن أبي ربيعة، حيث أنشده قصيدته: أمن آل نعم، و انصرافه عن نافع بن الأزرق الذي جاء يستفتيه في مسائل تتعلق بالدين، الأمر الذي أثار دهشة و استغراب نافع.

و لجأ مؤيدو هذا الغزل إلى تحليل و إيضاح مميزاته، و من ثم حكموا على الشعر، لا على الشاعر، و هذا موقف نقدي سليم، إذ ينطلق من النص لا من الأحكام المسبقة، و يسوق لنا صاحب الأغاني قول ابن أبي عتيق في شعر عمر بن أبي ربيعة: " لِشعر عمر نُوطة بالقلب، و عُلوق بالنفس، و درك للحاجة ليست لشعر، و ما عصي الله عز و جل بشعر أكثر مما عصي بشعر عمر، فخُذ عني ما أَصِف لك به أشْعَر قريش، من دَقّ معناه، و لطُف مدخله و سهُل مخرجه و متن حشوه، و تعطفت حواشيه، و أنارت معانيه، و أعرب عن حاجته" [1].

و نلمس من خلال هذا القول – و ربما لأول مرة – حكما نقديا يبرز فيه الاتجاه الفني بوضوح و دقة، حيث يميز فيه صاحب الحكم بين حاجة الشاعر التي يعبر عنها في شعره، و بين الحاجات النفسية التي يجدها المستمع لهذا الشعر، إذ تصبح تعبيرا عن مواقف نفسية و شعورية، و يثبت هذا صدق التجربة و عمقها حتى تصير تعبيرا عن حاجات نفسية إنسانية عامة.

و يركز صاحب الحكم على الشعر لا على الشاعر حين يقول : " لشعر عمر..." و " ما عصي الله بشعر..."، فالشعر هو الذي يؤثر في النفس، و يعلق بالقلب، لا عمر بن أبي ربيعة، و الشعر هو الذي يحمل المعصية لا الشاعر،

(1) الأصبهاني. الأغاني. ج 1، ص 113.

و يزداد هذا الحكم النقدي نضجا حينما يفضل صاحبه عمر بن أبي ربيعة على سائر شعراء قريش ثم يتبع ذلك بالتعليل و التحليل بما فيه من دقة في الألفاظ و دقة في المعاني، و لطف في المدخل و سهولة في المخرج إضافة إلى التعبير الدقيق عن المراد بكل صراحة و وضوح.

و مثل هذا النمط من الأحكام النقدية الناضجة يفتقر إلى استمراريته، إلا بين الفينة و الأخرى، حينما نجد بعض الومضات منه سرَدها الرواة في مصنفاتهم، مثلما يروي لنا **المرزباني** عم ابن عتيق حينما أنشده كثير عزة :

كذَبْن صفاء الوُدّ يوم محـلّه و أدركني من عهدهن رُهون

فقال ابن أبي عتيق : يا ابن أبي جمعة، فذاك و الله أصلح لهن، و أدعى للقلوب إليهن، كان عبيد الله بن قيس الرّقيات أعلم بهن منك، و أوضع للصواب مواضعة فيهن حيث يقول [1] :

حَبَّ هذا الدَّلُّ و الغُنْـــج و التي في طرْفهـا دَعَـــج
و التي إن حدَّثت كذَبـــت و التي في وعْدها خَلَـــج

فمعرفة نفسية المرأة و سلوكها ضرورة ملحة لدى الشاعر الغزِل، و هو مقياس المفاضلة بين الشاعرين كثيِّر ابن البادية، و ابن قيس الرقيّات الحضَري صاحب الخبرة و المخالطة للنساء، فما سمحت به بيئة الحاضرة من معرفة لنفسية المرأة و سلوكها، لم تسمح به البيئة البدوية لكثيّر، و من هذه الموازنة و صدور الحكم نلمس التحليل و التعليل لتدعيم الرأي و الموقف.

(1) **الموشح**. ص 238.

و تختلف البيئتان البدوية و الحضرية في الحجاز في نظرتيهما للمرأة، فبينما يسعى الشاعر إلى من يحب، و يبادر و يلح رغم تدلل المعشوقة الذي يزيده تعلقا بها و إعجابا، بينما الشاعر الحضري له سلوك آخر مع المرأة، ونلمس ذلك فيما ورد عن صاحب **الموشح**، أن كثيّرا قال لعمر بن ربيعة : " يا عمر – و قال بعضهم يا أخا قريش – و الله و الله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك، و لكنك تخطئ الطريق، تشبب بها ثم تدعها و تشبب بنفسك، أخبرني عن قولك [1]:

قالت لتِـرْب لها تحدّثهـــــا لتفسدن الطواف في عمـــــر
قومي تصدّي له ليبصرنـــــا ثم اغمزيه يا أخت في خفـــر
قالت لها غمزتـــه فأبـــــى ثم اسبطرّت تشتدّ في أثَـــري

فعمر ابن الحاضرة، و ما نتج عنها من علاقات بين الرجل و المرأة، وكثرة معاشرة النساء، قد ينسى طبيعة المرأة المتمنعة بطبعها عن التصريح للرجل، و يحوّل زمام المبادرة العاطفية لها، فهي التي تتبعه و تقطع طريقه، و تلاحقه، وهو الذي يتمنع و يختفي، وهذا سلوك لم يألفه كثيّر ابن البادية، صاحب التقاليد العريقة، و لذا نجد كثيّرا يواصل كلامه معلقا على هذه الأبيات:

" أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك، والله لو وصفت بها هرّة أهلك، كنت قد أسأت صفتها، أهكذا يقال للمرأة؟ إنما توصف بالخفر، و أنها مطلوبة ممنّعة "[2].

و يوازن كثيّر عزّة، بين عمر بن أبي ربيعة و الأحوص، فيرى أن الشاعر الأول نسب بنفسه و خالف عُرف المرأة و طبيعتها، فأساء التعبير، بينما وافق الأحوص سجية المرأة حينما تتدلل و تتمنع عمن يطلبها، و يتجلى ذلك في قول كثيّر لعمر: " هلاّ قلت كما قال هذا – و ضرب بيده على كتف الأحوص :

(1) (2) **الموشح**. ص 257.

لقد منعت معروفها أم جعفر و إنّي إلى معروفها لفقير
و قد أنكروا عند اعتراف زيارتي و قد وَغِرَتْ فيها عليَّ صدور
أزور و لولا أن أرى أمّ جعفر بأبياتكم ما زرت حيث أزور

هكذا و الله يكون الشعر وصفة النساء، فارتاح الأحوص و امتلأ سرورا و انكسر عمر"[1].

و هنا يبدو لنا دور الحكم النقدي حينما يكون معللا، مشفوعا بوسائل الإقناع، فإنه يترك أثرا بالغا في منقوده، فما انكسار عمر و صحته إلا دليل على اقتناعه بحجة كثير عليه، و ما امتلاء الأحوص سرورا و ابتهاجه إلا دليل آخر على مكانة كثير في إبداء الآراء النقدية و تقديم الحجة الدامغة، التي أعطت نشوة الانتصار و التفوق، و هي شهادة يعتز بها الأحوص و يقدرها، و ترفعه بين الشعراء.

و هذه الأحكام و الرؤى النقدية تغذيهم بها البيئة التي يعيشها كل شاعر، و التي تبلور ذوقه وحاسته الشعرية، فإن وظف كثيّرما أمدته به بيئته من أخلاقيات و أعراف البادية وجعلها معيارا لنقد عمر بن أبي ربيعة في الموقف السابق، فإنه ليس من العجيب أن نجد عمر بن أبي ربيعة في سياق حديث آخر يعيب على كثير عزة قوله :

ألا ليتنا يا عزّ كنا لذي غنًى بعيرين نرعى في الخلاء و نعزُب
كلانا به عُرٌّ فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدي و أجرب
إذا ما وردنا منهلا صاح أهله علينا فما ننفك نرمى ونضرب

تمنيت لها و لنفسك الرّق و الجرب و الرمي و الطرد و المسخ فأي مكروه لم تمن لها و لنفسك؟ لقد أصابها منك قول القائل: معاداة عاقل خيرمن مودة أحمق "[2].

(1) **الموشح**. ص 238.
(2) ضيف، شوقي. النقد. ص 26.

فعمر بن أبي ربيعة يرى بأن ذوق كثيّر فيه خشونة، لأنه من أهل البادية، و بالتالي فهو لا يحسن ملاطفة النساء بالقول الرقيق و لا يحسن التمني لصاحبته عزة، على نحو ما يحسنه عمر بن أبي ربيعة حين يقول : [1]

فعدي نائلا و إن لم تنيلي إنه يقنعُ المحـــبَّ الرجاء

ومهما تباينت الأحكام النقدية في البيئة الحجازية، فهي في مجملها أثر للذوق الحضري الجديد، الذي بدأ يؤثر على الأحاسيس و يرسم بصماته على ما يصدر من شعر أو نقد أو ذوق.

أما إذا تركنا بيئة الحجاز و اتجهنا صوب الشام و العراق وجدنا شيئا آخر يتمثل في زخم هائل من الأحكام النقدية تنوعت خصائصها وموضوعاتها.

ففي العراق، حيث البصرة و الكوفة و ما كان فيهما من شعراء وعلماء في اللغة و النحو و العروض و البلاغة ... و ما كان فيهما من اتصال باليهود و المجوس و النصارى، و ما كان فيهما من تلاقح للأفكار، و ما كان فيهما من فتن أنشأت الأحزاب السياسية المتعارضة مثل حزبَي الخوارج و الشيعة، اللذين كانا يعارضان حزب الدولة الأموية. فنشأ الجدال و الحوار في المسائل السياسية و الدينية، و كان لابد من أن ينشأ العقل أكثر من بيئة الحجاز المترفة، و استعادت القبائل خصوماتها الجاهلية، و نشطت العصبيات، فنطق بها الشعراء في النوادي و في المساجد و في الأسواق و الطرقات، و سوق المربد بالبصرة شاهد على هذا الحوار و الجدال، و ارتاده الشعراء و يكفي أن نذكر منهم شعراء النقائض جرير و الفرزدق و الأخطل و البعيث، و ما أثاروه من فخر و هجاء، وملاحظات نقدية أصدروها هم أنفسهم على بعضهم أو أصدرها عليهم شعراء آخرون.

(1) ضيف، شوقي. النقد. ص 26.

و تعددت مسائل النقد، فتعرضوا للفظ و المعنى، و البيت و القصيدة و المفاضلة بين الشعراء و القصائد و الأبيات، و حكم على الشاعر ببيت أو قصيدة أو غرض، و تتبعوا أخطاء الشاعر مهما كانت جزئية و دقيقة، و امتحنوا معارفه بالبيئة من حيوان و أماكن، و معارفه باللغة و النحو و العروض و غير ذلك.

لكن الأهم في بيئة العراق يدور حول مسألة المفاضلة بين الشعراء بوجه عام و خاصة الفرزدق و جرير و الأخطل بوجه خاص، و ربما كان أبو الفرج الأصفهاني خير من لخص رأي القدماء في هؤلاء الثلاثة إذ يقول: " و الفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير و الأخطل، ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول، أو يدل على مكانه بوصف، لأن الخاص و العام يعرفانه بالاسم و يعلمان تقدمه بالخبر الشائع علما يستغني به على الإطالة في الوصف..." [1].

فأما قدماء أهل العلم و الرواة " فلم يسووا بينهما - الفرزدق وجرير- وبين الأخطل، لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر، و لا له مثل ما لهما من فنونه، و لا تصرف كتصرفهما في سائره..." [2].

هذا فيما يخص المفاضلة بين الفرزدق وجرير من جهة و الأخطل من جهة ثانية إلا أن الحكم النقدي لم يكن مفصلا و لا دقيقا، بل كان بصفة مجملة لا تتكئ على معيار دقيق. ثم نجد الأصفهاني في تكملة خبره يتجه إلى تفصيل أكثر دقة حيث يقول: " وهم في ذلك طبقتان: أما من يميل إلى جزالة الشعر و فخامته و شدة أسره فيقدم الفرزدق، و أما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين، و إلى الكلام السمح السهل، فيقدم جريرا" [3].

(1) (2) الأصبهاني. الأغاني. ج 19، ص 94.
(3) المصدر نفسه. ج 19، ص 95.

فالرواة في هذا الخبر طبقتان، فمنهم من يميل إلى جزالة الشعر و فخامته و بالتالي يجد ضالته عند الفرزدق فيفضله، و منهم من يفضل السهولة و الرقة و الطبع فيفضل جريرا، و القضية كلها لا تعدو أن تكون ميلا و ذوقا عاما لدى الرواة و الشعراء، مع قليل من التعليل.

و من طريف ما روي في المفاضلة بين الشعراء ما رواه **المرزباني** في **موشحه** إذ يقول: " قيل للبَطِين : أكان ذو الرُّمَّة شاعرا متقدما؟ فقال البطين: أجمع العلماء على أن الشعر وضع على أربعة أركان: مدح رافع، أو هجاء واضع، أو تشبيه مصيب، أو فخر سامق، و هذا كله مجموع في جرير والفرزدق و الأخطل، فأما ذو الرومة فما أحسن قط أن يمدح، و لا أحسن أن يهجو، و لا أحسن أن يفتخر، يقع في هذا كله دونا، و إنما يحسن التشبيه، فهو ربع شاعر" [1].

و الملاحظ من خلال هذا الخبر أن الشاعر يجب أن يتحرك – إذا أراد أن يكون مكتملا– في هذه المجالات الأربعة، فعليه أن يتصل بالحكام و يطرق أبوابهم و يمدحهم بما ينال به رضاهم، و عليه أن يكون لسان قبيلته يمدحها و يشيد بها و يذود عنها بهجاء مقذع لأعدائها، مستغلا في ذلك ما أتيح لهذه البيئة من عودة إلى العصبيات و النعرات القبلية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، فيفخر بأمجادها و أمجاده ومقدرته على نظم الشعر و التفرد فيه، و أما ما يزيد هذا الشعر جمالا و تأثيرا في النفس فهو حسن التشبيه، بالتقاط ما يوائم المعاني من صور يرتاح لها العربي في تلك البيئة.

فهذا هو نموذج الشاعر الفحل الذي كانت تطلبه تلك البيئة ليكون لقبيلته أولحزبه سلاحا و ذخرا و مخلدا للمآثر.

(1) **الموشح**. ص 273.

و نقد الشاعر ذو أهمية بالغة، فالآذان تصغي إليه،و آراؤه النقدية ترفع و تنزل، و خاصة إذا كان الشاعر الناقد فحلا فبقية الشعراء يحتكمون إليه، و غالبا ما يعود النقد إلى الأغراض الأربعة التي سبق ذكرها، و قد روى **المرزباني** في الموشح إذ قال : " مرّ الفرزدق بذي الرّمة و هو ينشد :

أمنزلتَيْ ميٍّ سلام عليكما هل الأزمُن اللاّئي مضَيْن رواجع

فوقف حتى فرغ منها، فقال: كيف ترى يا أبا فراس؟ قال: أرى خيرا. قال : فمالي لا أعد من الفحول؟ قال : يمنعك من ذلك صفة الصحاري و أبعار الإبل" [1].

لقد أجاد ذو الرمة قول الشعر، و لكنه في وصفه لم يرض أذواق العرب، بذكره الصحارى و أبعار الإبل، و الإكثار من ذلك، و هو مما لم يألفه فحول الشعراء و لا يستسيغه الذوق العربي. و في موضع آخر، قال ذو الرّمة للفرزدق : " ما لي لا ألحق بكم معاشر الفحول؟ فقال له : لتجافيك عن المدح و الهجاء، و اقتصارك على الرسوم و الديار".[2]

و لم يكن النقد وقفا على الرواة و الشعراء، بل فتح المجال للنحاة و اللغويين أيضا، و استعان الرعيل الأول منهم في ملاحظاته النقدية بالطبع و السليقة، و اتسم نقدهم بروح الموضوعية بعيدا عن العصبية و الهوى، و قصد به العلم و التوجيه وخدمة الشعر من جميع مناحيه، و قد استعانوا بما هو متعارف عليه من نحو ولغة و عروض... فكانوا عونا على تقويم الشعر وتوجيه الشعراء، وخاصة من لم تكن لهم باللغة العربية معرفة جيدة، ممن دخلوا إلى الإسلام حديثا و انتسبوا إلى اللغة العربية. و من أشهر هؤلاء النحاة و اللغويين يحي بن يعمر البصري، و عنبسة الفيل، و عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، و أبو عمر بن العلاء.

(1) **الموشح**. ص 273.

(2) المصدر نفسه. ص 274.

و كان علماء اللغة والنحو الذين دخلوا ميدان النحو متأخرين يعتزّون بمقاييسهم النحوية في نقد الكلام و المفاضلة بين الشعراء، فهم لا يعتدون إلا بطائفتين : طائفة النحاة من أمثالهم و طائفة أعراب البادية لفصاحتهم و نقاء لغتهم و سلامة ذوقهم.

و نورد على سبيل التدليل خبرا يتضمن ملاحظة نقدية نحوية نعثر عليها فيما رواه ياقوت الحموي في معجم الأدباء، أن الحجّاج تحاور مع يحي ين يعمر البصري فقال له الحجاج : " أتجدني ألحن؟ فقال يحي : الأمير أفصح من ذلك. فقال : عزمت عليك لتخبرني فقال يحي: نعم، فقال له: في أي شيء؟ قال في كتاب الله تعالي، فقال : ذلك أسوأ، ففي أي حرف من كتاب الله؟ قال : قرأت : " قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم و إخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم" فرفعتَ " أَحَبُّ" و هو منصوب، فغضب الحجاج و قال: لا تساكنني ببلد أنا فيه، و نفاه إلى خراسان" [1].

فهذه الملاحظة من يحي بن يعمر على الحجاج لا تعود إلى السليقة و الحفظ فحسب بل تعود إلى صفته النحوية، حيث قال له: رفعت كلمة محلها النصب.

و كان من آثار هذا النوع من الملاحظات النقدية أنها تثير الشحناء و الخصومات بين أصحاب الملاحظات النقدية و من تصدر في حقهم من الشعراء و الحكام و غيرهم، و موقف الحجاج هذا من يحي بن يعمر لأوضح دليل على ذلك، رغم أنه علل حكمه، و كان من المفروض أن يُشكَر على ملاحظته، و لكنه نُفِي لأن الحجاج يرى في هذا الحكم انتقاصا من مكانته.

أما الخوارج، فكانوا يمثلون حركة أدبية نقدية أخرى بالعراق، فهم أكثر موضوعية و تجردا من الهوى و العصبية، و كان نقدهم يرمي إلى نقد الشعر لذاته

(1) عتيق، عبد العزيز. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 181.

و لقيمته الفنية، دون النظر إلى قائله أو عقيدته و انتمائه، وكان هدفهم الأكبر أن يجعلوا الشعر وسيلة لخدمة مذهبهم ومن ثم طوعوا أغراض الشعر المختلفة لآرائهم الخارجية.

و لهذا فقد جددوا في كل شيء، في موضوع الشعر، و معانيه، و غايته فهم يستمدون مواضيعهم من الإسلام، سياسيا و دينيا، و معاني شِعرهم مستمدة من القرآن بعيدا عن المعاني الجاهلية، و غايته تهدف إلى الجهاد في سبيل الحكم الصالح بعيدا عن أنظمة الفساد، و بذلك اتخذ الشعر الخارجي صفة جديدة مستقلة عن مألوف القصيدة الجاهلية أو الأموية، و من ثم فإن نقدهم كان يعود إلى مقاييس وضعها الرسول صلى الله عليه و سلم حين قال : " إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق فهو حسن، و من لم يوافق الحق فلا خير فيه".[1]

أما النقد في بلاد **الشام** التي كانت بها عاصمة الخلافة الإسلامية، دمشق، فكان يدور عموما حول المدح، و شعراؤه كانوا من الوافدين من الحجاز و العراق، طرقوا أبواب الخلفاء فمدحوهم و أخذوا ما تكرموا به عليهم من جزيل العطاء، " و لعل الشعر الوحيد النابع من صميم بيئة الشام هو شعر الغزل و الخمر الذي أثر على بعض أمراء الأمويين و خلفائهم ممن انغمسوا في حياة الغناء و اللهو و الشراب و الغزل، و لاسيما الوليد بن يزيد بن عبد الملك" [2].

و لما كان شعر المدح هو الغالب على أدب الشام، فقد أدى ذلك بمعظم النقد أن يتوجه إليه، و أكثر النقد في بيئة الشام قد صدر عن الخلفاء و الشعراء، و أهل الأدب و محبيه، و السمة الغالبة عليه أنه كان نقدا بسيطا فطريا يخضع للذوق العربي الخالص، بعيدا عن النقد العلمي الذي بدأ يتشكل في بيئة العراق و خاصة على أيدي الرعيل الأول من النحويين و أهل اللغة.

(1) ابن رشيق القيرواني، الحسن. العمدة. ج 1، ص 27.

(2) عتيق، عبد العزيز. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 257.

و كثرت في الشام المجالس الشبيهة بالمنتديات الأدبية العامة التي كان يؤمها الشعراء و غير الشعراء و كانت الأحاديث تدور طليقة دون قيد، حول الشعر إنشاءً و رواية و نقدا.

و على كثرة خلفاء الأمويين، إلا أن ثلاثة منهم قد شغلوا أنفسهم أكثر من غيرهم بالشعر و نقده و توجيه، و هم : عبد الملك بن مروان، و هشام بن عبد الملك، و عمر بن عبد العزيز.

و نعرض لبعض المواقف النقدية لعبد الملك بن مروان، الذي كان يعد الناقد الأول بلا منازع في بيئة الشام، ذلك أنه كان يتذوق الشعر و يتمثل به و ينقده، و لأنه كان حجازيا في نشأته، فقد كان يمتلك شخصية أدبية علمية، إضافة إلى رهافة الحسّ و حسن الذوق.

و ممّا روِي أنه كان يفضل الأخطل على بقية شعراء الإسلام و كان يلقبه بـ " شاعر أمير المؤمنين" و " شاعر العرب" و " شاعر بني أمية" و تعود هذه الألقاب المختلفة حسب ما يراه المحلّلون إلى أن الأخطل قد خص بني أمية بالمدح الوفير.

و كان عبد الملك بن مروان يفضل كثيّر عزّة و يرى شعره يسبق السحر و يغلب الشعر، و من طريف ملاحظاته النقدية ما رواه **المرزباني** في **الموشح** بقوله : " أنشد ابن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان :

يعتـــدل التاج فوق مفْرقـــــــه على جبين كأنـــــه الذهـــــب

قال : أما لمصعب بن الزبير فتقول:

إنّما مصعب شهـــــــاب من اللـــــــــه تجلّت عن وجهه الظلمـــــاء

و أما لي فتقول : على جبين كأنه الذهب" [1].

و في رواية قال له : " تمدحني بالتاج كأني من العجم"[2].

و الملاحظ أن نقد عبد الملك بن مروان يمتاز بدقة الملاحظة في هذا الخبر، فهو ينفر من أن يكون شبيها بالعجم، فنفر من هذا الوصف، و لذلك خلفية دينية تتمثل في نهي الرسول صلى الله عليه و سلم عن التشبه بالعجم، كما يدل هذا الحكم على الذوق الديني الذي كان يتحلى به الخليفة و توجيهه للشعراء و لغيرهم بأن يقتفوا أثره، و هو عامل رئيس في توجيه الذوق توجيها محافظا على الأقل من الناحية النظرية، و إن لم يكن يلتزمه من الناحية التطبيقية.

رغم كثرة الملاحظات النقدية في العصر الإسلامي – صدر الإسلام و الأموي – التي جرت على ألسنة الشعراء و غيرهم من الناس، فإنها لا تختلف كثيرا عن ملاحظات العصر الجاهلي، فقد كان في معظمه يعتمد على الذوق و الشعور، وهو لا يزال بسيطا غير معقد، و يصدر عن الوجدان الخاص للناقد، و لا يرجع إلى مقاييس دقيقة، و يبقى النقد في هذا العصر فطريا غير معلل، إلا في القلة القليلة، و بالخصوص عند طائفة اللغويين و النحويين، حتى اقتربوا به إلى الموضوعية و تشعبت بحوثه و تنوعت،و عُرفت له مقاييس و أصول.

(1) **الموشح**. ص 294.

(2) ضيف، شوقي. النقد. ص 30.

ثانيا : التآليف النقدية

كان النقد العربي قد بدأ منذ العصر الجاهلي نقدا تأثريا معتمدا على الذوق الفطري لا الفكر التحليلي، و استمر كذلك في صدر الإسلام و العصر الأموي، فاستساغ الناقد قصيدة أو بيتا من الشعر أو شطرا من بيت، فإذا هو يحكم على الشاعر بهذه الجزئية أنه أشعر الناس أو أشعر العرب أو غير ذلك من الأحكام التعميمية دون حاجة إلى تقديم التعليل و لا البينة النقدية، غير أننا وجدنا أنه في أواخر العصر الأموي قد بدأت تلوح آفاق جديدة لنقد عربي جديد، يتجه بعض الاتجاه إلى الناحية العلمية على أيدي اللغويين و النحاة، و أصبحت الموضوعية في النقد طريقا و منهاجا لكل ناقد قدير، خدمة للشعر من جميع نواحيه، بعيدا عن التعصب و الهوى.

و بهذا أرسوا مقاييسهم في نقد الشعر و المفاضلة بين الشعراء على قواعد علمية يساعدهم في ذلك ما أحاطوا به من دقائق اللغة و أصول النحو و أعاريض الشعر، و ما يجوز فيها و ما لا يجوز، و إن أدّى ذلك النقد المؤسس على قواعد علمية إلى خصومات كانت عنيفة أحيانا بين النقاد و الشعراء.

و يقبل العصر العباسي في الربع الثاني من القرن الثاني للهجرة، و قد تطور النقد العربي و اتسعت مجالاته، و تنوعت صوره و اتجاهاته، و تعددت مقاييسه، فورث النقاد هذه الثروة النقدية التي تراكمت من العصر الجاهلي إلى القرن الثاني، و بنوا عليها و أضافوا لها ما ابتدعوه من علم ومعرفة، ومقاييس نقدية جديدة، و بدأ العلماء و الرواة في التفرغ لجمع الشعر و تدوينه و تنقيحه و نقده، و اتخذوا ذلك عملا و صناعة.

و لم يكن النقد الأدبي بمعزل عن الحركة الأدبية و العلمية العامة في هذا العصر، بل كان ضمن هذا الاتجاه الشامل لجميع المعارف العربية، حيث بدأ المشتغلون بكل علم يجمعون آراء من سبقوهم و ينظمونها بطريقة علمية، ومنهم العلماء الذين اهتموا بالنقد و اتبعوا فيه منهجا تاريخيا، فوضعوا كتبا جمعوا فيها أشعار بعض الجاهليين و الإسلاميين و رتبوا أصحابها طبقات، و أشاروا إلى حياتهم و بعض آراء النقاد و الرواة فيهم وفي أشعارهم.

و في هذا الفصل أعرض إلى أهم الجهود النقدية المكتوبة، و أكتفي بالإشارات الطفيفة، وهذا استجابة لما يتطلبه المقام.

وأول كتاب في النقد و صل إلينا – كما يقول أغلب العلماء و المؤرخين – هو كتاب :

1- فحولة الشعراء للأصمعي :

عبد الملك بن قريب (122-216هـ)، " و يذهب ثلة من العلماء إلى أنه تقييدات استملاها تلميذه أبو حاتم السّجستاني من أجوبة شيخه الأصمعي على أثر حوار مفصل دار بينهما حول المشهورين من شعراء الجاهلية و الإسلام" [1].

و سواء أصحّت نسبة الكتاب للأصمعي أم أنه كان مجموعة تقييدات تلميذه السجستاني، فهو من أوائل ما دوّن من آراء نقدية مركزة في كتاب إن لم يكن أولها، و يبدو لنا الأصمعي في آرائه المقتضبة و كأنه يلخص ديوان شاعر، أو يوجز مجموعة خصائصه من خلال إجابته لتلميذه، السجستاني عن ذلك الشاعر.

(1) الربداوي، محمود. المتخير من كتب النقد العربي. ط 1. بيروت : مؤسسة الرسالة. 1981م. ص 13.

و يدور الكتاب من خلال اسمه حول فحولة الشعراء، و قياسهم بهذا المقياس، و أيهم يمكن أن ينضوي تحت هذا القياس، " فالفحل جملا كان أو فرسا " يتميز بما يناقض صفة " اللّين" التي يكرهها الأصمعي في الشاعر، و بالفحولة يتفوق على ما عداه" [1] و في معنى الفحولة يذكر **المرزباني في موشحه** أن أبا حاتم السجستاني : " قال : سألت الأصمعي عن الأعشى – أعشي بني قيس ين ثعلبة– أفحل هو؟ قال : لا، ليس بفحل، قلت له: ما معنى الفحل؟ قال : يريد أن له مزيّة على غيره كمزية الفحل على الحِقَاق، قال : وبيت جرير يدلك على ذلك، ثم أنشد:[2]

و ابنُ اللّبون إذا ما لُزَّ في قَرَن لم يستطعْ صولةَ البُزْل القناعيس

و من هنا فإن الأصمعي قد قسم الشعراء إلى فئتين : فحول و غير فحول، ثم إن الأصمعي جعل الفحولة تكريسا لعامل السبق الزمني، و ربما عاد تفضيله لأمرئ القيس على سائر شعراء الجاهلية إلى هذا المفهوم، لسبقه للشعراء زمنيا.

و الملاحظ في الحياة البدوية أن الفحل من الحيوانات هو الذي يخصص للإنجاب و من صفاته كبر السن و الصلابة، و يعادل موضوعيا هذا المعنى أي " الإنجاب" عملية الإبداع الفني، فهو أيضا خلق و إنجاب، وإذا كانت الخصوبة في الإنجاب تختلف من فحل إلى آخر من الحيوانات، فعملية الإبداع و الموهبة الشعرية هي الأخرى تختلف من شاعر إلى آخر.

و ترجع فحولة الشاعر عند الأصمعي إلى كمية الأشعار التي يتمكن من قولها فكلما كان غزير الشعر كلما اقترب من الفحولة، فالأصمعي حين سأله تلميذه أبو حاتم : " قلت فالحُوَيْدِرة ؟ قال : لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا، قلت : فمهلهل، قال : ليس بفحل، و لو كان قال مثل قوله :

(1) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 51.
(2) **الموشح**. ص 63.

* أليتنا بذي حسم أنيري *

كان أفحلهم ... و لو قال ثعلبة بن صُعَيْر المازني مثل قصيدته خمسا كان فحلا" [1].

فمهمة القصيدة النابعة من شاعر فحل، هي التعبير عن حياة البادية بألفاظها ومعانيها، و قد تنجز القصيدة الواحدة ما لا تنجزه خمس قصائد، فالغزارة و كثرة العدد ليست دائما مقياسا للفحولة.

و نجد الأصمعي في مواضع أخرى يضع مقابلا لمقياس الفحولة مقياسا آخر يدل على عدم الفحولة، و يسميه بالأنوثة، فحين سئل الأصمعي عن عدي بن زيد : " قلت فعدي بن زيد أفحل هو؟ قال : ليس بفحل و لا أنثى" [2] و من هنا فالفحولة تعني الرجولة، و عدم الفحولة تعني الأنوثة، و إذا كانت الفحولة لا تكون إلا في البادية، فالبداوة رجولة و الحضارة أنوثة.

و يظهر اهتمام الأصمعي بالسبق الزمني، من خلال رأيه في الفرزدق و صاحبيه: قلت فجرير و الفرزدق و الأخطل؟ قال : هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن، و لا أقول فيهم لأنهم إسلاميون" [3] فالمعيار هو الانتساب إلى الجاهلية، حتى تتحقق الفحولة، و لم يقدم سببا آخر قد يكون مقنعا و معقولا، فالجاهلية عرفت من الشعراء من هو مجيد و من هو ضعيف، يصل شعره أحيانا إلى الإسفاف، بل إن الشاعر في الجاهلية أو في غيرها من العصور تختلف قصائده من حيث الجودة و عدمها.

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب. فحولة الشعراء. تحقيق : تشالس توري. بيروت : دار الكتاب الجديد. 1971م. ص 12.

(2) المصدر نفسه. ص 11.

(3) المصدر نفسه. ص 12.

فالفحولة صفة عزيزة، و تعني التفرد، إذ يتطلب أن تغلب على الشاعر صفة الشعر على كل صفات أخرى في المرء، فحاتم الطائي لا يعد في الفحول لأن صفة الكرم غلبت عليه فنزعت منه صفة الشاعر، و نرى هذا المعنى من خلال ما أورده **المرزباني في الموشح** : " قلت : فحاتم الطائي؟ قال : حاتم إنما يعد في من يكرّم و لم يقل أنه فحل في شعره" [1].

و للأصمعي – عدا البداوة و صفة القوة و عدد القصائد – صفات أخرى يجب أن تتوفر في الشاعر، و هذه المستلزمات نقلها ابن رشيق في كتابه العمدة عن الأصمعي أنه قال : " لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب، و يسمع الأخبار و يعرف المعاني و تدور في مسامعه الألفاظ، و أول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزانا له على قوله، و النحو ليصلح به لسانه و ليقيم إعرابه، و النسب و أيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب و المثالب و يذكرها بمدح أو بذم"[2].

إذًا، فالمجال الثقافي للشاعر واطلاعه على معارف عصره و علوم اللغة و العروض و غيرها، تسهم جميعا في تكوين الشاعر.

و تبدو في كتاب فحولة الشعراء – رغم نقائصه – شخصية الأصمعي الناقد واضحة متميزة في جملة الأحكام النقدية التي ذكرها، و وجدت مكانها في كتب كثيرة، كالأغاني للأصفهاني و **الموشح للمرزباني** و غيرهما.

(1) **الموشح**. ص 119.

(2) ابن رشيق القيرواني، الحسن. العمدة. ج 1، ص 132.

والطريقة التي اتبعها في ترتيب طبقاته، تبدو في أغلبها تعتمد على الترتيب التاريخي، إذ جعل شعراء الجاهلية عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء، ثم تلاهم بثلاث طبقات أخرى هي : طبقة أصحاب المراثي، و طبقة شعراء القرى العربية، و طبقة شعراء اليهود، ثم جعل شعراء الإسلام في عشر طبقات أخرى، و انتهى بهذا إلى أواخر العصر الأموي، ولم يذكر من جاء بعدهم من شعراء عصره.

" و يذهب ابن سلام في كتابه إلى تغليب رأي الجماعة من أهل البصرة في ترتيبه لطبقاته، و يحكم ذوقه مستعينا بالآراء الشائعة في ترتيب طبقات الشعراء، و له بعد هذا كله منهجه الخاص في عدد الطبقات و تنزيل الشعراء منازلهم حسب القيم الفنية لأشعارهم وفق ما وضع في المقدمة " (1).

و من أهم القضايا النقدية التي تناولها الكتاب، قضية " الانتحال في الشعر، إذ أن الشعر العربي الذي وصلنا عراه بعض الزيف و الافتعال، و بعضه موضوع لا خير فيه مردود في عربيته و في معانيه و فوائده و قد قال في صدد كشف أسباب ذلك الوضع و الافتعال : " فلما راجعت العرب رواية الشعر و ذكر أيامها و مآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم و ما ذهب من ذكر وقائعهم و أشعارهم و أرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع و الأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة فزادوا في الأشعار" (2).

و تتعدد الأسباب التي يذكرها الجمحي، لكنها في أغلبها منطقية، خاضعة للتعليل و التحليل العلمي، و إذا كانت الروح القبلية قد جنت على نسبة من الشعر و الشعراء، فقد كانت من الطبيعي أن تفسد نقد الشعر أيضا، و يؤكد هذا ابن سلام بقوله : " إن العشائر قد قالت بأهوائها" (3).

(1) سلام، محمد زغلول. تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري. القاهرة : دار المعاريف. ص 98.

(2) الجمحي، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء. تحقيق : محمود محمد شاكر. ص 84.

(3) المصدر السابق. ص 16.

و لم يكتف ابن سلام بملاحظة ظاهرة الشعر الموضوع فحسب، بل سعى إلى تفسير أسبابها و كشف ملابسات وضعها و الطعن فيها، مستعملا الأدلة العقلية و النقلية الممكنة، و نأخذ على ذلك مثالا أغضب ابن سلام حينما تناول بالحديث عمل ابن إسحاق : " و كان ممن أفسد الشعر و هجنه و حمل كل غثاء منه محمد ابن إسحاق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف" [1].

و يضيف بصدد الشخص نفسه: الذي أورد في كتابه أشعارا لرجال لم يقولوا شعرا قطّ، و نساء لم يقلن شعرا قط، بل أورد أشعارا لعاد و ثمود، " ثم جاوز ذلك إلى عاد و ثمود، فكتب لهم أشعارا كثيرة و ليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف" [2].

ويردّ ابن سلام على هذا الإدعاء بأربعة أدلة، أولها من القرآن الكريم و هو دليل نقلي إذ ذكر القرآن أن الله أهلك عادا و ثمودا، و ثانيها، على أن اللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد، و ليس يصح في الأذهان أن يوجد شعر بلغة لم توجد بعد، و ثالثها أن عادا من اليمن، وهم لا يتكلمون العربية و رابعها يعود إلى تاريخ القصيدة العربية التي لم تظهر إلا قريبا من الإسلام، فأول من قصد القصائد و ذكر الوقائع المهلهل.[3]

و من الموضوعات التي اهتم بها كتّاب الطبقات "دور الناقد"، فهو أول من نص على استقلال النقد الأدبي، فأفرد الناقد بدور خاص حيث جعل نقد الشعر "صناعة" يتقنها أهل العلم بها، مثلما أن ناقد الدرهم و الدينار يعرف صحيحها من زائفها بالمعاينة و النظر" [4].

(1) (2) الجمحي، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء. ص 8.
(3) أنظر: إبراهيم، طه أحمد. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص ص 77-78.
(4) عباس إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 78.

فالشعر يقوم على دعامتين أساسيتين في نظر ابن سلام، إذ يقول: " و للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلوم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، و منها ما يثقفه اللسان" [1].

فالناقد يحتاج إلى تمرس بالأدب ومخالطة له حتى يكون بصيرا بكل جوانبه مميزا من بين أصنافه، الجيد و الأجود، وبين القوي و الضعيف، مثله في ذلك كمثل أصحاب الصناعات الأخرى، إذ الذوق وحده لا ينفع صاحبه بل يجب أن يدعمه الناقد، بوسائل المعرفة المختلفة وخاصة معرفة الشعر وما تعلق به، و هو في هذا يلتقي مع خلف الأحمر الذي ذكره في مقدمة كتابه، إذ قال قائل لخلف الأحمر : " إذا سمعت أنا بالشعر و استحسنته، فما أبالي ما قلتَ فيه أنت و أصحابك، قال له : إذا أخذت درهما فاستحسنته فقال لك الصراف : إنه ردئ، فهل ينفعك استحسانك له؟ "[2].

و إذا كان ابن سلام قد خاض جميع مسائل النقد في عصره، ثم التأليف فيه، فمن الطبيعي أن يقصر في بعض المواضع التي تصدى لها بعض النقاد من أمثال د.محمد مندور[*]، فإن فضل ابن سلام الجمحي لا ينكره إلا جاحد، فهو " أول من نظم البحث في النقد الأدبي في حدود ما نعرفه من كتب مدونة، ويعد كتابه هذا خلاصة ما قيل حتى عهده في شعر الجاهلين و الإسلاميين" [3]، فالكتاب تلخيص لآراء أساتذة الجمحي من النحويين و اللغويين الذين جاؤوا في القرن الثاني، وكان لهم نصيب من النقد، و قد جمع الآراء المبعثرة التي قيلت في الشعر و الشعراء، وهو من أوائل من سلكوا منهجا علميا في التأليف في مجال النقد الأدبي وطبقات الشعراء وتراجمهم.

---

(1) (2) الجمحي، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء. ص 7.

(*) أنظر مندور، محمد. النقد المنهجي عند العرب. القاهرة، الفجالة : دار نهضة مصر. 1972م. ص ص 21-22.

(3) الربداوي، محمود. المتخير من كتب النقد. ص 27.

" و يظل ابن سلاّم من خيرة نقاد العرب و يظل كتاب طبقات الشعراء من أهم كتب النقد الأدبي عند العرب، فقد جمع فيه بالإضافة إلى آرائه الخاصة كثيرا من آراء العلماء و الأدباء في النقد العربي منذ نشأته في الجاهلية حتى أوائل القرن الثالث الهجري " [1]، و يواصل الدكتور عبد العزيز عتيق قوله في قيمة الكتاب : " و قد ظل كتابه من بعده إلى اليوم مرجعا من أهم المراجع لدى كل من كتبوا و يكتبون في النقد الأدبي و تراجم الشعراء و تاريخ الأدب" [2].

و يقول الدكتور شوقي ضيف : " على كل حال هذا الكتاب هو خير ما جاءنا عن اللغويين حتى القرن الثالث للهجرة" [3].

و قال عنه الدكتور محمد مندور : " و إذن فابن سلام لم يتقدم بالنقد الفني إلى الأمام شيئا كبيرا، و إن كان قد صدر في تحقيقه للنصوص عن مذهب صحيح، وحاول أن يدخل في تاريخ الأدب العربي، اتجاها نحو التفسير ومحاولة للتبويب تقوم على أحكام فنية" [4].

(1) (2) عتيق، عبد العزيز. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 301

(3) ضيف، شوقي. النقد. ص 45.

(4) مندور، محمد. النقد المنهجي عند العرب. ص 22.

3- الشعر والشعراء- لابن قتيبة [213هـ - 270/ 276هـ]

مثلما كان الاهتمام عند العرب بالشعر و الشعراء، كان التأليف في هذا الموضوع واسعا، و الكتب التي أخذت هذا العنوان ديدنا لها، تستعصي على العد و الحصر، ذكر بعضها، صاحب الفهرست (*)، و غيره كثير، و من أهمها كتاب " الشعر و الشعراء" لابن قتيبة الذي قسمه إلى مقدمة و متن.

و صاحب الكتاب، هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أحد العلماء و الأدباء و النقاد، كان إماما في اللغة و الأدب و أخبار الناس و أيامهم، متفننا فيها، صادقا فيما يرويه، عالما بدقيق الشعر و معانيه" (1).

ولد على الأرجح بالكوفة سنة 213 هـ، ونشأ بها و تثقف على أهلها و أخذ العلم عن شيوخها، و تولى القضاء في دينور، فنسب إليها، و توفي سنة 276 هـ.

"و قد ذكر النووي أن مؤلفات ابن قتيبة تزيد عن ستين في أنواع العلوم، على حين ذكر غيره أنها تبلغ زهاء ثلاث مئة مصنَّف" (2).

و اتسعت اهتمامات الرجل فأخذ من كل علم وفن بطرف، أليس هو من قال : " من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا، ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع في العلوم". و هو عالم بالشعر محب له، و يتجلى ذلك من خلال مقدمته لكتاب " الشعر والشعراء" و من خلال محتوى الكتاب.

و لمقدمة كتاب " الشعر و الشعراء" قيمة قد تعادل قيمة الكتاب إن لم يكن في هذا القول مبالغة، فهذا القسم من الكتاب قد خصه الكاتب للحديث عن الشعر وطبقاته، وعناصره و قواعد نقده، و يحدثنا ابن قتيبة في مقدمته عن الغرض

(*) أنظر ابن النديم، محمد بن إسحاق. الفهرست. ص ص 27-225.

(1) الربداوي، محمود. المتخير من كتب النقد. ص 67.

(2) المرجع نفسه. ص ص 67، 68.

من تأليف الكتاب وموضوعه: " هذا الكتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء و أزمانهم و أقدارهم، و أحوالهم في أشعارهم، و قبائلهم، و أسماء آبائهم، و من كان يعرف باللقب أو الكنية منهم، و عما يستحسن من أخبار الرجل و يستجاد من شعره، و ما أخذته العلماء عليهم من الغلط و الخطأ في ألفاظهم و معانيهم، و ما سبق إليه المتقدمون، فأخذه عنهم المتأخرون"[1].

و أما بخصوص ترتيب الشعر و تصنيفه، فيقول: " و أخبرت فيه عن أقسام الشعر و طبقاته، و عن الوجوه التي يختار الشعر عليها و يستحسن لها، إلى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الأول "[2].

و بذلك فالكتاب مرجع من مراجع تاريخ الأدب، و من مراجع الأدب، و من مراجع النقد الأدبي العربي.

و الذي يعنينا هو الجانب النقدي فيه و موضوعاته، و منهجه في النقد أنه قصد أكثر ما قصد إلى المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب، و الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب و النحو و في كتاب الله و الحديث النبوي، و قل ذكره للمغمورين من الشعراء.

و قد خالف ابن قتيبة من سبقوه من النقاد، فقد فتح باب الحديث عن الشعراء المحدَثين، و أعلن مبدأ المساواة في نظر النقد بين القديم و الحديث، لأن القدم و الحدوث أمران نسبيان لا صلة لهما بالقيمة الفنية للأثر المدروس، فقال في ذلك : " فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له، و أثنينا به عليه، و لم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، و لا حداثة سنه، كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه و لا تقدمه" [3].

(1) (2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. الشعر و الشعراء. مراجعة محمد يوسف نجم و إحسان عباس. بيروت : دار الثقافة. 1964م. ص 59.

(3) المصدر نفسه. ص 63.

و هذا المقياس في النقد، يعتبر أول و أصح قياس للشعر و نقده، و هو أصل للنقد، تظهر من خلاله الموضوعية و الحياد تجاه النص الأدبي، بما تضمنه من جماليات و قيم فنية، دون اعتبارات أخرى خارجة عن النص في حد ذاته، كاعتبار الزمن، أو الشهرة أو مواقف منه.

و يواصل ابن قتيبة شرح مبادئ النقد الأدبي، وعاد بالشعر إلى عنصرين أساسيين: اللفظ و المعنى، فكل منهما له قيمته و من ثم قسم الشعر إلى أربعة أضرب و هي :

- ضرب حسن اللفظ و المعنى.
- ضرب حسن اللفظ و ليس بحسن المعنى.
- ضرب حسن المعنى، مقصر اللفظ.
- ضرب تأخر معناه و لفظه.

و قد عاب ابن قتيبة على الأصمعي اختياره لميمية المرقّش، و إعجابه بها، رغم ما فيها من عيوب اللفظ و المعنى، و الخطأ في الوزن و الروي، و هذان البيتان اللذان اختارهما الأصمعي يقول فيهما المرقش : [1]

هل بالديار أن تجيب صَمَـــمْ　　لو أنّ حيّا ناطقـا كلّـــــمْ

يأبى الشبابُ الأَقْوَرِيــن ولا　　تَغْبِط أخاك أن يقــال حكَــم

فقال ابن قتيبة معلقا عليهما: " و العجيب عندي من الأصمعي إذ أدخله في متخيره، و هو شعر ليس بصحيح الوزن، و لا حسن الروي، و لا متخير اللفظ، و لا لطيف المعنى..." [2].

(1) (2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. الشعر و الشعراء. ص 72.

و من الأمور المتعلقة بروح الشعر، ظاهر " التكلف و الطبع" و قد أشار إليها ابن قتيبة و قسم الشعراء إلى متكلفين و مطبوعين ، و فصل قوله و بين رأيه في الطائفتين، إذ يقول معرفا كلا منهما : " و من الشعراء المتكلف و المطبوع. فالمتكلف هو الذي قوَّم شعره بالثِّقاف، و نقَّحه بطول التفتيش، و أعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير و الحُطيئة".[1] و يستشهد على ذلك بقول أستاذه فيقول : " و كان الأصمعي يقول: زهير و الحطيئة و أشباههما من الشعراء عبيد الشعر، لأنهم نقحوه، و لم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين".[2] و استشهد بالحطيئة أيضا حتى يدعم موقفه فقال:" و كان الحطيئة يقول : خير الشعر الحولي المحكك، و كان زهير يسمي كبير قصائده الحوليات"[2].

و قد بين ابن قتيبة مظاهر التكلف التي لا تخفي على أهل العلم بالشعر فقال : و تتبين التكلف في الشعر أيضا بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره و مضموما إلى غير لِفْقِه. و لذلك قال عمر بن لَجَإٍ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك، قال : و بم ذلك؟ فقال : لأني أقول البيت و أخاه، و لأنك تقول البيت و ابن عمه" [4].

و لا يخفى علينا أن صلة القرابة بين الأخ و أخيه تكون أكثر لحمة و ترابطا من صلة الإنسان بابن عمه.

ثم يفصل الحديث عن المطبوع من الشعراء معرفا إياهم: " و المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر و اقتدر على القوافي، و أراك في صدر بيته عجُزَه، و في فاتحته قافيته، و تبينْتَ على شعره رونق الطبع و وشي الغريزة، و إذا امتحن تلعثم و لم يَتَزَحَّر" [5].

(1) (2) (3) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. الشعر و الشعراء. ص 78.
(4) المصدر نفسه. ص 90.
(5) المصدر نفسه. ص 99.

إلا أن درجات الطبع تختلف من شاعر إلى آخر، و من غرض إلى غرض، إذ يقول : و الشعراء أيضا مختلفون في الطبع: منهم من يسهل عليه المديح و يعسر عليه الهجاء، و منهم من يتيسر عليه المراثي و يتعذر عليه الغزل" [1].

و حدد ابن قتيبة البواعث على قول الشعر، و أوقات الإجادة في قول الشعر، كما طالب بإتباع نظام القصيدة القديمة، و غير ذلك من الأحكام و المواقف النقدية التي كان لها أثر بالغ في توجيه النقد و النقاد إلى التطور و النهوض بالأدب و الشعر، رغم أن " الكثير مما أسهم به ابن قتيبة في تدعيم حركة النقد في عصره كان مسبوقا إليه، و لكنه استطاع بفضل روحه العلمية أن يرتبه و ينظمه، و أن يضع منه قواعد النقد، هذا إلى جانب ما أضافه للأدب و تاريخه بالنسبة للشعراء الذين ترجم لهم في كتابه" [2].

و كان ابن قتيبة " من أوائل النقاد الذين لم يتهيبوا الوقوف عند القضايا النقدية الكبرى، كما كان من أبرزهم التفاتا إلى العوامل النفسية و المبنى الفني الكلي... وضع ابن قتيبة استنتاجات تدل على خاطر ذوقي نقدي أصيل، كانت كفاءً بنقل النقد إلى مرحلة جديدة " [3].

إلا أن هناك من قلل من جهود ابن قتيبة حين قال :

" وجاء ابن قتيبة فلم يهدنا في الشعر إلى جمال جديد، و لم يسبح بنا في آفاق جديدة، وما زاد على أن أخذ تلك العناصر المتفرقة فضم أشتاتها، و وضعها في أصول قاصرة عن أن تستوعب كل شيء في الشعر" [4].

(1) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. الشعر و الشعراء. ص 93.
(2) عتيق، عبد العزيز. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 392.
(3) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 115.
(4) إبراهيم، طه أحمد. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 129.

و يبدو هذا الحكم الأخير قاسيا، منقصا الرجل حقه، الذي اعترف له به جل الأدباء و النقاد و أشادوا بجهوده الجبارة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك قبل هذا الحكم الأخير، و ما صمود الكِتاب و ما فيه قيم نقدية إلى وقتنا إلا دليل آخر على قيمة الكتاب و سبقه في كثير من الأمور.

4- قواعد الشعر لأبي العباس ثعلب [200هـ/ 291هـ]:

هو [1] أحمد بن يحي بن يسار، أبي العباس ثعلب الشيباني، إمام الكوفيين في النحو و اللغة و الثقة و الديانة، ولد سنة 200 للهجرة، و توفي سنة إحدى و تسعين و مائتين، و قد بلغ تسعين سنة، و كان رأى أحد عشر خليفة، أولهم المأمون و آخرهم المكتفي.

من أساتذته، محمد بن سلام الجمحي، و محمد بن زياد الأعرابي، و الزبير ابن بكار، و خلق كثير.

و روى عنه محمد بن العباس اليزيدي، و علي بن سليمان الأخفش، و أبو بكر بن الأنباري، و خلق كثير، و من تلاميذه : أبو المعتز و قدامة بن جعفر و الصولي.

و الكتاب " قواعد الشعر" محط شك من بعض النقاد و المؤرخين، و قد رأى الدكتور محمود الرّبداوي أن كتابا موسوما بقواعد الشعر ذكره المترجمون للمبرد لا لثعلب [2]. أما الدكتور إحسان عباس فيقول: " أن نسبة الكتاب إليه محط شك – فيما أرى– إذ لم تشر المصادر القديمة إلى كتاب له بهذا الاسم" [3].

(1) (2) الربداوي، محمود. المتخير من كتب النقد العربي. ص ص 113، 114.
(3) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 83.

و كتاب " قواعد الشعر" في عمومه لا يخرج عن كونه صورة للأحكام التي سبقت الأصمعي و ابن سلام، فقد " كانت غاية جهده في رواية الشعر أن يفسر ما فيه من غريب، و ليس له في " مجالسه" تعليق نقدي واحد "[1]، و فيما يتعلق بمنهجه في تناول الشعراء بالتقويم أنه : " إذا تحدث عن الشعراء أورد تعليقات مجملة سريعة مثل قوله: " الفرزدق و جرير أشعر من جميل" [2]، دونما تفسير و لا تعليل لذلك التفضيل لشاعر على آخر، و هذا ما كان يصبغ الأحكام النقدية في العصرين الجاهلي و الإسلامي، و أحكامه عامة ذوقية و ذاتية لا موضوعية ، فكان يقول مثلا: " زهير أشعر شعراء الجاهلية و الحطيئة بعده، و جرير أشعر شعراء الإسلام و بعده المرّار الأسدي، و جرير في صدر الإسلام كزهير في صدر الجاهلية" [3].

و المتبع لكتاب قواعد الشعر، لأبي العباس ثعلب، يجد المؤلف يتجه في تحديده للمصطلحات النقدية، اتجاها فريدا من نوعه، يتسم بالغرابة و اللامنطقية، و يرى بأن قواعد الشعر هي: الأمر و النهي و الخبر و الاستخبار، و أن فنون الشعر الأخرى من مدح و رثاء و اعتذار و غيرها، إنما تتبع من هذه القواعد المذكورة آنفا ثم يضيف إلى هذا حديثا آخر يراه ضروريا للشعر، و يتمثل في لطافة المعنى و حسن الخروج و مجاورة الأضداد و المطابقة، ثم حديثا آخر عن جزالة اللفظ و اتساق النظم غير أنه لا يعطي تفصيلا و لا استيفاء للشرح بل في سطور قليلة و دون تبرير و لا اتساق حينما ينتقل من موضوع إلى آخر.

و يبدو أن ثعلب في كتابه متأثر بالخليل بن أحمد، إذ تحدث عما يخل باتساق النظم من سناد و إقواء و إكفاء و إجازة و إيطاء. كما أن " عدّهُ الخبر و الاستخبار و الأمر و النهي قواعد للشعر إنما هو عودة إلى الأصول النحوية التي وضعها الخليل" [4].

(1) (2) (3) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 83.
(4) المرجع نفسه. ص 85

و من المصطلحات النقدية البارزة و الغريبة أيضا في كتاب " قواعد الشعر" هو مصطلح "الفرس" الذي أخذ الكثير من صفاته و طبقها على وصف الشعر،" فالبيت إما معدل أو أغرّ أو مُحَجَّل أو مرجّل، أما الأغرّ و المحجّل فهما واضحا العلاقة بالفرس، و أما المعدّل فلعلها صفة تومئ إلى اعتدال جانبي الجواد، و أما المرجل فلعله يعني البياض في رِجل واحدة" (1).

و تبقى صورة الفرس بينة في شرحه لكل مصطلح، و" منهجه في كل قسم من هذه الأقسام أن يبدأ بتعريف القسم ثم تتبع التعريف بنماذج من شعر الجاهليين و الإسلاميين، يكتفي بإيرادها دون التعقيب عليها" (2).

فالمؤلف من خلال منهجه في التأليف و التصنيف، لم يتعد ابتكار المصطلح ثم توسيع دلالته أحيانا، كما أنه اهتم كثيرا بالحديث عن البيت بشكل مستقل و أهمل الحديث عن علاقته بالأبيات الأخرى، فمفهوم القصيدة قد تناساه، لأنه أمعن في التجزئة و التقسيم للبيت الشعري الواحد، ثم أنه عاد إلى زمن " أحسن بيت" الذي ظهر قبل ابن سلام.

و قد اعتبر د.محمد زغلول سلام " كتاب قواعد الشعر لثعلب من المحاولات الهامة لدراسة الشعر في القرن الثالث بعد كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة، و إن اختلف منهج الكتابين" (3)، و يرى أن ثعلب "يقترب في منهجه من نقد الشعر لقدامة ابن جعفر و الصلة بينهما كبيرة " (4)، و يرجح د. سلام أن يكون ثعلب و قدامة بن جعفر قد اعتمدا مصدرا واحدا، لم يعلم خبره إلى الآن، أو أن ثعلب "قد انتهج هذا المنهج مبتدئا متأثرا بسابقيه من النقاد أمثال ابن سلام و الجاحظ و ابن قتيبة، ومستخلصا لآرائهم مرتبا إياها في صورة قواعد و تعريفات مختصرة، وهذا ما نرجحه" (5).

(1) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 85.

(2) الربداوي، محمود. المتخير من كتب النقد العربي. ص 115

(3) (4) (5) سلام، محمد زغلول. تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري. ص 124.

و يكفي أن هذا الكتاب – بمنهجه – كان فاتحة الطريق لكتب أخرى، تنهج نهجه في التجزيئية و إمعان العقل، و كثرة التفصيل في دقائق الكلمة، و يكفيه أنه أحرز السبق على كتابي " البديع" لابن المعتز، و " نقد الشعر" لقدامة بن جعفر.

5- البديع لابن المعتز [ت 296 هـ] :

أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولد سنة 247 و قتل سنة 296 هـ.

من شيوخه محمد بن عمران بن زياد و أحمد بن سعيد الدمشقي ومحمد بن يزيد المبرد و الحسين بن عليل العنزي.... جالس هؤلاء و التقى بغيرهم كأبي العباس ثعلب، كما كان يلتقي فصحاء الأعراب و يأخذ عنهم [1].

و كان ابن المعتز عالما و شاعرا مجيدا، و أديبا متميزا، و ناقدا فذا، له العديد من المؤلفات المتنوعة، أكثرها في الأدبيات و النقد، و أهمها في المجال النقدي " كتاب الآداب" و كتاب "طبقات الشعراء المحدثين" و رسالة في محاسن شعر أبي تمام و مساويه، أورد منها **المرزباني** في كتابه "**الموشح**" في مآخذ العلماء على الشعراء، بعض الصفحات [2]. و له كتاب " البديع" و ديوان شعر متعدد الأغراض.

و المتأمل في مقدمة كتاب البديع، يدرك أن الدافع إلى تأليف الكتاب كان الرد على مزاعم بعض معاصري ابن المعتز، في أن بشار بن برد، و مسلم بن الوليد، و أبا نواس هم أول من استعمل البديع في أشعارهم ونلمح ذلك في قوله في المقدمة:

(1) الربداوي، محمود. المتخير من كتب النقد العربي. ص 127.
(2) **الموشح**. ص ص 470-474.

" ليعلم أن بشارا و مسلما و أبا نواس و من تقبلهم و سلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، و لكنه كثير في شعرهم فعرف في زمانهم، حتى سمي بهذا الاسم. فأعرب عنه و دل عليه" [1].

إذًا، فإكثار هؤلاء الشعراء من استعمال هذا اللون من الفن " البديع " في أشعارهم هو الذي جعل عصرهم يعرف به، و جعلهم يعرفون به، أما وجود البديع فقد كان منذ القديم، و يصرح ابن المعتز أنه عثر عليه عند المتقدمين و في القرآن و الحديث، فيقول في المقدمة : " قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن و اللغة و أحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كلام الصحابة و الأعراب و غيرهم و أشعار المتقدمين، من الكلام الذي سماه المحدثون البديع "[2].

و يحاول ابن المعتز أن يظهر استياءه من ادعاء بعض المحدثين بأنهم أتوا بفن البديع، و لم يكن معروفا من قبل، و يجعل غرضه من تأليف الكتاب تعريف الناس بأن المحدثين لم يسبقوا إلى هذا الفن فيقول : " و إنما غرضنا من هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع" [3].

و يبدو من خلال هذه الأقوال لابن المعتز، أن ثمة صراعا بين أنصار القديم و أنصار الحديث، و نلمح ميله إلى من سبقوه من المتقدمين ونفوره من مزاعم المحدثين، كما أن ابن المعتز في موضع آخر من كتابه يقول بأنه هو أول من جمع فنون هذا العلم و نظمها في أبواب و يحدد تاريخ تأليف كتاب البديع، فيقول : " و ما جمع فنون البديع و لا سبقني إليه أحد"، و ألفته سنة أربع و سبعين و مائتين" [4].

---

(1) (2) ابن المعتز، عبد الله. كتاب البديع. ط2. نشر أغناطيوس كراتشكو فسكي. بيروت : دار المسيرة. 1982م. ص 1.

(3) المصدر نفسه. ص 3.

(4) المصدر نفسه. ص 58.

و يرى الدكتور عبد العزيز عتيق" أن القضية لم تكن قضية فنون بديعية تجمع و تحصى بمقدار ما كانت قضية خصومة بين القدماء و المحدثين" [1].

إذا، فالخصومة كانت حافزا لجمع هذه المادة البديعية في كتاب لأول مرة في تاريخ الأدب و النقد، و الاستشهاد فيه بما ورد من أساليب القدماء و القرآن والحديث و الصحابة و غيره كان تأكيدا لفكرة أن القدماء كان لهم السبق في كل شيء، و الفضل يرجع إليهم فيما ادعاه المحدثون لأنفسهم، من سبق إلى فنون البديع.

و قسم ابن المعتز كتاب "البديع" إلى خمسة أبواب رئيسية – كما يرى – و هي : الاستعارة، و الجناس، و المطابقة، و مرد أعجاز الكلام على ما تقدمها، و المذهب الكلامي.

و كان ابن المعتز يعرف بهذه الأبواب ثم يضرب لذلك أمثلة من القرآن و الحديث و أشعار العرب القدامى و غيرهم، و يتبع ذلك بالمعيب منها، لغرابتها أو عدم لياقتها، أو لبعد ذوقها عن الاستساغة مع ضرب الأمثلة لذلك.

و حينما يصل ابن المعتز إلى الباب الخامس وهو " المذهب الكلامي، يقول: " و هو مذهب سماه الجاحظ، و هذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا و هو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا" [2].

و الإشارة إلى الجاحظ هنا هي إشارة إلى المعتزلة و علماء الكلام الذين لجأوا إلى التكلف الذي يسوق إلى تخريج المعاني المعروفة سابقا إلى ما يشبه الجدة، و يسأل د. محمد مندور سؤالا ثم يجيب عليه: " فهل " المذهب الكلامي" هذا قد استطاع أو يستطيع أن يحدد معاني الشعر؟ ذلك ما لا نظنه" [3].

(1) عتيق عبد العزيز. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 396.
(2) ابن المعتز، عبد الله. كتاب البديع. ص 53.
(3) مندور، محمد. النقد المنهجي عند العرب. ص 66.

و لم يكتف ابن المعتز بذكر الأبواب الأصيلة و الأساسية لعلم البديع، بل أضاف لها ثلاثة عشر بابا أخرى من محاسن الكلام و الشعر وقد قال عنها ابن المعتز : " و محاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها، عن علمه و ذكره" (1).

أما فيما يخص تأثر ابن المعتز في كتاب " البديع"، فقد أشار هو نفسه إلى الأصمعي الذي له بحث في الجناس، و الجاحظ الذي سمى " المذهب الكلامي ".

غير أن باحثي تاريخ النقد العربي، قد رأوا بأن ابن المعتز قد تأثر بأرسطو، وخاصة بما جاء في كتابي " الشعر" و " الخطابة"، و لما يخص العبارة و تركيبها، وما يدخل عليها من الصنعة اللفظية كإعجاز و غيره، و قد تتبع د. محمد مندور هذه الموضوعات المتشابهة و علق عليها" (2).

غير أم محمد مندور في موضوع آخر يقول عن كتاب البديع: " فابن المعتز قد ساعد على خلق النقد المنهجي بتحديده لخصائص مذهب البديع، و وضعه اصطلاحات لتلك الخصائص، وعنه أخذ من جاء بعده" (3).

ولكتاب البديع مكانته في تاريخ البلاغة و النقد، فهو أول كتاب من نوعه يتناول الأدب تناولا فنيا، و يعرض بالشرح للعناصر التي تزيده حسنا " محاسن الكلام و الشعر"، و بهذا الكتاب انتقل النقد العربي إلى مرحلة جديدة غير مسبوقة، تتمثل في العناية بدراسة العبارة و نقدها، لا نقد الأفكار و المعاني فحسب كما كان الشأن قديما، و لم يعد النظر إلى الصور التعبيرية و الأساليب من جهة الأخطاء اللغوية و الإعرابية و من عيوب الوزن و القافية، بل تعداه إلى جماليات الصورة و الأساليب و صياغتها.

(1) ابن المعتز، عبد الله. كتاب البديع. ص 58.

(2) أنظر، مندور، محمد. النقد المنهجي عند العرب. ص ص 61 – 65.

(3) المرجع نفسه. ص 61.

" و لعلنا لا نبعد إذا قلنا أن ابن المعتز هو الذي انحاز بالبديع العربي إلى الزخرف المادي، و جعله لا يهتم اهتماما واسعا بالزخرف العقلي أو المعنوي... فقد وقف بعمله عند الزخارف الحسية"[1].

و بن المعتز من وجهة نظر الدكتور شوقي ضيف " كان فنانا عالما يحسن وضع المصطلحات الفنية... و لكنه لم يفهم الزخرف العقلي، و لذلك لم يسقط في كتابه أي تعريف بلون من ألوانه سوى ما سماه بالمذهب الكلامي، وقد نقله عن الجاحظ دون فهم واضح له، و عابه بما فيه من تكلف" [2].

6- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي [ت 322 هـ] :

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا.. بن الحسن بن علي ابن أبي طالب. شاعر مفلق و عالم محقق، شائع الشعر، نبيه الذكر، مولده أصبهان، و بها مات في سنة 322هـ، وله عقب كثيرة بأصبهان، فيهم علماء و أدباء و نقباء مشاهير، وكان مذكورا بالذكاء و الفطنة و صفاء القريحة و صحة الذهن و جودة المقاصد، معروف بذلك مشهور به [3].

وهو مصنف كتاب " عيار الشعر"، كتاب " تهذيب الطبع"، كتاب " العروض" لم يسبق إلى مثله، كتاب في المدخل في معرفة المعمي من الشعر، كتاب في تقريظ الدفاتر [4].

(1) ضيف، شوقي. الفن و مذاهبه في الشعر العربي. ط 6. مصر : دار المعارف. ص 266.
(2) المرجع نفسه. ص ص 265، 266.
(3) (4) الربداوي، محمود. المتخير من كتب النقد. ص 143.

و لا شك أن كتاب "عيار الشعر" قد جمع بين ذوق الشاعر وعلم الناقد، فصاحبه شاعر اختار بذوقه النصوص الشعرية التي أوردها في كتابه و حكم و فاضل بين الشعراء، و بين مواطن الجمال و القبح في تلك النصوص، مع ذكر أسباب فساد الشعر، و ما يلاحظ في النصوص التي يختارها هوَ طولها غالبا، إذ هو لا يعتمد على إيراد البيت أو البيتين بل القطعة تلو الأخرى.

و أهم القضايا و الأحكام النقدية التي أوردها تتمثل فيما يلي :

أ- تعريف الشعر :

فيحدده من الناحية الشكلية الظاهرية، فالوزن من خصائصه و هو ليس مجرد عروض و تفعيلات تتعلم، بل تحتاج إلى طبع وموهبة، و يعرّف كل ذلك بقوله : " الشعر – أسعدك الله- كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خص به من النظم، الذي إن عدل به عن جهته مجّته الأسماع، و فسد على الذوق، و نظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه و ذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، و من اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض و الحذق به" [1].

فالشعر موهبة و ذوق و طبع، و هذه لا تكتسب، و ما الوزن إلا أهون عناصر الشعر، فهناك شاعر مطبوع ينفعه تعلم العروض، و يزيده براعة، و شاعر متكلّف لا ينفعه تعلم العروض إلا من جهة التثقيف.

(1) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي. عيار الشعر. تحقيق : طه الحاجري و محمد زغلول سلام. القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى. 1956م. ص 3.

ب- أدوات الشعر :

و يبدأ فيها بالحديث عمّا يلزم من أدوات قبل ممارسة الشعر فيقول: " و للشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه و تكلف نظمه، فمن تعصت عليه أداة من أدواته لم يكمل له ما يتكلفه منه، و بان الخلل فيما ينظمه، و لحقته العيوب من كل جهة" (1).

فأدوات الشعر ضرورية، بل هي حتمية لكل من أراد أن يستقيم شعره و يسلم من العيوب، و من هذه الأدوات : " التوسع في علم اللغة، و البراعة في علم الإعراب، و الرواية لفنون الآداب، و المعرفة بأيام الناس و أنسابهم، و مناقبهم و مثالبهم، و الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، و التصرف في معانيه، و في كل فن قالته العرب فيه، و سلوك مناهجها في صفاتها ومخاطباتها و حكاياتها و أمثالها، و السنن المستدلة منها، و تعريفها و تصريحها، و إطنابها و تقصيرها ..." (2).

و يطيل ابن طباطبا هذه الأدوات و أنواعها إمعانا منه في الدقة و الإحاطة بما يلزم لنظم الشعر و يخلص إلى نتيجة وهي أن " جماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميز الأضداد، و لزوم العدل و إيثار الحسن، و اجتناب القبيح، و وضع الأشياء في مواضعها" (3).

فالشاعر الذي لا يحيط بهذه المستلزمات أو بأغلبها، لا يصل إلى نظم شعر جيد يقبله الناس، و يقبلون على سماعه و روايته، إذاً، فلابد أن يسلك طريق القدماء في نظم القصائد و عليه أن يتذوق بأذواقهم، و الإلمام بعمود الشعر العربي وما يتبعه، حتى لكأن ابن طباطبا يشير إلى ما لحق الشعر العربي من لحن و خطأ تسبب فيه المحدثون.

(1) (2) (3) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي. عيار الشعر. ص 4.

ج- بناء القصيدة :

و يبدو في هذا الجزء من كتابه ناقدا مدققا، محاولا نقل تجربته في قول الشعر إلى الناشئين وفق مراحل متسلسلة، و يبدو كذلك أنه من أصحاب الصنعة، و يذهب في توجيهاته إلى الفصل بين اللفظ و المعنى، و يعود ذلك إلى استفادته ممن سبقه من النقاد و خاصة الجاحظ و ابن قتيبة، كما فصل بين الفكرة و الموضوع و التعبير عنه، فالقصيدة تتم على خطوات: " فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة تخص المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، و أعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه و القوافي التي توافقه، و الوزن الذي يسلس له القول عليه"[1].

و يواصل سرد خطوات نظم القصيدة إلى نهايتها، و يقارن ابن طباطبا- كغيره من بعض النقاد من أمثال ابن سلام و الجاحظ و ابن رشيق و غيرهم- بين صانعي الشعر، و صنعة النسج و الصياغة، و ما كلمات : النسيج و السبك و النظم و الترصيع- إلاّ مصطلحات من تلك الصناعات و تحولت إلى مصطلحات للنقد، فهو يقول عن الشاعر: " ... و يكون كالنساج الحاذق الذي يُفَوِّف وشيه ... و كالنقاش الرقيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه ... و كناظم الجوهر الذي يؤلف بين النفيس منها و الثمين الرائق ... و كذلك الشاعر إذا أسس شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولَّد ..." [2].

أما بالنسبة للمعاني فيشترط لها الصدق في التشبيهات و الحكايات، والموافقة لما أراد وصفه أو التعبير عنه، و ألا تختلف عما ألفته العرب، و أن تتدرج القصيدة من غرض إلى آخر، فيقوم بناؤها على أساس من الترابط الموضوعي المحكم، و لهذا " يحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلـــة لطيفـــة،

(1) (2) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي. عيار الشعر. ص 5.

فيتخلص من الغزل إلى المديح، و من المديح إلى الشكوى، و من الشكوى إلى الاستماحة، ومن وصف الديار و الآثار إلى وصف الفيافي و النوق... بألطف تخلص و أحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله"[1].

فالناقد هنا قد حدد نظاما معينا، وجب أن يسلكه الشاعر في ترتيب أغراض قصيدته، و نلاحظ أنه خالف نظام القصيدة القديمة الذي تبناه ابن قتيبة، و تخلى ابن طباطبا عن ترتيب القصيدة الذي ساد في العصر الجاهلي، و رسم طريقا آخر للمحدثين.

و قد دعا ابن طباطبا إلى مراعاة الشاعر و هو ينظم قصيدته مستوى و حال المستمع للقصيدة، إذ أن لكل مقام مقال، فموضوع القصيدة يجب أن يكون ملائما للمخاطب، " فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، و يتوقى حطها عن مراتبها، و أن يخلطها بالعامة، كما يتوقى أن يرفع العامة إلى درجات الملوك، و يعد لكل معنى ما يليق به، و لكل طبقة ما يشاكلها" [2].

د- فنون الشعر و أساليبه :

يرى ابن طباطبا أن الشعر لا يستوي في درجته عند كل من يستمعون إليه أو يقرأونه، ذلك أن الشعر طبقات مثل ما هم الناس طبقات في عقولهم و أذواقهم و درجات أفهامهم، فالشعر: " مختلف كاختلاف الناس في صورهم و أصواتهم و عقولهم و حظوظهم و شمائلهم و أخلاقهم ... وكذلك الأشعار هي متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس" [3].

(1) (2) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي. عيار الشعر. ص 6.
(3) المصدر نفسه. ص 7.

و يقسّم الأشعار إلى مجموعة من الأنواع: " فمن الأشعار أشعار محكمة متقنة أنيقة الألفاظ حكيمة المعاني، عجيبة التأليف... و منها أشعار مموهة مزخرفة عذبة تروق الأسماع و الأذهان إذا مرّت صفحا.... وبعضها كالخيام الموتدة التي تزعزعها الرياح، وتوهيها الأمطار و يسرع إليها البلي" (1).

إذاً فالشعر محكم متين لا يزول جماله، و لا تنحط قيمته، ومزخرف براق، سرعان ما تتكشف حقيقته و تذروه الرياح.

كما نجد في الكتاب حديثا عن قضية القدماء و المحدثين، و يرى أن لكل منهما فضائله و مساوئه، فإذا أحرز القدماء السبق إلى المعاني العذارى، و الصدق في التعبير الشعري، فإن المحْدَثين أيضا قد نالوا الفضل بما صنعوه من بديع التعبيرعن المعاني التي سبقهم إليها القدماء، ومراعاة تطور أذواق الناس التي يتطلبها العصر الجديد.

ونلاحظ في كتاب "عيار الشعر" تقلّبا بين مصطلحات النقد ومصطلحات البلاغة، إذ يعرض إلى التشبيهات و تقسيماتها وعَرَض للصلة بين المشبه و المشبه به و غير ذلك، إذ يقول : " فإذا تأملت أشعارها و فتشت جميع تشبيهاتها و جدتها على ضروب مختلفة تتفرع أنواعها، فبعضها أحسن من بعض... فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض، بل يكون كل ما شبه بصاحبه مثل صاحبه..." (2).

و كتاب " عيار الشعر" تطبعه ظاهرة الاستطراد، إذ يتحدث عن موضوع ثم ينشغل عنه بفكرة هامشية ثم بموضوع آخر، و يعود مرة أخرى للموضوع الذي كان يتحدث فيه سابقا، و مثل ذلك ما نجده عندما تناول قضية اللفظ و المعنى في بداية الموضوع ثم لجأ للحديث عن أدوات الشاعر و بناء القصيدة ثم عاد للحديث عن اللفظ و المعنى مرة أخرى، و هذه الظاهرة تجلت بوضوح في كتابات الجاحظ.

(1) (2) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي. عيار الشعر. ص 7.
(3) المصدر نفسه. ص 11.

هـ- عيار الشعر :

" و عيار الشعر هو مقصد كتابه، و قطبه الذي يدير القول حوله، و عياره و قياسه، و اختياره، و سبر غوره" [1] و يعتبر ابن طباطبا الشعر صناعة كغيره من الصناعات و بهذا فبعض مقاييسها تصلح مقاييس للشعر، و ينفرد الشعر عن بقية الصناعات بمقاييس خاصة لا تصلح إلاّ له.

يقول ابن طباطبا : " و عيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب، فما قبِله و اصطفاه فهو واف و ما مَجَّه و نفاه، فهو ناقص" [2]، و لا فهم إلا بالعقل و الإدراك للأشياء، و قد جعل ابن طباطبا للعقل مقياسا يأنس له، إذ لا يرتاح الفهم إلا للحق و الصواب، و لكنه ينفر من كل كلام جائر، باطل منكر، "فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوما مصفّى من كدر العيّ، مقوّما من أود الخطأ و اللحن، سالما من جور التأليف موزونا بميزان الصواب لفظا و معنى و تركيبا. قبِله الفهم و ارتاح له، و أنس به [3].

و مادام الشعر وليد الإحساس و الشعور و الانفعال، فلا بد له من حسن الوقع في النفس المستمعة، وحسن الإيقاع في الأذن يحملها إليها اللفظ المتخيّر، و من ثمّ ينشأ الطرب عند المتلقي و يتجاوب مع ما يلقى عليه من نغمات و معانٍ و أصوات، لذا نجد ابن طباطبا يشبه الشعر بالغناء المطرب الذي يتألف من عناصر ثلاثة و هي: اللفظ و المعنى و اللحن المطرب، و هنا يقول : " و إن نقص جزء من أجزائه ... وهي اعتدال الوزن، و صواب المعنى، وحسن الألفاظ، كان إنكار الفهم إياه على قصد نقصان أجزائه، مثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه و لفظه مع طيب ألحانه" [4].

---

(1) سلام، محمد زغلول. تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري. ص 162.

(2) (3) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي. عيار الشعر. ص 14.

(4) المصدر نفسه. ص 15.

و يبدو ابن طباطبا متأثرا بالبيئة الاجتماعية المحيطة به، فهي بيئة كثر فيها الغناء و الطرب، فضرب مثلا بهذه الصورة التي تلقي بظلالها على العقول و النفوس، كما نلحظ اهتمام الناقد باللذة التي تصحب الشعر المعتدل، و لكل حاسة لذتها حسب ما يرى ابن طباطبا : " فالعين تألف المرأى الحسن و تقذى بالمرأى القبيح الكريه، و الأنف يقبل المَشَمّ الطيّب، و يتأذّى بالمنتن الخبيث، و الفم يلتذ بالمذاق الحلو، و يمجّ البشع المرّ ..." [1].

فالجمال الشعري يحقق المتعة و الطرب : " حتى لقد نُعِدّ ابن طباطبا واحدا من النقاد الجماليين" [2]، مع أنه يقرن هذه المتعة الجمالية بما تحققه من قيم أخلاقية حين يقول: " فإذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التام البيان، المعتدل الوزن، مازج الروح و لاءم الفهم ... فسلّ السّخائم، و حلّل العُقَد، و سخّي الشّحيح، و شجّع الجبان" [3].

و إذا كان من شروط الشعر المحكم الاعتدال، فالاعتدال يعني أيضا الصدق المناقض للجور الذي تحدّث عنه ابن طباطبا، " و الفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ... و يستوحش من الكلام الجائر الخطأ الباطل" [4].

و نجد في الكتاب أنواعا للصدق نوردها مجملة: فمنه الصدق عن ذات نفس الشاعر، و هذا ما يسمى اليوم " بالصدق الفني، أو إخلاص الفنان في التعبير عن تجربته الذاتية" [5]، و منه " صدق التجربة الإنسانية عامة، و هذا يتمثل في قبول

(1) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي. عيار الشعر. ص 14.
(2) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 141.
(3) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي. المصدر السابق. ص 16.
(4) المصدر نفسه، ص 14.
(5) عباس، إحسان. المرجع السابق. ص 142.

الفهم للحكمة" [1]، إذ يقول ابن طباطبا: "... لصدق القول فيها و ما أتت به التجارب منها" [2]، ومنه الصدق التاريخي إذ يجعله الكاتب عند : " اقتصاص خبر أو حكاية كلام" [3]، و منه الصدق الأخلاقي الذي ينفر عن الكذب، و هو في هذا متأثر بموقف عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ الذي أثنىعلى زهير بن أبي سلمى لأنه كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه، فهو يقول : " و مع هذا فإن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء وفي صدر الإسلام من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها، مديحا و هجاء و افتخارا و وصفا و ترغيبا و ترهيبا، إلا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر، من الإغراق في الوصف و الإفراط في التشبيه، و كان مجرى ما يوردونه مجرى القصص الحق و المخاطبات بالصدق ..." [4]. أما الصدق الأخير فيتمثل في صدق التشبيه و التصوير، فعلى الشاعر أن يدقق في تشبيهاته حتى تحقق التقارب و التوافق و تبعد عن الغلو و المبالغة، إذًا فعلى الشاعر أن: " يعتمد الصدق و الوفق في تشبيهاته" [5].

و قد أشار ابن طباطبا إلى الشعر ونظم الحكايات و القصص، إذ يجوز للشاعر أن يلجأ إلى بعض الضرورات، فيتحايل على النظم، ليوافق بين ما تقتضيه القصة في تسلسلها و حوارها و يقتضيه الشعر من وزن و قافية.

(1) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 142.
(2) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي. عيار الشعر. ص 120.
(3) المصدر نفسه، ص 43.
(4) المصدر نفسه، ص 9.
(5) المصدر نفسه، ص 6.

كما تطرق إلى مسألة السرقات الشعرية، وخاصة سرقات المحدثين و قد التمس لهم الأعذار، فرغم أنهم سبقوا إلى المعاني فإنهم جدّدوا فيها و قدموها في حُلّة أجمل، " و إذا تناول الشاعر المعاني التي قد سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعَب، بل وجب له فضل لطفه و إحسانه فيه" [1]، ثم ينصح ابن طباطبا أن يغير الغرض الذي وجد فيه ذلك المعنى الذي يريد أن يسرقه من غيره، حتى لا ينكشف عيبه، " فإذا وجد معنى لطيفا في تشبيب أو غزل استعمله في المديح، و إن وجده في المديح استعمله في الهجاء، و إن وجده في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف الإنسان... وإنْ وجد المعنى اللطيف في المنثور من الكلام أو في الخطب و الرسائل فتناوله و جعله شعرا كان أخفى و أحسن" [2].

فلا عيب إذاً في الاستفادة من معانٍ سبق إليها الآخرون، شرط أن يتم تحسينها إما بالأسلوب اللفظي الجميل، أو بتغيير موقع المعنى، فالمعاني ليست حكرا على أحد، و هو في هذا يذكرنا بما ذهب إليه الجاحظ، من أنَّ المعاني مطروحة في الطريق، و العبرة بالصياغة اللفظية.

و "عيار الشعر"، كتاب نقدي، لقيَ اهتماما كبيرا من الدارسين، لما فيه من قيم نقدية و مواقف أدبية، أشرنا إلى بعضها، و يكفي دليلا على ما فيه من إيجابيات ونقائض أن نذكر قول د.إحسان عباس فيه: " و قد نعده في تاريخ النقد الأدبي حلقة متممة لما جاء به ابن قتيبة.. و كانت لديه أثاره من ثقافة فلسفية أو اعتزالية أفادته في تعميق نظرته عامة، و إن لم تلهمه أحكاما بعينها، كما أنها لم تمنح كتابه اتّساقا في التبويب و التأليف، و لذلك جاء مقالة استطرادية في النقد معتمدة على صفاء الذوق الفني دون سواه" [3].

(1) ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي. عيار الشعر. ص 76.
(2) المصدر نفسه، ص ص 77، 78.
(3) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 133.

و إذا كان ابن طباطبا مسبوقا بجهود نقدية قيمة " فإن فضل الرجل يتمثل في أمرين: الأول، في استيعابه ذلك كله بذوق أدبي مصفى، و ثانيهما، في تخليصه نقد الشعر من طغيان العقلية العلمية على الملكات الأدبية، ثم جاء نقده التوجيهي مؤسسا على نظرة موضوعية بريئة من النزوع الذاتي في أكثرها، و هو ما أكسب نقده صفة التأصيل الموضوعي للشعر و نقده في إطار الشواهد التطبيقية" [1].

7- نقد الشعر لقدامة بن جعفر [ت 337 هـ] :

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد، الكاتب البغدادي ولا يعرف له نسب فوق هذا، كان قدامة نصرانيا ثم أسلم على يد المكتفي بالله، و كان أحد البلغاء الفصحاء، و الفلاسفة الفضلاء، و ممن يشار إليه في علم المنطق، ولد قدامة ابن جعفر في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري، و توفي على الأرجح سنة 337 هـ [2].

أخذ قدامة بن جعفر عن ابن قتيبة و المبرد و ثعلب، و اشتهر بالكتابة و الحساب و المنطق والبلاغة و نقد الشعر، و له مصنفات كثيرة [3]، منها : كتاب الخراج، و كتاب نقد الشعر، و كتاب صابون الغم، و كتاب صرف الهم، وكتاب جلاء الحزن، و كتاب دِرْيَاق الفكر، و كتاب السياسة، و كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام [4]، وكتب أخرى كثيرة.

و ينقسم هذا الكتاب النقدي إلى مقدمة وثلاثة فصول :

(1) عامر، فخر الدين. أسس النقد الأدبي في عيار الشعر. ط 1. القاهرة : عالم الكتب. 2000م. ص 12.

(2) الربداوي، محمود. المتخير من كتب النقد العربي. ص 161.

(3) طبانة، بدوي. قدامة بن جعفر و النقد الأدبي. ص 50.

(4) الربداوي، محمود، المرجع السابق. ص 162.

أما المقدمة فيقول فيها: " و لم أجد أحدا وضع في " نقد الشعر" و تخليص جيده من رديئه كتابا" [1]، و هذا قول غريب، إذ أن هنالك من ألّف قبله في ميدان نقد الشعر و تخليص جيده من رديئه، منذ ابن قتيبة في الشعر و الشعراء، إلى ابن طباطبا في عيار الشعر و غيرهما، فقد يكون هذا الزعم من قدامة إهمالا لقيمة هذه الكتب أو أنه لم يطلع عليها بتاتا.

و الاحتمال الأول أقرب إلى الصواب ، فقدامة يرى أن من تناولوا هذا الموضوع كانوا يخبطون فيه خبط عشواء إذ يقول : " فأما علم جيد الشعر من رديئه فإن الناس، يخبطون في ذلك منذ تفقهوا في العلم، فقليلا ما يصيبون" [2].

كما أنه عاتب المقصرين في التأليف في باب تخليص جيد الشعر من رديئه، فقال، " و لما وجدت الأمر على ذلك و تبينت أن الكلام في هذا الأمر أخصّ بالشعر من سائر الأسباب الأخرى، و أن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع" [3].

فالنقد في نظر قدامة "عِلْم" ومجاله تخليص الجيّد من الرديء في الشعر، أما سائر ما يتعلق بالشعر من الأقسام الأخرى التي أشار إليها في أول المقدمة، من عروض و وزن وقواف وغريب لغة و معان فهي من الأمور غير الأساسية في نقد الشعر.

و أما الفصول الثلاثة الأخرى، فالأول حول حدّ الشعر و عناصره، والثاني حول نعوت جودة الشعر، و الثالث حول عيوب الشعر.

(1) ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر. تحقيق عبد المنعم خفاجي. بيروت : دار الكتب العلمي. د-ت. ص 61.

(2) (3) المصدر نفسه. ص 62.

و في حد الشعر يقول قدامة بن جعفر: " أنه قول موزون مقفى يدل على معنى" [1]، " و منذ البداية يبدو قدامة متأثرا بالمنطق الارسطاليسي، متجاوزا المفهوم اليوناني للشعر في آن معا" [2]، و نلحظ ذلك من خلال تفصيلاته لكل جزء من أجزاء تعريفه للشعر، فهو يتوسم ثقافته المنطقية، بالحديث عن الجنس و اتباعه بفصله، فالقول جنس، و الموزون فصل له عما سواه من القول غير الموزون، وهكذا مع بقية فصول التعريف، " و قولنا مقفى" فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف و بين ما لا قوافي له و لا مقاطع، و قولنا " يدل على معنى" يفصل ما جرى من القول على قافية و وزن مع دلالة على معنى، بما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى" [3].

و من المسائل التي تعرّض لها قدامة بن جعفر عناصر الشعر، و يقسمها إلى بسيطة و مركبة، فالبسيطة هي : اللفظ و المعنى و الوزن و القافية، أما العناصر المركبة فهي :

1- ائتلاف اللفظ مع المعنى.
2- ائتلاف اللفظ مع الوزن.
3- ائتلاف المعنى مع الوزن.
4- ائتلاف المعنى مع القافية.

وعلى الناقد إذا أراد أن يقوّم أي نص شعري أن ينظر إلى هذه العناصر - بسيطة و مركبة - جميعا، حتى يتعرف على " نعوتها" و"عيوبها" و يتمكن من مقاييس الشعر التي تعيّن له ما في الأثر من جودة أو رداءة.

(1) ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر. ص 64.
(2) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 191.
(3) ابن جعفر، قدامة. المصدر السابق. ص 64.

و من الأمور الهامة التي تناولها قدامة بن جعفر في الفصل الثاني "تعوت" العناصر البسيطة و اشترط في اللفظ " أن يكون سمحا، سهل مخارج الحروف من مواضعِها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة " [1] و أعطى لذلك أمثلة.

أما نعت الوزن فيجب " أن يكون سهل العروض" [2] و أن يتوفر على " الترصيع، و هو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به، أو من جنس واحد في التصريف" [3] و تلا ذلك بنماذج تمثيلية، لما يصفه من نعت الوزن.

و نعت القوافي " أن تكون عذبة الحرف، سلسة المخرج، و أن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها" [4]. و هو ما يسمى بالتصريع، ثم دلل على ذلك بأمثلة من أشعار العرب و خص منهم الأوائل من العصرين الجاهلي و الإسلامي كامرئ القيس و حسان بن ثابت و غيرهما.

و أما نعت المعاني، فيطيل فيه الحديث، ويشغل الجزء الأكبر من الكتاب و يعمل فيه المنطق، و يحاول حصر المعاني و يربطها بالأغراض الشعرية الآتية : " المديح و الهجاء و المراثي و الوصف و التشبيه" [5] " و نعت النسيب" [6] و لكل غرض نماذج تبين حسناته و عيوبه، و عموما فإنه يمكن القول أن العيوب نقيض للحسنات، ثم يذكر في الكتاب ما يجب أن يتوفر من صفات حتى تكون المعاني جيدة، و هي صحة التقسيم، و صحة المقابلة، و صحة التفسير، و التتميم و المبالغة

(1) ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر. ص 74.
(2) المصدر نفسه. ص 78.
(3) المصدر نفسه. ص 80.
(4) المصدر نفسه. ص 86.
(5) المصدر نفسه. ص 91.
(6) المصدر نفسه. ص 134.

و التكافؤ (و هو الطباق)، و الالتفات، ثم يذكر أضدادها المعيبة، وهي فساد التقسيم، وفساد المقابلات، و فساد التفسير، و الاستحالة، و التناقض، و إيقاع الممتنع و مخالفة العرف، و نسبة الشيء إلى ما ليس له.

أما إذا حاولنا تجاوز المعاني في عنصرها البسيط إلى حالتها المركبة مع اللفظ أو ما سماه قدامة " ائتلاف اللفظ مع المعنى" [1] وجب توفر الشروط التالية : المساواة و الإشارة و الإرداف أي الكناية، و التمثيل و المطابقة و المجانسة، و من عيوب هذه النعوت عيبان وهما : الإخلال بالمعنى و الزيادة التي تفسد المعنى.

أما ائتلاف المعنى و الوزن فيحتاج إلى الاستيفاء و التمام و الصحة، و لم يذكر أمثلة مؤيدة لهذا الجزء.

و على نفس المنوال يذكر نعت ائتلاف اللفظ و الوزن، و نعت ائتلاف القافية، بشروط و شواهد.

و يشير في الفصل الثالث إلى عيوب كل عنصر من عناصر الشعر الآنفة الذكر، فعلى سبيل المثال يذكر أن عيوب " اللفظ" " أن يكون ملحونا و جاريا على غير سبيل الإعراب و اللغة.. و أن يرتكب الشاعر فيه ما ليس يستعمل و لا يتكلم به إلا شاذا، و ذلك هو الحُوشي" [2] " و من عيوب اللفظ: المعاظلة، ... وهي مداخلة الشيء في الشيء" [3].

أما عيوب "الوزن" فمنها "الخروج عن العروض"[4] و كذلك " من عيوبه التَّخلُّع، و هو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط تزحيفه و جعل ذلك بِنْيَة للشعر كله حتى ميله إلى الانكسار و أخرجه من باب الشعر".[5]

(1) ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر. ص 153.
(2) المصدر نفسه. ص 172.
(3) المصدر نفسه. ص 174.
(4) (5) ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر. ص 178.

و عيوب القوافي هي نفسها العيوب التي عرفها القدماء، و منها "التجميع" و هو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي متهيئ لأن تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلافه" (1) و قدم لذلك مجموعة شواهد شعرية.

و منها " الإقواء" و هو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة مثلا و أخرى مخفوضة" (2) و منها " الإيطاء" و "هو أن تتفق القافيتان في قصيدة، فإن زادت على اثنتين فهو أسمج، فإن اتفق اللفظ و اختلف المعنى كان جائزا" (3) و منها " السناد" و " هو أن يختلف تصريف القافيتين" (4) " أي اختلاف في الحركات قبل الروي" (5).

و أما عيوب المعاني، فيعيدها إلى أغراض الشعر المختلفة و التي عد منها – كما أسلفت الذكر في صفحة 57 – المديح و الهجاء و المراثي و التشبيه و الوصف و الغزل ثم ذكر عيوبا عامة للمعاني كفساد الأقسام، و فساد المقابلات و غيرها.

و لكن الملاحظ على قدامة بن جعفر أنه عدّ التشبيه من الأغراض الشعرية شأنه شأن المدح أو الهجاء أو المراثي، وهذا غير صحيح، ذلك أن التشبيه من علم البيان، وهو من المعاني الأصيلة التي لا يستقيم الشعر إلا بها قلّت أو كثرت، و التشبيه يستعين به الشاعر في المدح أو الرثاء أو النسيب أو الوصف، و قد سبق قدامة أستاذه أحمد بن يحي ثعلب في كتابه الذي أشرت إليه " قواعد الشعر".

ثم يخلص الناقد قدامة بن جعفر إلى ذكر عيوب العناصر المركبة، و يفيض في ذكر الألوان البلاغية المعيبة لها، يعرفها و يمثل لها بالشعر القديم و المحدث " و بـــهذا أخذ يبتعد عن النقد الخالص و يقترب من البلاغـــة و قواعدهـــا فأثّل هذه

(1) (2) المصدر نفسه. ص 181.

(3) (4) المصدر نفسه. ص 182.

(5) طبانة، بدوي. قدامة بن جعفر و النقد الأدبي. ص 243.

المصطلحات البلاغية التي أخذ على نفسه تبعة تعريفها و توضيحها و الاستشهاد عليها" [1].

و الملاحظ أيضا على كتاب " نقد الشعر" من خلال مضمونه أن صاحبه كونه يعتبر الشعر صناعة كبقية الصناعات، كان من السهل على الناقد أن يتعلم أسس هذه الصناعة و يعرف جيدها و رديئها و وسائطها و من ثم يتمكن من النقد المحكم المبني على هذا العلم، فالكاتب يؤمن إيمانا مطلقا بالقواعد النقدية النظرية، "و بذلك هدر المؤلف، بصنيعه هذا كل قيمة للذوق الفردي، و الشخصية الذاتية في النقد" [2] و كأني به يقول للناس: إنه من السهل على كل راغب في أن يكون ناقدا أن يكونه، و ذلك بتعلم قواعد النقد النظرية و إحسان تطبيقها على الآثار الشعرية.

و قد وصف د. محمود الربداوي النزعة التقريرية القاعدية التي سلكها قدامة ابن جعفر في كتابه " نقد الشعر" بالجدة والخطورة، فالجدة لأنّ قدامة بن جعفر " لم يسبقه أحد من النقاد إلى مثل هذا الاتجاه القاعدي الصارم في النظر إلى الشعر".[3]

و أما الخطورة فتكمن في تلك القوالب المتحجرة التي تحد من تطور الأدب و تفرض عليه قواعد ثابتة تقضي على الأصالة و الذوق الشخصي عند كل من الأديب و الناقد على حد سواء.

كما نلحظ في الكتاب إهمال قدامة بن جعفر الحديث عن العاطفة و الوجدان، كونه واقعا تحت تأثير النزعة العقلية الصّرفة.

(1) الربداوي، محمود. المتخير من كتب النقد العربي. ص 167.
(2) المرجع نفسه. ص 168.
(3) المرجع نفسه. ص 169.

و لم يهتم أيضا بالسرقات الأدبية، التي أخذت حيزا كبيرا من اهتمام من سبقه من النقاد، و اشترط في المعنى أن يكون طريفا و غريبا، بل إن الشاعر حرّ فيما يلجأ إليه من المعاني و " أن المعاني كلها معرضة للشاعر، و له أن يتكلم منها فيما أحب و آثر، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، و الشعر فيها كالصورة كما يوجد في كل صناعة" [1].

و من إيجابيات مؤلَّفه، الدقة و الوضوح كما يشير إلى ذلك د. إحسان عباس[2] في نظرة إجمالية إلى قدامة الناقد، فقد بنى أسسا نقدية متكاملة، و غاص بذكائه الفذ على أمور دقيقة في المعاني، و آمن بأن النقد يقوم على نظرية محددة، كما وصفه بأنه نسيج وحده، إذ أراد أن يكون " معلم" النقد في تاريخ الأدب العربي، كما كان أرسطاليس في تاريخ " المنطق" و في "كتاب الشعر" و لكن حيث كان كتاب الشعر عاملا حافزا، كان كتاب قدامة كالمعلم المتزمّت، أو سرير بروكرست، مَنْ كان طويلا فلا بد أن يُقَصّ جزء منه كي يستطيع أن ينام فيه.

و لكن رغم ما فيه من مآخذ، يبقى هذا الكتاب من الكتب النقدية و البلاغية التي لها باع " في تاريخ الأدب العربي، فقد كان له نفوذ واسع بين المؤلفين في هذا الميدان منذ أبي هلال العسكري و ابن سنان الخفاجي إلى ضياء الدين بن الأثيـــــر و ابن أبي الأصبع في القرن السابع "[3].

(1) ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر. ص 65.

(2) أنظر : عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 214.

(3) سلام، محمد زغلول. تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري. ص 197.

و قدامة في تاريخ النقد – كما يقول د. بدوي طبانة[1]، معدود في مقدمة النقاد الموضوعيين، و كتاب " نقد الشعر" هو الذي وضع أسس هذا النقد الموضوعي في تاريخ النقد العربي وهو الذي أشار إلى المنافذ التي يستطيع الناقد المنصف أن يطل منها على ما يريد من الأعمال الأدبية، و يضع حدا للإسراف في الإدلاء بالأحكام التي تنبعث عن الذاتية و الهوى، و يحاول أن يجعل من النقد صناعة واضحة المعالم، بيّنة الحدود.

و أما الدكتور محمد مندور فيرى جانبا سلبيا إذ يقول: " و الناظر في كتاب قدامة يجد الاتجاه البلاغي الشكلي الذي انتهى بذلك العلم إلى التحجر"[2] و يقول أيضا: " و إذًا فمحاولة قدامة ظلت شكلية عميقة، وهي لم تدخل يوما ما في تيار النقد العربي، و لئن كان النقاد لم يجهلوه بدليل ورود اسمه غير مرة في كتبهم، فإنهم لم يكادوا يتأثرون به" [3].

و يبقى كتاب " نقد الشعر" رغم ما به من نقائص، علَما بارزا في مجال النقد بما فيه من حسن المنهج الذي سلكه في التقسيم و التبويب، و النظرة الثاقبة و العلمية التي سلكها صاحب الكتاب.

و ما جهود هؤلاء النقاد إلا لبنات صلبة، و خطوات عملاقة، خطت بالنقد إلى التطور و التقدم، و غير هؤلاء كثير، لا يتسع المجال لذكرهم، بيد أن هؤلاء كان لهم صيت واسع فيما أورده المرزباني في موشحه.

(1) طبانة، بدوي. قدامة بن جعفر و النقد الأدبي. ص ص 3، 4.
(2) مندور، محمد. النقد المنهجي عند العرب. ص 67.
(3) المرجع نفسه. ص 72.

الفصل الثاني :

منهج تأليف الكتاب

و موضوعاته

1- تسمية الكتاب

2- نُسَخ الكتاب و طبعاته

3- مصادر الكتاب

4- سبب تأليف الكتاب

5- طريقة تأليف الكتاب

6- منزع الكتاب

7- موضوعات الكتاب

8- مستويات النقد في "الموشح"

1- تسمية الكتاب :

" **الموشح**، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر" **للمَرْزُبَانِي**، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى **المرزباني**، المتوفى سنة 384 للهجرة.

و هذا هو العنوان الذي تبناه محقق النسخة " علي محمد البجاوي " التّي اعتمدتُها، و التي طبعت سنة 1965، و التزمت الطبع و النشرلها، دار نهضة مصر.

وقد اختلفت المصادر في تحديدها لعنوان الكتاب، فقد ذكر "بروكلمان"، أن ياقوت الحموي سمّاه في الإرشاد "المُوشِع فيما أنكره العلماء على الشّعراء" [1].

و في معجم الأدباء ذكره ياقوت بهذا الاسم مع بعض التّحوير في بقية التفصيلات في العنوان, فجاء باسم: " الموشع فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسر و لحن و عيوب الشعر" [2]. و يعقب عليّ محمد البجاوي على تسمية الكتاب بالموشع قائلا: "و نراه تحريفا ". و سماه القفطي " الموشع فيه ذكر المآخذ من العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ".[3]

و إن اختلفت الصياغة لعنوان الكتاب, فإنها لا تختلف في أنه كتاب يحوي مآخذ العلماء على الشعراء و أشعارهم.

(1) بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. ج 2، ص 19.
(2) الحموي، ياقوت. معجم الأدباء. بيروت : دار إحياء التراث العربي. ج 18، ص 268.
(3) القفطي، جمال الدين. انباه الرواة على أنباه النحاة. ج 3، ص 182.

و لم يحدد **المرزباني** بلفظ صريح معني كلمة "العلماء" الذين اختار مآخذهم على الشعراء، و لكن المطلع على مضمون الكتاب قد يستدل على ما قصده المؤلّف، و هذا ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف حين قال : " كتاب **الموشح** في مآخذ العلماء على الشعراء" للمرزباني، وهو يقصد بالعلماء علماء اللغة وكل ما في كتابه ملاحظات على مادة الشعر، وقلما نصادف ملاحظة من الوجهة الفنية" [1].

فلماذا خصَّهم **المرزباني** بهذا الاهتمام؟ ولماذا نقل عنهم ملاحظاتهم في النقد و الأدب، و أكثر من هذه الملاحظات ؟

ذلك انه يدرك أن الساحة الأدبية تتقاسمها " طائفتان من نقدة الأدب العربي عاشوا جنبا إلى جنب منذ أواخر القرن الأول الهجري الأدباء واللغويون، أما الأدباء فهم الشعراء والرؤساء والخلفاء، فلم يكن لأحد منهم ذهن علمي، ولا نشأة علمية، و لا شيء مما يؤدي الي تحليل اللغة والأدب تحليلا عميقا "[2]، فنقدهم كان فطريا، قائما على الطبع و السليقة، فكان لهؤلاء حظ في كتاب **الموشح** مما اختاره **المرزباني** من مآخذهم على الشعراء، لكنه أكثر من ملاحظات و آراء و مآخذ اللغويين و النحويين، " الذين خلقتهم الحياة الإسلامية الجديدة، وهيأت لهم أسباب البحث المتشعب، فكانوا أمزجة خاصة و ذهنية خاصة في تاريخ النقد الأدبي" [3].

فنقد اللغويين والنحويين " يراد به العلم، و تراد به خدمة الفن الشعري، و خدمة تاريخ الأدب فلا عصبية و لا هوًى جائرا، ولا تأثيرا حاضرا، و لا انحرافا عن الحق رغبة أو رهبة، وإنما هو الشعور الهادئ و التحليل و الدليل، وقرع الحجة بالحُجّة و ذكْر الأسباب" [4].

---

(1) ضيف، شوقي. النقد. ص 45.

(2) (3) إبراهيم، طه أحمد. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري. ص 49.

(4) المرجع نفسه. ص 50.

و لكن إذا كان **المرزباني** قد خص اللغويين والنحاة باختيار آرائهم، فهل كان لهم ذوق أدبي و معرفة بجمالياته؟

قد يكون انحرافا عن الحق أن نقول : إن النحويين كانوا دائما ينقدون في الأدب صياغته التي لا تتماشى مع السبك العربي، ناسين جماله ورجاله وعناصره الفنية. وقد يكون من الظلم لهم أن نجردهم من الذوق الأدبي، و أن نقصرهم على نقد الصور والأشكال. "فقد كان فيهم العالم بالعربية، وكان فيهم من روى الأشعار و الأخبار و ظَرُف وفَصُح، " فعنبسة الفيل من الذين رووا شعر جرير و الفرزدق وكان يفضل جريرا... فأما أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب فلهما في نقد الأدب آراء حسنة، ولهما فيه أثر جليل. يعدان في النحويين ويعدان كذلك في اللغويين الذين وطدوا النقد الأدبي ونظموا بحوثه واستنبطوا مقاييسه "[1].

و بذلك فقد تعمقوا في فهم الشعر، و تذوقوه، وعرفوا مميزاته وخصائصه وعيوبه ومحاسنه.

ونضرب مثالا لذلك مما ورد في كتاب **الموشح**، في نقد أبي عمرو بن العلاء لشعر ذي الرمة، إذ يقول : " إنما شعر ذي الرمة نُقَط عروس تضمحِلّ عن قليل، وأبعار ظِباء لها مشمٌّ، في أول شمّها، ثم تعود إلى أرواح البعر" [2].

ويعني هذا أن شعر ذي الرمة في أوله يكون جميلا براقا، وسرعان ما يذهب هذا الجمال، حين يتأمله السامع ويدقق في معانيه شأنه شأن ما يزخرف على يدي العروس للزينة، وسرعان ما يذوب ويزول مع أول غسل له، وكرائحة أبعار الظباء الطيبة المشم في أولها ثم تخبو رائحتها حين تجف، وهذه مقاربة لطيفة، استعان فيها الناقد بمعادل موضوعي وهو نقط العروس، و أبعار الظباء لقلة المصطلحات النقدية آنذاك.

(1) إبراهيم، طه أحمد. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. ص 53.
(2) **الموشح**. ص 27.

وصفحات **الموشح** مليئة بمثل هذه المواقف النقدية المتنوعة التي تشهد للغويين والنحويين وغيرهم من الأدباء على اهتمامهم بالنقد الأدبي، وتمكنهم من تذوق الأدب ومعرفة خصائصه.

2- نسخ الكتاب وطبعاته :

يقول المحقق علي محمد البجاوي : " وقد طبع الكتاب أوّل مرّة بالمطبعة السّلفية ولكنه كان خِلْوا من التعليق والتوثيق ومنوّع الفهارس، ولهذا كان بحاجة ماسة إلى تحقيق جديد يجمع كل ما يتطلبه التحقيق الحديث من ضبط وشرح وتعليق وفهارس منوعة" [1].

و قد اعتمد علي محمد البجاوي في تحقيق هذا الكتاب على نسختين خطيتين :[2]

1 - الأولى نسخة الشنقيطي، وهي رقم 26 ش بدار الكتب، وعدد صفحاتها 238 صفحة، وقد كتبت بخط مغربي، وضبطت ضبطا كاملا، و على هوامشها تعليقات مفيدة، ولهذا - يقول المحقق في مقدمته - أثبتنا كل ما على هوامشها من تقييدات في هوامش طبعتنا، كما أثبتنا أرقام صفحاتها.

2- و الأخرى تيمورية برقم 555 أدب، بدار الكتب أيضا، و هي مكتوبة بخط عادي، وصفحاتها 393 صفحة، وعليها تعليقات قليلة، وهي منقولة من الأولى.

و قد ذكر ابن النديم هذا الكتاب "**الموشح** " و قال : " و هو أكثر من ثلاثمائة ورقة "[3].

---

(1) **الموشح**. مقدمة المحقق. ص ط.

(2) المصدر نفسه. ص ص ط - ي.

(3) ابن النديم، إسحاق. الفهرست. ص 258.

و للكتاب طبعتان حديثتان – فيما أعلم – والأولى أشهر وأكثر تداولا :

أ- **الطبعة الأولى** : بتحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر،طبعت سنة 1965، وهي المشار إليها في جميع كتب البحوث والدراسات والتأريخ للأدب والنقد،لجودتها وتنوع فهارسها وحسن إخراجها، وطبعت في كتاب واحد.

ب – **الطبعة الأخرى** : بتحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين، وتولت طباعتها و نشرها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان سنة 1995 في كتاب واحد أيضا. وقال زكي مبارك: " أن **الموشح**.... نشرته جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة سنة 1343 هجري " [1] ولم أعثر على هذه النسخة.

3- مصادر الكتاب :

قد يكون من المستحيل الإحاطة بتحديد جميع مصادر الكتاب، لكثرتها ولصعوبة تحديدها، فالمؤرخون للمرزباني، لم يطّلعوا على كل هذه المصادر، و ربما قصَد المؤلّف نفسُه إخفاء بعضها، أو لم يكن في حاجة إلى ذكرها، ولكننا من خلال ترجماته في بطون مصادر الأدب، أو من خلال مؤلَّفه " الموشح" لا نعدم حيلة في استكشاف بعضها والإشارة إليه.

فمجالسته لأهل العلم والأدب في داره وتحاوره معهم، والأخذ عنهم وأخذهم عنه، وسماعه للروايات المختلفة تكوّن رافدا عظيما من روافد العلم والمعرفة، ويتأكد هذا فيما رواه القاضي الحسين بن علي الصّيمري حين قال " سمعت عبيد الله المرزباني يقول : كان في داري خمسون، ما بين لحاف و دُوّاج مُعدّة لأهل العلم الذين يبيتون عندي" [2].

(1) مبارك، زكي. النثر الفني في القرن الرابع. ج 2، ص 149.

(2) البغدادي، الخطيب. تاريخ بغداد. ج 3، ص 352.

و كون داره كانت تعجّ بأهل العلم والأدب، وكان المرزباني يفيد ويستفيد، يؤثّر ويتأثر، ومن هنا كانت صعوبة تحديد أوقات ومصادر استفادة المرزباني من مصادر العلم والأدب، لكثرة احتكاكه بهذه المصادر وكثرة من يقصده إلى داره.

و الرّافد الثاني، مذهبه، فهو من كبار المعتزلة، وهذا ما أثر إيجابا على سعة عقله وعلمه، وقد ألف " في أخبارهم كتابا كبيرا، وكان المعتزلة في تلك الأيام يقودون الحركة الفكرية والأدبية في الأقطار الإسلامية " [1].

ولا ننسى أن **المرزباني** – كما وصفته مصادر الأدب – كان كثير السماع، ذكيا وراوية، مكثرا ومصنفا، وكثير المشايخ، فمطالعاته الكثيرة واهتمامه بالعلم والأدب جعله يستوعب ثقافة عصره، و يصبّ ما احتاج منها في بطون كتبه، ومنها كتاب **الموشح**، بما فيه من منوعات نقدية وأدبية وغيرها.

و المصدر الأهم في هذا الكتاب، ما أخبرنا به من مواقف نقدية من بطون الكتب التي اطلع عليها، وخاصة النقدية منها، إذ لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من ذكر ناقد أو أديب ممن لهم كتب ذكرَتها مصادر الأدب، كالأصمعي في " فحولة الشعراء "ومحمد بن سلام الجمحي في كتابه "طبقات الشعراء " وابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء" وأبي العباس ثعلب في كتابه " قواعد الشعر"، و قُدَامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر " وابن طباطابا العلَويّ في "عيار الشعر "والآمدي في " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " وعبد الله بن المعتز صاحب "البديع" وغيرهم.

فهذه الكتب وغيرها كانت رصيدا معينا للمرزباني، أفاد منها كثيرا ونقل عنها، وذكر آراء أصحابها في مواضع مختلفة كثيرة من كتاب **الموشح**.

ومن باب الوقوف على إستفاداته من هؤلاء النقاد واللغويين وغيرهم أذكر بعض الأمثلة من كتاب "**الموشح**" يكثر فيها من استشهاداته بهؤلاء.

---

(1) مبارك، زكي. النثر الفني في القرن الرابع. ج 2، ص 147.

قال **المرزباني** بسنده عن الأصمعي أنه سمع قول الأعشى : [1]

كأن مشيتَها من بيت جارتهـــا مَـرُّ السّحابة لاريْثٌ ولا عَجَـــلُ

فقال : لقد جعلها خَرَّاجةً ولاّجَةً، هلاّ قال كما قال الآخر:

و يُكْرِمُهـا جاراتُها فيزرْنَهـــا و تعتــلُّ عن إتيانــهِـنّ فتُعْـذَرُ

و قال ابن طباطبا العلوي[2] : من الأشعار الغثّة الألفاظ، البـــاردة المعـــاني، المتكلفة الشبح، القلقة القوافي المضادة للأشعار المختارة؛ قول الأعشى :

باتت سعاد وأمسَى حبُلها انقطعا واحتلت الغَمْـــر فالجدّين فالفَرَعَا

لا تسلم منها خمسة أبيات.

ثم ذكر القصيدة و قال : فهذه القصيدة ستة وسبعون بيتا التكلف فيها ظـــاهر بيِّن إلاّ في ستة أبيات و هي :

تقول بنتي وقد قرَّبْتُ مر تحلا يا ربِّ جَنِّب أبي الأَتْلاف والوَجَعا

و بعد ذكره الأبيات الستة قال: وفيها خطأ ظاهر، ولكنها بالإضافة إلى سائر الأبيات نقية بعيدة عن التكلف.

و الذي يوجبه نسج الشعر أن يقول : يا رب جنب أبي الأتلاف و الأوجـــاع، أو التلف و الوجع (أي جمعهما أو أفرادهما).

(1) **الموشح**. ص 66.

(2) المصدر نفسه. ص 67.

و قال **المرزباني** بسنده أن ابن سلام قال: "سألت بشاراً العقيلي الأعمى فقلت : يا أبا معاذ أي الثلاثة أشعر : جرير أو الفرزدق أو الأخطل ؟ وكان عالما بصيراً، فقال : لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصّبت له وأفرطت فيه. قلت : فالفرزدق و جرير؟ قال : " كان لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النَّوَار امرأة الفرزدق فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير"[1].

كما أورد **المرزباني** جزءً من " نقد الشعر " لقدامة بن جعفر حين قال: قال قدامة بن جعفر، "أفضل مديح الرجال ما قصد به الفضائل النفسية الخاصية لا بما هو عرضيٌ فيه، وما أتى من المدح على خلاف ذلك كان معيباً" [2].

وغير هذه الأمثلة كثير، وينوء عن العدّ، **فالمرزباني** راوية وجامع للروايات والآراء، وكثير الإطلاع على ما في بطون كتب الشعر والنقد والتاريخ، وكل هذه المواقف النقدية التي ذكرناها للتمثيل، لها صدىً في كتب أصحابها النقدية وغير النقدية. وبذلك **فالمرزباني** تأثر بهؤلاء الكتاب، ويؤيد ما يريد الذهاب إليه بآرائهم، وقد يذكر خبرا أو موقفاً نقدياً، تكرر ذكره في كتب أخرى دون أن يشير إليها، لأنها أصبحت في حكم الأخبار المتداولة و الشائعة.

(1) **الموشح**. ص 184.

(2) المصدر نفسه. ص 346.

4- سبب تأليف الكتاب :

يقول **المرزباني** في مقدمة كتابه " **الموشح** " بعد أن حمد الله و أثنى عليه، و صلى على نبيه الكريم : " سألتَ حرس الله النعمة عليك، و أسبغ الموهبة لديك، أن أذكر لك طَرَفًا ممَّا أُنْكِر على الشعراء في أشعارهم من العيوب التي سبيل أهل عصرنا هذا ومَنْ بَعْدهم أن يجتنبوها ويَعْدِلوا عنها، فأجبتك إلى ما سألتَ، و عملتُ فيه بما أَحْبَبْتَ " (1).

و انطلاقا من هذه المقدمة يمكننا أن نعرف الدافع إلى تأليف هذا الكتاب، إذ يأتي استجابة لطلب أحد معارف **المرزباني**، من أصدقائه أو أحد الحكام في زمانه، إذْ كثيراً ما كان المُؤَلِّفُون لكتب التراث يصدِّرون كتبهم بمثل عبارة **المرزباني**، فيدوِّن المؤلف منهم في مقدمة مؤلَّفه أنه وضع كتابه استجابة لرغبة صديق، أو خليفة، أو سلطان، أو أمير، و يصدِّر كتابه بعبارات الثناْء و التقدير و الدعاء للمستدعي.

و من هذا القبيل صدَّر المرزباني مؤلَّفه بالدعاء والثناء على من طلب منه تأليف كتاب، فيما أنكره العلماء على الشعراء من العيوب، فكانت الاستجابة وفق شروط بينهما، و تم تأليف الكتاب استرضاء للمستدعي.

و أغلب الظن أن **المرزباني** ألف كتابه، استجابة لرغبة عضد الدولة البويهي، فقد كان المؤلف حسب ما قالته مصادر الأدب مقربا إليه موفور الكرامة و الحظوة و العطاء عنده، فقد قيل: كان عضد الدولة يجتاز على باب **المرزباني** فيقف حتى يخرج إليه أبو عبد الله، فيسلّم عليه و يسأل عن حاله، وقد عرف عضد الدولة بتقريبه للأدباء و العلماء، والإنعام عليهم، فصنف له أبو إسحاق الصّابي كتاب "التَّاجِي"في أخبار بني بوية، و مدحه فحول الشعراء كالمتنبي و السلامي.

(1) **الموشح**. ص 1.

فالعلاقة الحميمية بين **المرزباني** و عضد الدولة، تدعونا إلى استساغة هذا الترجيح.

5- طريقة تأليف الكتاب :

"**الموشح**" لأبي عبيد الله **المرزباني** من كتب النقد العام، التي حَوَت مآخذ العلماء على الشعراء. و هو بهذا المعنى كتاب جَمْعٍ لآراء و ليس كتاب وَضْع لنظرية في الأدب، أو في حدود الشعر، التزم فيه المؤلف نقل آراء و ملاحظات علماء اللغة والنحو والأدب والرّواية في الشعراء منذ الجاهلية حتى أيامه.

و هو في مقدمته يحدد ما يتناوله من مضمون الكتاب، وطريقة ذلك التناول، فيقول : " و أودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده، و أمكن جمعه، و قرب متناوله من ذِكر عيوب الشعراء التي نبّه عليها أهل العلم، و أوضحوا الغلط فيها: من اللحن، و السناد، و الإيطاء، و الإقواء، و الإكفاء، و التضمين، و الكسر، و الإحالة، و التناقض، و اختلاف اللفظ، و هلهلة النسج، و غير ذلك من سائر ما عيب على الشعراء قديمهم و محدثهم في أشعارهم خاصة "[1].

و حين نتصفّح "**الموشح**" نلاحظ أن المؤلف حقا جمع في الكتاب "ما سهل وجوده، و قرب متناوله" أي أنه لم يقم بعملية استقصاء واسعة وشاملة لما عِيب على كل شاعر ممّن ذكرهم، ولا لجميع شعراء الحقبات التي حددها، فهو في بعض الأحيان يكتفي بإشارة عابرة إلى عيب واحد لدى شاعر من الشعراء، بعد أن يكون قد وضع ذلك تحت عنوان بمفرده، كما فعل في ذكر بكر بن النطّاح و محمد بن و هيب الحميري.

(1) **الموشح**. ص 1.

فعن الأول منهما قال **المرزباني** :[1] "أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، عن محمد بن يزيد المبرّد، قال: في المحدثين إسرَافٌ و تجاوز و غلوّ و خروج عن المِقدار؛ و من ذلك قول بكر بن النطاح :

تمشي على الخزّ من تَنَغُّمِها ... فيشتكي رِجْلُها من النَّزَف

لَوْ مَرَّ هارون في عساكره ... ما رفعَتْ طرْفَها من السَّجَف(*)

و عن الشاعر الثاني قال **المرزباني** :[2] "حدّثني عبد الله بن يحيى العسكري، عن أبي إسحاق الطلحي، قال : أنشدني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل لمحمد بن وُهيب إليه، قال أحمد : و أخطأ فيه :

تفديك نفسي يَطُولُ يومٌ ... عليَّ في اليوم لا أراكا

و هي أبيات لأحمد عنها جواب ".

و في أحيان أخرى، ينطلق **المرزباني**، محصيا الكثير من العيوب التي لاحظها أصحابها على شاعر من الشعراء، فيطول به المقام عند ذلك الشاعر، كما فعل مع كُثيِّر بن عبدالرحمن و جرير بن عطيّة الخطفي، و الأخطل غياث بن غوث، و أبي نواس، و أبي تمام الطائي و البحتري أبي عبادة ، وغيرهم.

و بين الإطالة في استقصاء العيوب، والاقتصار على الإشارة العابرة إلى عيب عارض نجد كثيرا من التوسط والاعتدال.

على أن ذلك ليس عيبا في الكتاب، و إنما هو ميزة من ميزاته، جعلت منه رسالة جمعت مآخذ العلماء على الشعراء، و اتصل الكلام فيها على نظام وترتيب سليم.

---

(1) **الموشح**. ص 456.

(2) المصدر نفسه. ص 458.

(*) **السَّجَفْ** : دقة الخصر و خماصة البطن. أنظر : القاموس المحيط. م 3، ص 150.

و تتراكم على المؤلف أحيانا أخبار عيوب الشعراء في أشعارهم، فيضطر إلى الاقتصار على بعضها و ترك بقية العيوب، خضوعا لروح الكتاب الذي يعتمد التعرض لبعض العيوب، و هذا ما عبّر عنه **المرزباني** في حديثه عن مآخذ العلماء و الأدباء و الرواة عن أبي تمام الطائي و سرقاته بقوله: "و قد سقطنا من معايب شعره شيئا كثيرا لم نثبته في رسالتنا هذه، وقصدنا من ذلك ما يبهر الحجّة، و يفُلُّ حَدَّ النُّصرة "[1].

و لو أراد المؤلف الاستقصاء الواسع و الاستغراق، لجاء كتابه في مجلدات، و افتقد ميزة سهولة التناول وسرعته.

و **المرزباني** في كتابه يعتمد أسلوب الرواية و السند، إلى جانب النقل عن أهم المؤلفات النقدية حول الشعر في القرنين الثالث و الرابع، خصوصا " نقد الشعر" لقدامة بن جعفر، فقد نقل عنه في أكثر من ثمانية عشر موضعا، و "عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي في أكثر من خمسة عشر موضعا، و " طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمعي في أكثر من أربعة و خمسين موضعا، و نقل عن غيرهم أيضا.

و تحتشد في الكتاب آراء العلماء و الإخباريين والروّاة والنحاة، من أمثال أبي عثمان المازني، و محمد بن يحيى الصولي، ومحمد بن يزيد المبرّد، ومحمد بن موسى البربري، و أبي عبيدة معمر بن المثنى، ويونس النحوي، و يموت بن المزرع بن يموت العبدي، وأبي يوسف الجني راوية المفضل، و أبي عبد الله محمد بن أحمد الكاتب، و أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، وأبي عمرو بن العلاء، و عمرو بن بحر الجاحظ، و عبد الملك بن قريب الأصمعي، و أبي بكر الجرجاني، و إسحاق ابن إبراهيم الموصلي، و أحمد بن يحيى ثعلب، و ابن الأعرابي، و الأخفش و عبد الله بن المعتز، و أبي حاتم السجستاني، وغيرهم كثير لا يسمح المجال لعدّهم.

---

(1) **الموشح**. ص 484.

و **المرزباني** في موشحه يذكر الخبر برواية، ثم يعيده بروايات مختلفة إمعانا في توكيد الخبر بصور متعددة، و الخبر كما يقال "إذا تكرر تقرّر". و لنا في ذلك مثال تناقلته مصادر الأدب، و هو أشهر من نار على علَم، ذلك هو موضوع احتكام امرئ القيس و علقمة الفحل، لدى " أم جندب" زوج امرئ القيس، في أيهما أشعر، و أورد **المرزباني** هذا الخبر بروايات مختلفة كثرت فيها الأسانيد، أذكرها بحرفيتها:

أ- الرواية الأولى :

قال **المرزباني** : [1] " كتب إلي أحمد بن عبد العزيز الجوهري، أخبرنا عمر بن شبّة، قال: تنازع امرؤ القيس بن حُجر و علقمة بن عبدة، وهو علقمة الفحل، في الشعر، أيهما أشعر؟ فقال كل واحد منهما: أنا أشعر منك. فقال علقمة : قد رضيت بامرأتك أم جندب حكما بيني وبينك. فحكّماها؛ فقالت أم جندب لهما : قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة و رويٍّ واحد. فقال امرؤ القيس :

خليليَّ مُرّا بي على أم جندبِ نقضِّ لُبَانات الفؤاد المعذَّبِ

و قال علقمة :

ذهبتَ من الهِجران في غير مذهب و لم يكُ حقًّا طول هذا التجنُّبِ

فأنشداها جميعا القصيدتين، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك. قال : و كيف ؟ قالت : لأنك قلت :

فللسوط ألهُوبٌ وللسّاقِ درّةٌ و للزّجْرِ منه وقعٌ أخرَج مُهذِبِ

الأخرج : ذكر النعام، والخرج : بياض في سواد و به سُمِي. فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، و مريته فأتعبته بساقك. و قال علقمة :

(1) **الموشح**. ص 28.

فأدركهـــن ثانيا لعنـــــانه يَمرُّ كمـــرِّ الرّائح المتحـلـــبِ

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه، لم يضربه و لم يتعبه.

فقال : ما هو بأشعر منّي و لكنك له عاشقة، فسمي الفحل لذلك ".

ب- الرّواية الثانية :

قال **المرزباني**[1] : " و روى محمد بن العباس اليزيدي، عن عمّه إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي، عن أبي عمر الشّيباني- أن امرأ القيس بن حُجر تزوّج امـــرأة من طيء، و كان مُفَرَّكا - أي لا يحظى عند النساء - [2] فلما كان ليلة ابْتَنَـــى بهـــا أبغضته، فجعلت تقول: " أصبِح ليل يا خير الفتيان أصبحت أصبحت "فينظر غيري اللّيل كهيئته. فلم يزل كذلك حتى أصبح، فزعموا، أن علقمة بن عبدة التميمـــي، ثـــم أحد بني ربيعة بن مالك، نزل به - و كان من فحول شعراء الجاهلية، و كان صديقا له - فقال أحدهما لصاحبه : أيّنا أشعر؟ فقال هذا: أنا، و قال هذا: أنا، فتلاحيا، حتى قال امرؤ القيس: انعت ناقتك و فرسك وأنعت ناقتي وفرسي. قال : فافعل، و الحكم بيني وبينك هذه المرأة من ورائك - يعني امرأة امرئ القيس الطائية - فقال امـــرؤ القيس :

*** خليليّ مرّا بي على أم جُندُب ***

حتى فرغ منها.

و قال علقمة :

*** ذهبَت من الهجران في غير مذهبِ ***

(1) (2) **الموشح**. ص 29.

فلما فرغا من قصيدتيهما عرضاهما على الطائية امرأة امرئ القيس، فقالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك. قال لها : و كيف؟ قالت : إنّك زَجرْتَ، و حرّكْتَ ساقيك، و ضربت بسوطك – تعني قوله في قصيدته حيث وصف فرسه :

فللزَّجر ألْهوبٌ و للسّاق درّةٌ وللسوط منه وقعُ أَخْرَجَ مُهْذبِ

ألهوب : يعني ألهب جريه حين زجره، و للساق درّةٌ : أي إذا غمز درَّ بالجري، و الأخرج : الظليم، و هو ذكر النعام، و الأنثى خرجاء، في حال لونه : و هو سوادٌ و بياضٌ لون الرماد. و الأخرج : الرماد، و مُهذِب : أي مسرعٌ في عدوه.

قالت : و إنّ علقمة جاهر الصّيد، فقال :

إذا ما اقْتَنَصْنا لَمْ نَقُدْهُ بِجُنَّةٍ و لكن تُنادي من بعيدٍ ألا ارْكبِ

فغضب عليها امرؤ القيس، و قال : إنك لتبغضينني، فطلقها ".

ج– الرواية الثالثة :

قال **المرزباني** [1] : " حدثني إبراهيم بن محمد العطار، عن الحسن بن عُليل العنزي، قال : حدثنا أبو عدنان السُّلمي، قال : أخبرني أبو يوسف الجِنّي الأسدي، راوية المفضّل عن المفضّل، أنّ أبا الغول النهشلي حدّثه، عن أبي الغول الأكبر، **قال:** لما نزل امرؤ القيس في طيء تزوّج امرأة منهم يقال لها أمّ جندُب، و كان مفركا تبغضه النساء إذا وقع عليهن، فأتي أم جندب من الليل، فقالت له: يا خير الفتيان أصبحتَ فقمْ. فقام فإذا الليل كما هو، فرجع إليها، فقال : ما حملك على ما صنعت؟ قالت : لا شيء. قال لتخبرِنّي، قالت : كرهتُك، لأنك ثقيل الصّدر،

(1) **الموشح**. ص 31.

خفيف العجز، سريع الهِراقة، بطيء الإفاقة. قال : فلم تزل عنده. فأتاه علقمة بن عَبَدَة، فتذاكرا الشعر عندها؛ فقال هذا : أنا أشعر. فقال له علقمة : قل شعرا و انْعَت الصّيد، و هذه الحكَم بيني و بينك يعني أم جندب. فقال :

*** خليليّ مُرّا بي على أم جندُب ***

فنعت فيها فرسه و الصيد حتى فرغ منها. و قال علقمة في مثل ذلك :

*** ذهبَتْ من الهجران في غير مذهب ***

إلاّ أن علقمة قال في نعت الفرس: فأدركهن ثانيا من عنانه..... البيت، وقال امرؤ القيس: فللزّجر ألهوب و للسّاق دِرّة ... البيت. فقالت لامرئ القيس : هو أشعر منك، رأيتُك ضربت فرسك بسوطك، و حرّكته بساقك، و زجرته بصوتك. و رأيتُه أدرك الصيد ثانيا من عِنانه يَمرُّ كمرّ الرّائح المتحلّب، فخلّى سبيلها لمّا فضلت علقمة عليه.

قال الشيخ أبو عبيد الله المزرباني رحمه الله: وقد روى هذا الحديث أيضا هشام بن الكلبي على هذه الحكاية. و رواه أيضا عبد الله بن المعتز و ذكره فيما أنكِر من شعر امرئ القيس ".

***

و من خلال هذه الروايات الثلاث يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

1- أن المرزباني محدّث، كثير الرواية – كما وصفته مصادر الأدب – مولع بجمع الأخبار التي تصله إلى داره مشافهة، أو يطلع عليها من بطون الكتب التي سبقته، فتتعدد رواياتها و أساليبها.

2- إن حرص **المرزباني** على ذكر الروايات المختلفة للحدث الواحد يدل على الأمانة العلمية التي يسعى إلى حفظها، فلا يتدخل في الخبر، بل يورده كما وصل إليه، مع أسانيده، بكل دقة.

3- رغم أن الرواية ذكرها ابن قتيبة في كتابة " الشعر و الشعراء" صفحة 74، و اتفق أسلوبها و مضمونها مع الرواية الأولى التي ذكرها المزرباني مع بعض التغيير الطفيف في بعض ألفاظها، إلا أن المزرباني أبى إلاّ أن يورد الروايات الأخرى التي تختلف بعض الشيء عما رواه ابن قتيبة في حيثيات الاحتكام لأم جندب، فرأى المرزباني تسجيل الروايات الثلاث، وللقارئ أن يتخير منها ما اطمأن إليه، إلاّ أنها جميعا تتفق في مضمونها، و هو الأهم.

4- حِفْظ كل هذه الأسانيد التي ذكرها، يدل على قوة الحافظة لدى المزرباني، و على ذكائه و انشغاله بدراسة الأدب و النقد و جميع الأخبار.

5- إن المرزباني لا يكتفي بتسجيل الخبر، و لكنه يلجأ إلى توضيحه و تبسيطه وشرح ألفاظه الغريبة- كما فعل مع ألفاظ البيتين السابقين- حتى يحقق غاية الكتاب التي حددها المؤلف في مقدمته: " وأودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده، و أمكن جمعه، و قرُب متناولهُ "[1].

6- كثيرا ما يلجأ المزرباني إلى التعقيب بعد الخبر الذي ينقله، إما بموقف نقدي، أو إحالة إلى كتاب معين، أو إشارة إلى من ذكر هذا الخبر و رواه بشكل من الأشكال المختلفة التي أوردها المزرباني في موشحه، و هذا الأمر الأخير هو ما وجدناه في هذه الروايات، إذ عقب عليها بأن هذا الخبر رواه أيضا " هشام بن الكلبي على هذه الحكاية، ورواه عبد الله بن المعتز و ذكره فيما أنكر من شعر امرئ القيس"

(1) **الموشح**. ص 1.

و هذه الإشارات تدل على سعة اطلاع **المرزباني** على الروايات و الأحاديث و الكتب، و اهتمامه بها، بالإضافة إلى أنّ **الموشح** على هذا النحو، فهو غزير المادة، وافي الحكاية، سهل التناول، فكان معرضا بديعا بمختلف الروايات والأخبار.

و إذا كان **المرزباني** يكثر في موشحه من ذكر الروايات والأسانيد ويحرص على حرفية الرواية، ويُقدم الأخبار والأحكام النقدية من رواتها وأهلها، فهو في أحايين كثيرة،لا يتوقف عند آراء الآخرين في الشعراء وعيوبهم، بل كان يدلي بدلوه، و يقدم رأيه و نظرته للقضية المتحدث عنها، و بلغت هذه المواقف و التّدخّلات أكثر من خمسٍ وثلاثين مرّة، وتتفاوت هذه المواقف في الطول والقصر، و السطحية و العمق، تبعاً لنوع الموضع المنقود، و يحرص **المرزباني** في مواقفه النقدية على الموضوعية و التعليل.

و تشير تدخلات و مواقف **المرزباني في الموشح**، إلى خبرته و إطلاعه الواسع على ما يزخر به الأدب العربي من كنوز و فنون، وخاصة من ناحية الشعر - موضوع الكتاب - كما يدل على سعة إطلاع الكاتب على ما حوته كتب النقد واللغة ممن عاصروه،وممن سبقوه بدءا من الأصمعي، إضافة إلى الأحكام النقدية القديمة التي واكبت ظهور الشعر العربي منذ العصر الجاهلي.

و تواضع الرجل ظاهر حين تدخلاته وتعقيباته على ما رواه وأُخبر به النقاد و العلماء، إذ كان يأبى أن يقول "ورأيي" أو"وأرى " أو غيرها من أساليب استحضار الذّات، بل كان يبدأ رأيه بقوله " قال الشيخ أبو عبيد الله **المرزباني**، رحمه الله " ويكرر ذلك في كل مواقفه من الموضوعات المطروحة، ومما ورد من مواقفه تعليقا على مآخذ العلماء على أبي العتاهية قوله :[1] " قال الشيخ أبو عبيد الله **المرزباني** رحمه الله تعالى : وممّا أُنكر على أبي العتاهية من سفساف شعره قوله في عُتْبَة :

(1) **الموشح**. ص 401.

و لَّهنـــي حُبّهـــا وصيَّرَنـــي مثلَ جحىَ شَهْرَةَ و مَشْخَلَبَـــهْ(*)

و قوله :

يا واهـــــاً لذِكْـــــــرالـلـــ ـــه يا واهـــــاً ويا وَاهـــــاَ
لقـــد طيـــبَّ ذِكـــرُ اللـــ ـــه بالتسّبيـــــحِ أفواهـــــا
أرى قومـــــاً يَتيهُـــــونَ حُشُوشـــــاً رُزِقُوا جاهـــــا
فمـــا أنتَنَ مِـــنْ حَـــشٍّ عـــلى حـــــشٍّ إذاتَاهـــا(**)

و **المرزباني** في هذا الموقف لم يشرح و لم يعلل أكثر من إعطائه لنماذج من سفساف الشعر و رديئه، لفحص معانيه ورداءة نظمه، بينما نجده في موضع آخـــر يخالف هذا المنحنى ونجد ذلك في نقده قول أبي تمام الطائي :

و قد سَدَّ مندوحةَ القاصِعَـــا ء منهم وأمسك بالنّافِقَـــــاء

"القاصعاء : جُحْر اليربوع الأول الذي يدخل فيه، و النافقاء : موضع يرقّقـــه من جُحره، فإذا أُتِيَ من قِبَل القاصعاء ضرَب النافقاء ففتحه.

و لم نَعِب من هذه الألفاظ شيئا، غير أنها من الغريب المصدود عنه، ولـــيس يحسن من المحدثين استعمالها؛ لأنها لا تَجاوَر أمثالها، و لا تتبع أشـــكالها، فكأنهـــا تشكو الغربة في كلامهم"(1).

و ما نستشفه من هذا الموقف النقدي، أن المؤلّف نظر إلى البيت من نواحيـــه المختلفة، شكلا ومضمونا، فلم يجد فيه عيبا، غير أنه لاحظ في بعض ألفاظه أنه من غريب اللغة، ومن وحشي الكلام الذي أصبح ممجوجاً في عصر الشاعر، فالقاصعاء

(*) المشخلبة : كلمة عراقية : خرز بيض يشاكل اللؤلؤ و الحلي، و قد تسمى الجارية مشخلبة بما عليها من خرز. أنظر : القاموس المحيط. م1، ص 86.
(**) الحش : المخرج، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين. القاموس : م 2، ص 269.
(1) **الموشح**. ص 476.

و النافقاء من الكلمات الغريبة داخل البيت الشعري، ولا يعرفها إلا أهل البادية، و من لهم صلة بموجودات الصحراء كاليربوع مثلاً.

و الملاحظة الثانية هي أن **المرزباني** يبيح للشاعر استعمال الغريب، شرط أن يكون ظاهرة في أسلوب النص الشعري، وأن يكون كثير التداول في غرض القصيدة، حتى لا يحس السامع أن لفظة ما تبدو غريبة عن غيرها، وهذا ما ينفر منه الذوق، وتأباه السليقة لدى المحدثين على حَدْ قول زكي مبارك :

" أما في الكلام السلس فاستعماله غير مقبول. و هو ما يوافق بعض الموافقة ما يراه الجاحظ من أن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السّوقي رطانة السّوقي."(1)

و هنا يلتقي الجاحظ و **المرزباني** في الموقف والرأي، فالتفاهم هو الأساس في اختيار الألفاظ إذ كان الناس لا يقبلون الألفاظ أو يرفضونها إلا قياساً على ما كانوا يألفون سماعه.

و إذا كان لكل مؤلف منهج يسير عليه في تأليفه، ومسلك خاص يسلكه في تصنيفه، ويعود ذلك إلى شخصيته المتميزة، وثقافته التي تجلت فيما يكتب ويؤلف، فإنّ **المرزباني** في موشحه كغيره من المؤلفين له منهجه الخاص به. و نظرة متأنية إلى الكتاب ومحتواه، تعطي القارئ انطباعا حسنا عن المؤلف الذي سلك خطة واضحة، تنمّ عن كاتب منظم وذي منهجية محكمة، شهد لهه بها القدماء حين وصفوه بأنه من محاسن الدنيا وأنه أحسن تصنيفا من الجاحظ.

و كتاب "**الموشح** " في مآخذ العلماء على الشعراء، لأبي عبيد الله **المرزباني** التزم فيه مؤلفه، الموضوعية حين يبدي آراءه، والأمانة العلمية حين ينقل عن مصادر الآخرين، إما عن طريق الرواية و السّند أو عن طريق الاتصال بالمؤلفات النقدية المكتوبة.

(1) مبارك، زكي. النثر الفني في القرن الرابع. ص ص 150، 151.

و أحسن المؤلف تقسيم الكتاب وجعله في مقدمة و متن، فأما المقدمة فأبان فيها سبب تأليف الكتاب، على أنه جاء تلبية لرغبة راغب يُكِنّ له المؤلف كل الاحترام والتقدير، ولم يذكر هويته ، ثم بيّن طريقته في تأليف الكتاب على أنه أَوْدَعَ فيه ما سهل وجوده و أمكن جمعه وقرب متناوله، من ذكر عيوب الشعراء التي نبّه عليها أهل العلم وأوضحوا الغلط فيها، قديمهم و محدثهم ، كما أشار في المقدمة إلى كتابَيْن آخرَيْن من تأليفه ومحتوياتهما، وهما كتاب " المفيد"، "وكتاب الشِّعر".

و يذكر في المقدمة بداية الكتاب وخاتمته؛ أما البداية أي الموضوع الأول، فكان حول حال السناد و الإيطاء، والإقواء، والإكفاء، ثمّ حدّد سبب ذكر هذا الموضوع. و أما آخر موضوع في الكتاب، فيقول عنه " و ختمنا هذا الكتاب ببابِ أتينا فيه بما رُوِيَ من ذمِّ رديء الشعر، و سفسافه والمضطرب منه "[1].

و أشار **المرزباني** في مقدمته في **الموشح** إلى قيمة تلك الأشعار رغم ما فيها من عيوب، استقبحها البعض و استحسنها البعض الآخر، و خاصة من النحويين و أهل العلم باللغة العربية. أما المتن في **الموشح**، فقد قسمه **المرزباني** إلى خمسة أبواب رئيسية و هي :

1- البيان عن السّناد والإيطاء و الإقواء و الإكفاء [2]

2- الشعراء الجاهليون [3]

3- الشعراء الإسلاميون[4]

4- الشعراء المحدثون [5]

5- ما جاء في ذم الشعر الرديء [6]

---

(1) **الموشح**. ص 2.

(2) المصدر نفسه. ص 4.

(3) المصدر نفسه. ص 26.

(4) المصدر نفسه. ص 156.

(5) المصدر نفسه. ص 383.

(6) المصدر نفسه. ص 547.

و هي أبواب تدل على حسن التصنيف و التنظيم، من خلال انتهاج الترتيب الزمني للشعراء ترتيبا تنازليا، إضافة إلى فاتحة الكتاب التي بينت ما وقع فيه الشعراء من عيوب الشعر و خاصة من الناحية العروضية، وخاتمة الكتاب التي بينت مجموعة من الأشعار الرديئة، حتى ينتبه لها الشعراء، فلا يقعون في مآخذها و عيوبها.

و إذا جئنا إلى الشعراء، فإننا نجد الكاتب قد رتبهم على حسب عصورهم، و قسم العصور إلى جاهلي وإسلامي ومحدث.

أما بالنسبة للشعراء الجاهليين فقد ذكر منهم اثنين وعشرين شاعراً، و سجّل ما ورد فيهم من عيوب، تقل أو تكثر، و ابتدأ بمشاهيرهم شعراً، بادئاً بامرئ القيس ابن حُجر الكندي، فالنابغة الذبياني، فزهير بن أبي سلمى، فالأعشى أبو بصير، فطرفة بن العبد، و بشر بن أبي خازم الأسدي، وحسان بن ثابت الأنصاري إلى أن ختم بعمرو بن أحمر الباهلي، ثم ذكر جماعة من الشعراء القدماء و أثار حولهم قضية الفحولة في أشعارهم، و منهم عمرو بن كلثوم، و أبو زيد المنذر بن حرملة الطائي، وعروة بن الورد، و الحُوَيْدِرة المازني، و الراعي النميري و ابن مُقبل و غيرهم.

ثم رأى بأن يختم هذا الباب بالإشارة إلى بعض عيوب الشعر التي كانت معروفة في أشعارهم، كعيوب الوزن، وعيوب المعاني، وعيوب ائتلاف اللفظ و الوزن، وعيوب ائتلاف المعنى و الوزن معاً و عيوب التشبيه و غير ذلك من عيوب الشعر، و استشهد على ذلك بأشعار الجاهليين و المخضرمين منهم و أبان مواضع الخطأ و العيب فيها.

أما بالنسبة للشعراء الإسلاميين، فقد نهَج نفس منهج التأليف الذي سلكه مع الشعراء الجاهليين، فذكر طائفة من الشعراء الإسلاميين بلغ عددهم أكثر من أربعين شاعراً، كُلاً على حدة، و ضم مجموعة منهم تحت عنوان : جماعة من شعراء

الإسلام، و تناولهم بشكل موجز، و ختم هذا الباب بالإشارة إلى بعض عيوب الشعر و هي : من عيوب معاني الشعر – من عيوب ائتلاف اللفظ و المعنى – من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن – من العيوب العامة للمعاني – من عيوب ائتلاف المعنى و القافية.

و بدأت قائمة الشعراء الإسلاميين بشعراء النقائض : الفرزدق ثم جرير ثم الأخطل ثم بقية الشعراء و منهم : كثير بن عبد الرحمان، و راعي الإبل النميري، و القطامي، و ذو الرُّمّة وعبيد الله بن قيس الرقيات و الأحوص و غيرهم.

أمّا باب الشعراء المحدثين فذكر فيه أربعا و ثلاثين شاعراً، خصهم بنقد ما ظهر من عيوب في أشعارهم، فرداً فرداً، ثم عقب على ذلك بجماعة من الشعراء المحدثين. وبدأ قائمة الشعراء المحدثين ببشار بن برد العقيلي، فمروان بن أبي حفصة، فأبي العتاهية وأبي نواس، فمسلم بن الوليد، فالعباس بن الأحنف و ختم بابن الرومي علي بن العباس.

و لا يفوتني ها هنا و أنا أعرض منهجية تأليف الكتاب، أن أشير إلى بعض المآخذ على هذه الطريقة، فالكاتب حينما قسم الأبواب إلى عناصر جزئية كرر بعض العناوين ذات الموضوع الواحد، ولم يجمعها في عنوان واحد، كما فعل في صفحة 252 إذ ذكر " أخباراً تشمل على جماعة من شعراء الإسلام " ثم ذكر في موضع آخر صفحة 362 المسألة نفسها تحت عنوان : جماعة من شعراء الإسلام، و هذا في باب واحد و هو : الشعراء الإسلاميون.

و يتكرّر الخطأ نفسه حين يتحدث الكاتب عن " عيوب معاني الشعر، صفحة 362, وكان قد ذكر مسألة عيوب المعاني قبلها في صفحة 124 تحت عنوان " من عيوب المعاني ".

و هذه الأخطاء في التنظيم تنقص نوعاً ما من إحكام الخطة بالمنظور الحديث، إلاّ أنّها في زمان الكاتب تُعتبر سَبْقًا وتميّزًا وهذا شأن كل البدايات.

و تبقى طريقة تأليف الكتاب ومنهجية تأليفه في عمومها، علامة للجودة بالمنظور إلى زمن المؤلف و عصره، ونموذجا لحسن التنظيم و التصنيف، فقد نال إعجاب من عرفوه و عرفوا كتاباته، وخاصة كتاب **الموشح**، موضوع بحثنا، و بهذه الطريقة التي عرضها **المرزباني** يجد الباحث أو القارئ نفسه أمام كتاب يمكن الإطلاع على محتوياته بشيء من اليسر، و الوصول إلى مبتغاه فيه دون كبير مشقة.

أما لغة الكتاب، فقد اختارها **المرزباني** ميسورة في أغلبها، لا يجد القارئ فيها غموضا كبيراً، و خاصة أن **المرزباني** خص ما صعب من ألفاظ الأشعار بالشرح لما يراه صعبا أو غريبا في زمانه، وعمل المحقق علي محمد البجاوي على إكمال ما كان ناقصا من شرح وتفسير و إحالات و تعريف ببعض الشعراء والمسائل، حتى قدّم الكتاب في شكل جذاب يستهوى القارئ ويسبح به في عوالم الفكر و الأدب.

6- منزع الكتاب :

حين تتصفح كتاب "**الموشح** " للمرزباني، ونقرأ ما فيه من مآخذ للعلماء وأهل المعرفة بالشعر والشعراء، نحسّ أن المؤلف يقدّم هذه المآخذ ضمن سياق معين يمكن اعتباره اتجاها أو نزعة تتكرر وتصبح سمة للكتاب، هذا إذا علمنا أن الأدب العربي القديم عموما، لا يخلو من النزعات والاتجاهات أثناء التأليف والتي كانت إرهاصات للمناهج الحديثة لاحقًا، ذلك أنّ " المناهج هي مجموعة الآراء والأحكام القائمة على مسلك معين " تدعمه أسس نظرية، أو تطبيقية عامة "[1] أو هي تلك الأحكام القائمة على الموضوعية، البعيدة كل البعد عن التأثيرية المطلقة.

(1) مندور، محمد. النقد المنهجي عند العرب. ص 5.

و الذي أعنيه في هذا الموضوع هو المفهوم البسيط للمنهج، و الذي يمثل الاتجاه الأول من أقسام الدارسين للمناهج الأدبية: و هذا " الاتجاه الأول فينظر إلى المنهج على أنه زاوية من زوايا النظر إلى الموضوع الأدبي الذي يمكن أن يدرس من الناحية الفنية أو الاجتماعية أو النفسية... ".[1]

و نستشف من تأليف الكتاب أن صاحبه يتّجه إلى ثلاث نزعات مختلفة :

أ- المنزع التأريخي :

و ما أعنيه بالمنزع التأريخي هو تلك النزعة في التأليف التي تؤرّخ لأغلب ما يتناوله الكتاب من قضايا نقدية، و لأصحابها وظروفهم و بيئاتهم و علاقاتهم و غير ذلك مما أرخ له **المرزباني**، خاصة و أن المؤلف مولع بنقل الروايات و ذكر أسانيدها وصولا إلى مصادرها الأصلية، و الكتاب في مجمله و من خلال عنوانه " في مآخذ العلماء على الشعراء " يوحي بصفته التأريخية لما ذكره السابقون من أحاديث و روايات و مواقف تتعلق بعيوب الشعر، و حتى حينما يتناول الأحكام النقدية للمعاصرين له من النقاد، فيتناول ما سبق وأن قالوه في الشعر وعيوبه و لذا فبعض " الكتاب يندرج ضمن عملية استذكار للماضي ".[2]

(1) ابن سلامة، الربعي. الوجيز في مناهج البحث الأدبي و فنيات البحث العلمي. قسنطينة : منشورات جامعة منتوري. 2000م. ص 8.

(2) ويس، عمار. مقاييس النقد عند ابن سلام (رسالة ماجيستير في الأدب القديم، تحت إشراف سعد الدين الجيزاوي). قسنطينة. 1981م. ص 110.

و في مقدمة "**الموشح** " يقول **المرزباني** : " ... مِنْ ذِكْرِ عيوب الشعراء التي نبه عليها أهل العلم و أوضحوا الغلط فيها "[1]، ثم يضيف قائلا : " ... وغير ذلك من سائر ما عيب على الشعراء قديمهم ومُحْدَثِهم في أشعارهم خاصة "[2]، و قوله : "... و إنما إذا نُسِبَتْ إلى رواتها مجتمعة كان أبلغ فيما قصدنا له ".[3]

كل هذه الشواهد مما أدلى به **المرزباني** في مقدمة مؤلفه تزيد الدارس إطلاعاً و تأكداً من أن الكتاب يندرج ضمن عملية استذكار للماضي ، الذي سجل أصحابه مواقفهم و آراءهم حول الشعراء و أشعارهم، و أختار منها **المرزباني** على الخصوص المآخذ و المعايب على هذه الأشعار، و كون هذه الأشعار لا تفهم إلا ببيئاتها و سياقها التاريخي، كان لا بد للكاتب أن يهتم بهذا الجانب الهام الذي يحدد الكثير من معطيات النص الشعري و يحدد الإطار الزمني الذي تولدت عنه هذه الأشعار، و هذه الأحكام والآراء النقدية أيضاً في كثير من الأحيان، إذ أن الشعر لا يمكن أن يُفهم بعيداً عن إطاره الزمني الذي قيل فيه.

و لاكتشاف النزعة التاريخية في الكتاب رأيت أن أعرض مجموعة من الشواهد مما ورد في **الموشح**، و منه قوله : " قد وقفنا على ما أتاه الشعراء القدماء من الزلل والخطأ في قصيد أشعارهم و أراجيزها..فأوّلهم امرؤ القيس.." [4] و هو هنا يؤرخ لبداية الأخطاء في الشعر، و للشعراء المخطئين في جانب معين مما قالوه من شعر، فالخطأ ذو تاريخ قديم بدأ مع أوائل الشعراء و أشهرهم.

و قد بلغ الاهتمام بالتأريخ منتهاه في **الموشح**، حين يهتم بالتدقيق في ذكر السّنَة التي تم فيها الحدث، إذ يقول **المرزباني** : " أخبرني محمد بن علي، قال : حدثني محمد بن موسى بن حماد، قال : كنت عند دعبل بن علي أنا و العمراوي

(1) (2) **الموشح**. ص 1.
(3) المصدر نفسه. ص 2.
(4) المصدر نفسه. ص 27.

في سنة خمس و ثلاثين ومائتين بعد قدومه من الشام..." [1]، فهاهنا ذُكِر المكان "الشام"، و ذُكِر الزمان بدقة " سنة خمس و ثلاثين و مائتين " فربط الحدث بإطاريه الزماني و المكاني، كما يربطه بشخوصه و بما دار بينهم من أحاديث و أحداث، تضفي هالة من الوضوح و البيان على النص الشعري و قائله و ظروفه التي أنتجت فنه "، و لا نكاد نمر على صفحة من صفحات الكتاب إلا و هي تحمل لنا معلما تاريخيا، و إطاراً زمنيا أحاط بتلك المرويات التي تشير إلى هذا الفن الذي كان ديوانا للعرب و لا يزال.

و يسوق **المرزباني** بعض أوصاف الشعراء التي تعتبر نقدا لهم كشخوص تنتج الشعر و ما به من عيوب، و هو موضوع البحث، و يربط ذلك بسياقه التاريخي من خلال علاقة الشاعر بالحاكم أو الممدوح عموما، فيقول في ذلك " أخبرني محمد بن يحي قال : حدثني أحمد بن يزيد المهلّبي " قال لي أحمد بن خلّاد: لا أعرفُ أحداً أَخْبث أصلا و فرعا، و لا أكفَر لإحسانٍ من البحتري، دخل إلى المستعين بعد قَتْل أُوتَامِش و كاتِبِه شجاع و إنّما أذكرت به ..." [2] و ذكر البحتري مجموعة من الأبيات مدح بها المستعين بالله: " ثم قال أحمد بن خلاد : " فلم يأمر له المستعين بشيء، فما زلت أصفه و أشهد له بقديم الموالاة حتى دفع إليه خريطة كانت في يده مملوءة دنانير، فكانت ألف دينار. ودعا بغالية [*] فغلّلَهُ بيده فلما خُلِعَ المستعين و ولِّي المعتز كان أول ما أنشده قصيدة أولها :[3]

*** يُجَانِبُنَا في الحبِّ مَنْ لاتُجَانِبُهْ ***

---

(1) **الموشح**. ص 4.

(2) المصدر نفسه. ص 511.

(*) غلله بغالية : طيبه بها، و الغالية : أخلاط من الطيب كالمسك و العنبر. أنظر القاموس المحيط. م 4، ص 26.

(3) المصدر نفسه. ص 512.

و هذا الخبر يمثل صميم التأريخ للشاعر البحتري، فهو ذو شخصية تتصف بالخبث و عدم الاستقرار على حال واحدة، ناكرة لجميل المحسنين، سرعان ما يمدح و ينقلب على ممدوحه، ثم ينقل ولاءه من مكان إلى آخر كما فعل مع المستعين بعد مقتل أوتامش، و مع المعتز بعد المستعين بالله، كما هي شخصية تتصف بالشراهة في طلب المال. و كل هذه الأخبار نقلها لنا **المرزباني** في مؤلفه، ضمن ما أراد من ذكره من عيوب و مآخذ على الشعراء، إذًا فهذا التَّوجُّه التاريخي واضح في **الموشح**، بل أصبح سمة من سمات الكتاب، على أن المؤرخين و الدارسين يمكنهم تسجيل حقائق و تصورات عن الماضي و ظروفه و أحداثه و علاقة ذلك بعيوب الشعر و الشعراء.

ب- المنـــزع الإخباري :

و المقصود بهذا التوجه أو هذه النزعة، تلك الأخبار التي لا علاقة لها بصميم الموضوع مباشرة ، و لكنها قد تخدم جانبا ما من جوانب الحياة الأدبية أو النقدية أو التاريخية أو غيرها، يسوقها **المرزباني** في موشحه، عَرَضاً، و هو يكشف عن مآخذ العلماء و أهل الأدب على الشعراء، و هي أخبار متفرقة هنا و هناك و لكنها كثيرة في المؤلف حتى أصبحت تمثل سمة و نزعة للمؤلف يلاحظها كل مطّلع على مضمون الكتاب.

و من جملة ما نلاحظه من هذه الأخبار ما اقتضاه سياق المقام، كتعليق أو توضيح أو إشارة معينة، و على العموم فهي متفرقات هنا و هناك، لكن المتمعن فيها، لابد و أن يجد لها دلالة معينة، تساهم في خدمة النص أو غرض الكتاب أو المتلقي.

فحين نجد الخبر التالي "و كان عمرو بن قميئة دخل معه الروم إلى قيصر"[1] و هو يعني امرأ القيس، فالأصمعي صاحب الخبر و هو يتحدث عن أشعار امرئ القيس و ما بها و بالشاعر نفسه من عيوب، يوحي لنا بالصداقة الوطيدة بين عمرو ابن قميئة و امرئ القيس، و ربما يشير إلى ما بينهما من تأثير وتأثر، و ربما يشير بشكل آخر إلى قضية الانتحال في الشعر خاصة و أن الأصمعي كان قد قال : " و يقال إن كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه "[2] و قياسا على هذا القول من انتحال امرئ القيس – فيما يقال – من شعر الصعاليك، فمن الممكن أيضا أن ينتحل شعراً من عمرو بن قميئة، كان قد سمعه منه أثناء سفرهما، وترحالهما نحو بلاد الروم البعيدة. و حين يقول **المرزباني**: " و قد زعم بعض الرواة أن هذه القصيدة ليست له وأنها ألحقت بشعره، و أنها لبعض النمريين"[3].

فهذه الأخبار المتفرقة في مجموعها تعطي انطباعا، مفاده أن ما نسب لامرئ القيس من شعر قد لا يكون له، بل بعضه مطعون فيه، نسبَه هو إلى نفسه أو ألحق به من بعده، و لكن دون تقديم دليل قطعي، فهي مجرد تراكمات لأخبار يدعم بعضها بعضاً.

و في خبر آخر، مفاده أن زهير بن أبي سلمى قال بيتا ونصف بيت ، ثم عجز عن إتمام البيت الثاني فطلب من النابغة أن يجيزه، أي أن يعينه على إكماله، فقال إسحاق بن الجصاص صاحب الخبر: فَأَكْدَى و الله النابغة أيضا، و أقبل كعب ابن زهير و إنه لغلام، فقال له أبوه : أي بُنَيّ، أَجِزْ، قال : و ما أجيز ؟ فقال :

تَرَاكَ الأرضُ إمَّا متَّ خِفّاً ... وتَحْيَى إذا حييتَ بها ثقِيلاَ

نَزَلت بمستَقَر العِزّ منها ... .

(1) (2) **الموشح**. ص 37.

(3) المصدر نفسه. ص 43.

و ماذا ؟ فقال كعب :

* فَتَمْنَعُ جانبيها أن يزولا *

قال : فضمّه إليه، و قال : " أنت والله ابني"[1].

ففي هذا الشاهد مجموعة أخبار كلها تسير في اتجاه واحد، فوصف كعب بن زهير " و إنه لغلام " ورغم ذلك أجاز عن أبيه في وقت عجز فيه زهير والنابغة وهما من كبار الشعراء و مشاهيرهم، فالشعر إذا حينما يكون لشاعر إنما يبدأ معه منذ الصغر، كما يوحي المثال باهتمام الغلمان و صغار السن بنظم الشعر و قوله، و قد يحققون الجودة فيه أكثر ممن يكبرونهم سنا.

و الملاحظة الثانية تتمثل في خبر"فضمّه إليه " و قَسَمه أيضا : " أنت والله ابني" فالأولى توحي بِقِمّة الغِبطة و السرور، بظهور قريحة الشعر لدى الأبناء و التنبؤ لهم بالمستقبل المشرِّف بين قبائل العرب، كما تصوّر استياء زهير و حزنه حينما أكدى و لم يستطيع إتمام البيت الثاني، و كان ينتظر الفرج و الخروج من هذه الورطة العويصة، فكان ابنه مفتاح هذا الفرج و كانت الفرحة فرحتان فرحة الإجازة، و فرحة شاعرية الابن، و كأني بالخبر يشير إلى الوراثة الشعرية أو إلى التعلم و الاكتساب.

أما القَسَمُ على بنوة كعب، فهو دليل آخر على أن أُمنية زهير بأن يورّث أبناءه الشعر والشاعرية حتى يكون " خير خلف لخير سلف " و صدقت نبوءة زهير فكان له ما أراد، و كان كعب صاحب البردة النبوية، و قصته على كل لسان، و شاهد على قيمة الشعر في كل مكان.

(1) (2) **الموشح**. ص 57

و إذا ما انتقلنا إلى خبر آخر، أورده **المرزباني** يبين موقف "سُكَيْنَة بنت الحسين" من الفرزدق حين أقبل عليها رفقة جرير ونصيب وجميل " فبعثت إليهم بجارية لها أديبة ظريفة، فقالت : قولي للفرزدق : ألست القائل : هما دلّتاني من ثمانين قامة ؟ و ذكر الأبيات – ما أحسنتَ، هتكتَ ستركُما، وقد ستر الله عليكما".[1]

و في هذا الحكم النقدي من سكينة بنت الحسين الذي أخبرنا به **المرزباني**، نتبين مصدر الحكم على أنه يستمد قوته من الخلفية الدينية الإسلامية إذ أصبح فيه الخُلُق معياراً للحكم على الشعر و الشاعر، فما وافق الدّين فهو مقبول مستساغ، و ما خالفه يُرفض و يعاب، بغضّ النظر عن الناحية الفنية للشعر، و هذا مخالف لما جاء فيما بعد ذلك من العصر العباسي، حين انفصل المعيار الأخلاقي عن المعيار الفني، فكان على الفرزدق في هذا الخبر أن يراعي القيم الأخلاقية العربية التي حافظ عليها الإسلام و استبقاها في جملة ما أبقى عليه، و منها عدم فضح المرأة و فضح النفس.

و سكينة في هذا متبعة لسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي قال " إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق فهو حسن، و ما لم يوافق الحق فلا خير فيه "[2]، و قد خلق هذا الحديث وغيره من الأحكام المتشابهة تيارا أخلاقيا كان له أثره في النظر إلى الشعر و تمييزه، و استمر ذلك إلى أزمنة بعيدة، و مازال بعض النقاد يؤمنون به تبعا لاتجاهاتهم النقدية و الاجتماعية و الأخلاقية و غيرها.

(1) **الموشح**. ص 265.

(2) ابن رشيق القيرواني، الحسن. العمدة. ج 1، ص 27.

و من الأخبار التي لا تخلو من الفكاهة و الطرفة ما أخبرنا بـه **المرزباني** بسنده أن الأصمعي قال : " حضرنا مأدبة و أبو محرز خلفَ الأحمر و ابن منـاذر معنا ؟ فقال ابن مناذر : يا أبا محرز، إن يكن امرؤ القيس و النابغة و زهير مـاتوا فهذه أشعارهم مخلّدة، فقس شعري إلى شِعْرِهِمْ، قال : فأخذ صحفة مملؤة مرقاً فرمى بها عليه "[1].

و هو خبر يجمع بين الفكاهة حين نتصور خاتمة المأدبة و التي قد تتحول إلى شجار و عراك ممزوج بالضحك، غير أن هذا الخبر يمكـن أن يزودنـا بفوائـد تاريخيـة و أدبيـة عدّة، فابن مناذر كان يتوق إلى اللحاق بعمالقة الشعر ممن شهد له خاصة من النحويين و اللغويين أمثال خلف الأحمر، و هو يعرف دور هؤلاء في ترويج الأشعار و الرفع من قيمتها، و خلف الأحمر يبدي تعـصّبه للـشعر القـديم و غيرته عليه و غضبه ممن يتجرؤون عليه.

و هذه الأخبار و أخرى، هي أكثر من أن تحصى، و إنما سقتها مـن بـاب التمثيل للأخبار في **الموشح** و دلالاتها المختلفة.

ج- المنزع القصصي :

و نعني بالمنزع القصصي ، ذاك الميل إلى ذكر القصص المختلفة والكثيـرة التي تدور حول الشعراء ومجالسهم وبيئاتهم وأسفارهم وغيرها مـن الموضـوعات المتداولة في **الموشح**، وخاصة أن الكتاب يعنى بنقل الأخبار والروايات في سياقات مختلفة، ومنها جانب الحكي والقصّ والحوار فيما سجله **الكاتب** في "**الموشح** ".

(1) **الموشح**. ص 453.

و **المرزباني** يتخيّر العيوب ويتخير القصص أيضا، ويذكر منها ما يراه مفيدا و له علاقة بالموضوع، وبالتالي فهذه القصص لابد و أن تبرز جانبا أو جوانب من تفكير المؤلف وتفكير قائلها، كما تصور ملامح بيئاتها بأشكالها المختلفة، و أنماط التفكير الذي حدثت فيه.

و ما سلكته في العنصرين السابقين – التاريخي و الإخباري – أسلكه مع الاتجاه القصصي، بأن أذكر نماذج من تلك القصص و بعض ما أرى أنها توحي به من دلالات نقدية و غير نقدية، تختلف من قصة إلى أخرى.

و أول ملاحظة تلفت الانتباه، تكرار القصص التي تكون فيها المرأة عاملا حاسما في استنباط الحكم النقدي و لنا في ذلك من العصر الجاهلي مثلا، قصة تنازع امرئ القيس و علقمة في أيهم أشعر و احتكامهما إلى أم جندب زوجة امرئ القيس، و هذه القصة تناقلتها أغلب مصادر الأدب، و لنا أيضا في قصص سكينة بنت الحسين في أكثر من موضع في الكتاب،وغيرها من النساء المهتمات بالشعر و الشعراء دلالات أخرى.

فأم جندب حينما قالت لامرئ القيس : "علقمة أشعر منك "[1] ثم علّلت الحكم بعد ذلك، و هي قصة أزاحت الكثير من الغموض ، وبيّنت أن المرأة هي الأخرى كانت تتابع حركة الإبداع الشعري و مضامينه، و لها فيه مواقف و آراء ذات عمق و تأثير على الشاعر والمتذوق أيضا من المتلقين، و كانت شريكا فعّالا في توجيه الشعراء فيما يجب أن يتقيدوا به، كما كانت تفهم حدّ الشاعر، فهو موضوع و قافية و وزن و روي، و هي شروط طلبتها من امرئ القيس و علقمة، كما كانت تفهم ما تتطلبه البيئة الاجتماعية العربية الجاهلية من ضرورة توفير الحصان الأصيل، القوي السريع، إذ أن السرعة خاصة كانت مطلبا اجتماعيا لابد منه.

(1) **الموشح**. ص 29.

و قصة الاحتكام إلى أم جندب، وردت فيها أحداث أخرى و هي قصة تزوج امرئ القيس من أم جندب الطائية، و قصة دخوله بها، و ما لاحظته من صفاته النفسية و الجسدية، و قصة بغضها له و عدم الرغبة في معاشرته، و قصة طلاقها منه بعد أن اتّهمها بالتحيّز لعلقمة و عشقها له، كل ذلك كان في سياق الحديث عن حكم نقدي بسيط يتضمن أيّهما أشعر.

و لاشك أن تلك الأحداث كان لها علاقة متينة بالموضوع، ففي الوقت الذي كانت فيه أم جندب تحاول الحكم على الشاعرين من خلال شعرهما بكل موضوعية، كان امرؤ القيس، واقعا تحت تأثير ما حدثته به زوجته من أنه كان " مفرّكا " تبغضه النساء، وزاده هذا الحكم من زوجته بغضا لها، فطلقها.

و لو افترضنا أن زوجته كانت قد مدحته و أحبته و رضيت بمعاشرته، قد يكون من الجائز أنه تقبّل حكمها بالشاعرية لعلقمة، و ربما كان يزداد فخرا بها، لاهتمامها بالشعر و معانيه وتفهمها لحدوده، و لما كان أقدم على تطليقها. و كأن امرأ القيس بطلاقه لامرأته و اتهامها بالتحيز لعلقمة لأنها عاشقة له، يريد أن يغطي على تقصيره في وصف سرعة فرسه، و على أن العيب في زوجته التي بغضته لا في معاني شعره.

و أمر آخر يمكن أن نستخلصه من هذه القصة و هو وجوب التفريق بين الشاعر و الشعر، فأم جندب حكمت بكل موضوعية، إذ نظرت إلى بيت كل من الشاعرين بعيداً عن قائليهما، وحكمت بناء على أسباب و علل، دون مراعاة مشاعر زوجها، و لو أدى هذا الحكم الموضوعي إلى التأثير على مستقبل حياتها.

أما سكينة بنت الحسين فقصتها مع جرير و الفرزدق و كثيّر عزّة و جميل و النّصيب، و نقدها لإشعارهم من أجمل القصص التي ذُكِرَتْ في " **الموشّح** " و تبدي هذه القصة إطلاع المرأة العربية المسلمة على أغوار الشعر و الخوض في نقده، وتقويم عيوبه.

و قد ورد في " **الموشح** " أن الرواة قالوا : " اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين بن علي – رضوان الله عليهم – جرير و الفرزدق و كثير عزة و جميل و النصيب، فمكثوا أياما ثم أُذنت لهم، فدخلوا فقعدت حيث تراهم و لا يرونها و تسمع كلامهم"[1] ثم تحاورت معهم عن طريق جاريتها، و نقدت كل واحد منهم على حدة، و بينت عيوب شعره و محاسنه.

و لها في نقدها لهم مواقف سَنِيَّة، تدل على علّو كعبها في الأدب، و اهتمامها بالشعر و الشعراء، ثم إنهم مكثوا عندها أياماً – على حدّ ما أورده الرواة – و هذا أيضا يدل على أن بيتها كان مَنْظَرةً للشعراء، يأخذون برأيها و يقوّمون أشعارهم بنقدها. و أما الحوار الذي دار بينهم ففي صميم حدّ الشعر و موضوعه و مضمونه فالقصة على طرافتها، تحمل من معاني الشعر و توجيهه ما هو جدير بأن يدرس و يحلل، و موقفها مع جرير حينما قالت له :[1] " أأنت القائل ؟ :

طَرَقَتْكَ صائِدَةُ القلوبِ وليس ذا حِين الزيارة فارجعي بسلام"

و ذكرت ثلاثة أبيات أخرى، فقال لها جرير : " أنا قلته" قالت : " أفلا أخَذْت بيدها، ورَحّبْت بها، و قلت : " فادخلي بسلام" أنت رجل عفيف – و قيل ضعيف – خذ هذه الألفين والحق بأهلك".[2] و هذا الجزء من القصة المطوّلة يدفعنا إلى القول بأن سكينة أجادت نقد جرير فيما ذهب إليه، و استطاعت أن تكتشف عيبه و لم تكتف بذلك، بل قدمت له البديل عن خطئه. و هذا هو النقد البنّاء الذي يكشف العيوب و يعوّضها بالصّواب.

(1) **الموشح**. ص 264.

(2) المصدر نفسه. ص 264.

كما تدل القصة على أن القيم الاجتماعية تكون خلفية أخلاقية ينقد على أساسها الشعر و مضمونه، و المرأة أعرف بشؤون النساء و نفوسهن، و ما يحزّ في نفس المرأة أن توصَد أبواب الحبيب في وجهها، و لو من الوجهة الفنية، أعني أن تكون الحبيبة افتراضية ليست حقيقية، فلا يجوز الابتعاد عن ضروريات الواقع.

و القول في القصة بأن سكينة أعطت جريرا ألفين من النقود، و إنما يشير إلى أنها كانت تقدّر الشعر و الشعراء، و تشجّع على قول الشعر، كما ينبئ عن الدافع الذي جاء بالشعراء إليها، لعرض أشعارهم و سماع نقدها، و للحصول على الرّزق.

و القصص في الكتاب أكبر من أن تعدّ، بل يكاد **الموشح** أن يكون كله قصصا، و اخترت منها قصصا نسائية، لأن هذا ملفت للانتباه في الكتاب، و غَيْر أمّ جندب و سكينة كثير، فهناك قصص أخرى لنساء لهن باع في الشعر كأمثال عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، و هي تحاور رواة بعض الشعراء و تنقد أشعار أصحابهم[1]، و زوجة الفرزدق تحكم بينه و بين جرير[2]، و امرأة أخرى تنقد شعر كثير[3]، و غيرهن كثير، و أما قصص الرجال من أصحاب الآراء و الأحكام النقدية، فهم فوق ما يُعَدُّ و يُحصى.

و لكن المؤكد أن كل قصة أوردها **الموشّح** و ما فيها من حواشي، و أحداث و دلالات، إلا و لها ما يفيد الباحث و الناقد في إضاءة زاوية من زوايا الأدب عموما، و الشعر خصوصا.

(1) انظر **الموشح**. ص 254.
(2) المصدر نفسه. ص 168.
(3) المصدر نفسه. ص 239.

و خلاصة القول، فإنّ هذه النزعات الثلاث – التاريخية و الإخبارية و القصصية – و غيرها من النزعات الأخرى و إن كانت هامشية، فإنها تقدم لنا الشعر العربي من جميع الجوانب، شكلا و مضمونا، و تحيط بالشاعر أيضا من حيث التأريخ له، أو الأخبار التي نقلت عنه أو حوله، أو القصص التي قدمت سياق شعره، و بهذا ساهمت هذه النزعات و التّوجّهات في تقديم الشعراء و ما أخذ عنهم، و من آخذهم أيضا على عيوبهم، و ما يبقى سوى تدقيق النظر في هذه النزعات لاستنتاجات أكثر فاعلية.

7- موضوعات الكتاب :

إن المطلع على كتاب " **الموشح** " لأبي عبيد الله **المرزباني**، ومن خلال عنوانه " مآخذ العلماء على الشعراء "يدرك أنّه – كما أسلفنا الذكر– كتاب جمْع لآراء وليس كتاب وضْع لنظرية في الأدب أو في حدود الشعر، و لذا عمد المؤلف إلى النقل عن علماء اللغة و النحو و الأدب والرواية آراءهم في الشعراء منذ الجاهلية حتى أيامه، وما أنكروه من عيوب في أشعار الكثير منهم، شكلا أو مضمونا أو هما معاً.

وفي هذه الزاوية من البحث أعرض لموضوعات الكتاب، وأهم جزئيات كل موضوع دون شرح ولا تفصيل، واعتمد الترتيب التسلسلي الذي اعتمده **المرزباني** في تصنيف كتابه، وترتيب موضوعاته.

الباب الأول :

و يتناول : السّناد و الإقواء و الإكفاء و الإيطاء [1]، و ما يتفرع عنها.

الباب الثاني : الشعراء الجاهليون :

1- **امرؤ القيس بن حُجْر** :[2] و أهم ما سجل حوله من أخبار و ملاحظات :
تنازع امرئ القيس و علقمة – امرؤ القيس والنابغة في وصف الليل.
– امرؤ القيس و طفيل الغنوي –كثير من شعر امرئ القيس ليس له.
– ما عيب على امرئ القيس.

(1) **الموشح**. ص 4.
(2) المصدر نفسه. ص 26.

2- النابغة الذبياني :[1]

الإقواء في شعره، وبعض المآخذ في شعره، والتضمين في شعره، وما عيب على النابغة، ثم إطلالة على بعض أبياته المستكرهة.

3- زهير بن أبي سلمى :[2]

بعض المآخذ في شعره، وكعب بن زهير يجيز للنابغة – زهير والنابغة – زهير يدعي أبياتاً – الأسباب التي قُدّم بها زهير– ما عابه الناس على زهير.

4- الأعشى (ميمون بن قيس) :[3]

شعر الأعشى – بعض المآخذ في شعره – جهنام والأعشى – الأعشى والنابغة – أكذب بيت قالته العرب للأعشى – من شعره الغث – التكلف في شعره – ما استكره من أبياته – من ابتداءاته التي يتطيّر منها – عدم المشاكلة في شعره – ماعيب على الأعشى – يونس يوازن بين شعر للأعشى وشعر لمروان بن أبي حفصة – ما استضعف من معاني الأعشى – الإيطاء في شعره –الألفاظ الأعجمية في شعره.

5- طرفة بن العبد : [4]

لم يكن يحسن أن يتعشق – ما عيب من شعره – موازنة بين شعر لطرفة وشعر لعنترة العبسي، وشعر لامرئ القيس – موازنة بين شعر لطرفة و شعر لحسان بن ثابت، و شعر لزهير.

6- بشر بن أبي حازم : [5]

الإقواء في شعره – ما أنكر عليه من شعره.

---

(1) **الموشح**. ص 45.

(2) المصدر نفسه. ص 56.

(3) المصدر نفسه. ص 63.

(4) المصدر نفسه. ص 77.

(5) المصدر نفسه. ص 80.

7- حسان بن ثابت الأنصاري :[1]

إنشاده الشعر أمام النابغة – نقد النابغة لشعر حسان – رأي **المرزباني** في نقد حسان – بعض المآخذ على شعره – الشعر في الجاهلية والإسلام – حسان بن ثابت يجبل – إجازة ابنته له – موازنة بين شعر لامرئ القيس وشعر حسان – بعض ما عيب من شعره.

8- أوْس بن حُجر :[2]

ما عيب عليه من شعره.

9- النابغة الجعدي (عبد الله بن قيس) :[3]

صفة شعره – وصف الفرزدق لشعره – رأي الأصمعي في هذا الوصف – طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير – رأي ابن سلام في شعره – هجاء سوار و الأخطل – لِمَ سُمِّي النابغة – النابغة الجعدي يحذّر عقالا – النابغة الجعدي و أوس بن مغراء – بعض ماعيب من شعره.

10- الشمّاخ بن ضرار :[4]

بعض ما عيب من شعره – ذو الرُّمّة يتبع الشماخ في شعره – رأي أبي نواس في شعر الشمّاخ – ما عابه أبو تمام من شعر الشماخ – ابن أبي العاصية ينحر ناقته على باب معن – ما أنكر عليه من شعره.

11- لبيد بن ربيعة العَامِرَي :[5]

الأصمعي يصف شعره – أبو عمرو بن العلاء يصف شعره – لبيد ينشد شعراً أمام أبي بكر أو عثمان – ما أنكر على لبيد من شعره.

---

(1) **الموشح**. ص 82.

(2) المصدر نفسه. ص 88.

(3) المصدر نفسه. ص 89.

(4) المصدر نفسه. ص 94.

(5) المصدر نفسه. ص 100.

12- **عدي بن زيد العبّادي :** [1]

موضعه من الشعراء – رأي الأصمعي في شعره – أثر البيئة في شعره.

13- **أبو دُوَاد الإيادي :**[2]

لماذا لا يُرْوَى شعره هو وعدي بن زيد – رأي الأصمعي في شعره – ما أنكر عليه من شعره.

14- **مهلهل بن ربيعة :**[3]

هو أول من قصّد القصائد – لماذا سُمِّيَ مهلهلاً – رأي الأصمعي في شعره – أكذب الأبيات في شعره.

15 – **عمرو بن الأهتم و الزبرقان بن بدر التميميان :**[4]

– تحاكم الزبرقان و عمرو بن الأهتم، و عبدة بن الطبيب، و المخبّل السعدي إلى ربيعة بن حذار – اجتماعهم و إنشادهم الشعر.

16- **المتلمّس الضبعي :**[5]

هو أول من حث على البخل في شعره.

17- **المسيّب بن علي الضبعي :** [6]

إنشاده الشعر في مجلس بني قيس بن ثعلبة – نقد طرفة لشعره – طرفة و عمرو بن كلثوم – السبب في قول عمرو بن كلثوم معلقته.

---

(1) **الموشح**. ص 102.

(2) المصدر نفسه. ص 104.

(3) المصدر نفسه. ص 105.

(4) المصدر نفسه. ص 107.

(5) (6) المصدر نفسه. ص 109.

18- **أمية بن أبي الصّلت** : [1]

بعض المآخذ على شعره.

19 - **النّمر بن تولب** : [2]

بعض ما أنكر عليه من شعره.

20- **عمرو بن قميئة** : [3]

ما أنكر عليه من شعره.

21- **قيس بن الخطيم** :[4]

إسحاق الموصلي يستشنع بعض قوله – رأي شعبة في قوله – مما يعاب عليه في شعره.

22 - **عمرو بن أحمر الباهلي** :[5]

الإقواء في شعره.

23- **جماعة من الشعراء القدماء** :[6]

رأي الأصمعي في عمرو بن كلثوم – رأي الأصمعي في الحويدرة – الأصمعي يوازن بين الراعي وابن مقبل – رأي الأصمعي في بعض الشعراء.

---

(1) **الموشح**. ص 112.

(2) المصدر نفسه. ص 113.

(3) المصدر نفسه. ص 115.

(4) المصدر نفسه. ص 116.

(5) المصدر نفسه. ص 118.

(6) المصدر نفسه. ص 119.

*** من عيوب الشعر :** [1]

- من عيوب الوزن : التخليع، الزحاف.
- من عيوب المعاني : فساد القسم، التكرير، دخول أحد القسمين في الآخر، ما لا يحتمل تركه, فساد المقابلات.
- من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن (التفصيل).
- من عيوب ائتلاف المعنى والوزن معاً (المقلوب والمبتور).
- التشبيهات البعيدة – الغلو – من التشبيهات البعيدة.
- من الأبيات التي قصّر فيها أصحابها.
- من الأبيات المستكرهة الألفاظ القلقة القوافي.
- الشعر البعيد الغلق.

*** من ضرورات الشعر:** [2]

صرف ما لا ينصرف – ترك صرف ما لا ينصرف – قصر الممدود – مد المقصور – الاجتزاء بالضمة من الواو – مما حذف منه بعض الكلمة – تسكين بعض الحروف – مضاعفة مالا يجوز أن يضاعف من الكلام – ردّ الإعراب إلى أصله – إلحاق نون الجمع مع الاسم المضمر – حذف التنوين من الأسماء المنصرفة – حذف الإعراب – قطع ألف الوصل – مما حذف إعرابه – ما جاء في القوافي من الحذف – وضع الكلام في غير موضعه – التصغير – غد، وغدو، أنعِم صباحاً، وعم صباحاً – الترخيم في النداء – وضع حرف لا تجري فيه الحركة مكان الحرف المتحرك.

(1) **الموشح**. ص 121.

(2) المصدر نفسه. ص 144.

الباب الثالث : الشعراء الإسلاميون:

1- الفرزدق :[1]

و يعرض فيه : نقد ابن أبي إسحاق لشعر الفرزدق وما فيه من إقواء – ما فيه من كلام حسن وما فيه من ألفاظ مستهجنة – افتخاره الذي ابتعدت معانيه عن الصواب – ما وجهه جرير للفرزدق من اتهام بالكذب في شعره – وما في شعره من إحالة – وصْف بعض شعره بالقبح – بعض العيوب في غزله – عيوب أخرى في شعره والأصمعي يصفه بالسرقة في شعره – وقيل أنه كان ينتحل أشعار غيره – كما يروي **الموشح** قصة تحكيم النوار زوج الفرزدق بينه و بين جرير – ومن أمثلة سرقاته ضمه قصيدة لذي الرّمة إلى شعره – وكان الفرزدق مهيبا تخافه الشعراء – كما أدخل بيتين لابن ميادة في شعره – و انتحل بيتين للراعي – وانتحل شعر جميل – وشعرا للأعلم العبدي – وأبياتاً للمخبل، وللمتلمّس – من شعره وهو محبوس – انتصاف جرير من الفرزدق في مجلس الحجّاج بن يوسف، وفوز جرير بالجارية. من مذاهب الشعراء في الجاهلية، التألّه والتعفّف وعدم الفُحش وعدم التهكم في الهجاء، ومنهم من لا يتستر كامرئ القيس – و جرير يعف عند ذكر النساء – موازنة بين أشعار كل من جرير و الفرزدق و الأخطل. إعجاب أهل البادية بشعر جرير – رأي بشار في شعر جرير و الفرزدق و الأخطل – ما قلّد فيه جرير غيره و معايب الفرزدق النحوية – بعض ما عيب به الفرزدق في شعره حيث أراد أن يمدح فهجا.

2 – جرير بن عطية الخطفي :[2]

ومما جاء بصدده :

– تباين بعض العلماء في تقديمهم لجرير أو الفرزدق – حُكم على شعر جرير بأنه سلَح (أي راثَ) – من أفن شعر جرير أي الموصوف بالنقص –

---

(1) **الموشح**. ص 156.

(2) المصدر نفسه. ص 187.

من عيوب شعره. تفضيل المُبَرِّد للفرزدق على جرير – رأي مروان بن أبي حفصة في شعر كل من جرير والفرزدق وتفضيله للفرزدق – رأي أبي عبيدة في شعرهما – هجاء جرير للفرزدق بثلاثة أشياء كلها كذب – إبداع الفرزدق في الهجاء – تفضيل ابن البحتري للفرزدق – تفضيل كردين المسمعي للفرزدق و الأخطل على جرير – خلف يزعم أن جريراً كان قليل التنقيح في شعره – بعض المآخذ على شعره – من أبياته التي زادت قريحته فيها على عقله – سبب الهجاء بين جرير وعمر بن لجأ التيمي – بعض ما عيب عليه في شعره – هجاء جرير التّيْم – تنازع جرير و العاملي في مجلس الوليد بن عبد الملك – رأي جرير في الفرزدق و الأخطل – الإقواء في شعر جرير.

3 – **الأخطل (غياث بن الغوث)** :[1]

الأخطل يسأل الغضبان بن القبعثري في حمالة – سويد بن منجوف يهيّج بكر ابن وائل على الأخطل وهجاء الأخطل له ولقومه – مدح الأخطل لسماك بن عمير – سوَيد يزعم أن الأخطل لا يحسن أن يمدح ولا أن يهجو – هجاء الأخطل لقيس – الأربعة التي أخطأ فيها الأخطل –خبر الأخطل و الجحّاف بن حكيم– شعر الأخطل في الجحّاف – نقد عبد الملك بن مروان لبعض أبيات الأخطل –رأي بشار في شعره– سرقات الأخطل الشعرية. – رأي الشعبي في شعر الأخطل و الأعشى – إقرار الفرزدق والأخطل لجرير بسيرورة شعره منهما –هجاء الأخطل لجرير – شعر الأخطل في منظور عباد بن الحجاج – الأخطل يقول. نحن أسرق من الصّاغة – الأخطل يمدح عبد الملك ونقد عبد الملك لشعره.

(1) **الموشح**. ص 211.

4- كُثـيّر بن عبد الرّحمان :[1]

بعض ما عيب عليه شعره – ورأي مروان بن أبي حفـصة فـي شـعره – غضب عبد الملك من شعر لكثير – كثـيّروالشيعة – تفضيل عبد الملك للأعشى على كثـيّر و رأي **المرزباني** في ذلك – اللحن في شعر كثير – رأي الأصـمعي فـي شعره – موقف الناس من بيت من الشعر لكُثـيّر– رأي عبد الملك بن مروان فـي شعره – أنسب بيت قالته العرب –بعض ما أخذ عليه في شعره – رواية كُثيّر لشعر جميل – كُثيّر والأخطل في مجلس عبد الملك – عزّة وكثيّر – رأي ابن أبي عتيـق في شعر لكثـيّر و استشهاده له وتفضيله لعبد الله بن قيس الرُّقيّات – نقـد امـرأة لشعر كثيّر ورد كثيّر عليها – تفضيل قطام لشعر امرئ القيس على شعرٍ لكثيّـر – من سرقات كثيّر – رأي **المرزباني** فيما قيل عن سرقاته – رأي سكينة بنت الحسين في بعض شعره – نقد بشار لبيت من شعره – امرأة تعيب بيتا لكثيّر.

5 – راعي الإبل النُّمَيْري :[2]

عبد الملك بن مروان يعيب شعرًا له على أنه شرح إسلام و قراءة آية – بَيْنَ الرّاعي وعمّه في أيّهما أشعر – رأي أبي عمرو بن العـلاء فـي شـعره – رأي الأصمعي في شعره بعض ما أُنْكِرَ عليه في شعره.

6 - القُطامي :[3]

مدح القطامي لزفر بن الحارث، ورأي هذا الأخير في شعره.

(1) **الموشح**. ص 227.

(2) المصدر نفسه. ص 249.

(3) المصدر نفسه. ص 251.

7- أخبار تشمل على جماعة من شعراء الإسلام :[1]

رواة الشعراء عند سكينة بنت الحسين ورأيها في شعر جرير و كثير، ونصيب و الأحوص- **المرزباني** يصحح نسبة بيت من الشعر – رأي عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب في شعر لجميل , وكثير و الأحوص – اجتماع شعراء عند كثير عزة ونقده لبعض شعرهم –أشعر العرب – نقد لشعر الفرزدق ، و جرير ، وابن رميلة – اجتماع بعض الشعراء بباب الوليد بن عبد الملك – رأي البعيث في شعرهم – نقد سكينة لبعض الشعراء الذين استضافتهم – من أخبار الشعراء و الجان.

8- ذو الرّمّة :[2]

رأي الأصمعي فيه علي أنّه حجّه – ذو الرمة كان راوية الراعي – رأي جرير و أبي عمرو بن العلاء والفرزدق في شعره – رأي جرير في شعره وشعر الفرزدق و الأخطل – رأي الأخطل في شعر ذي الرمة – أركان الشعر أربعة – رأي البطين في شعر ذي الرمة – ذو الرمة يسأل الفرزدق عن شعره – لماذا لايعدّ ذو الرمة من الفحول – لماذا ترك ذو الرمة الرَّجز – بعض ما أخد عليه في شعره – ما أجاد فيه ذو الرمة من الشعر – ذو الرمة كان يكتب و يخفي ذلك عن الناس.

9- عبيد الله بن قيس الرقيات :[3]

رأي الأصمعي في شعره – ما أخذ عليه في شعره – الأصمعي يرميه باللحن في شعره.

10- الأحوص بن محمد :[4]

نقد بيت له – بين جرير و الأحوص – أعطي الأحوص في شعره عشرة آلاف دينار – نقد كثير لشعر الأحوص.

---

(1) **الموشح**. ص 252.

(2) المصدر نفسه. ص 270.

(3) المصدر نفسه. ص 293.

(4) المصدر نفسه. ص 296.

11- **أبودهبل الجمحي** :[1]

ارتجّ عليه ولم يكمل بيتا.

12- **نصيب الأسود** :[2]

عبد الملك بن مروان ينقد بيتا له – رأي ابن أبي عتيق في بيت له.

13 - **عدي بن الرقاع** : [3]

نقد بعض شعره.

14- **أعشى همدان** :[4]

الأصمعي يعده من الفحول – بعض أخطائه في شعره.

15- **الكميت بن زيد الأسدي** :[5]

كونه مولدا فهو ليس بحجة – الأصمعي يفضل ذا الذمة على الكميت – **الكميت** و الطرماح يسألان رُؤْبَة عن الغريب – المفضل يقول: الكميت لا يعتد به **في الشعر** – استعمال الكميت للعويص – النصيب يحصي خطأ الكميت عند **اجتماعهما** – رأي المبرد في شعر الكميت – و رأي الأصمعي في الكميت – بشار **خطّ** من شعر الكميت – ذو الرّمّة و الكميت – رأي حماد في شعر الكميت – **بعض** أخطاء الكميت – رأي خشاف في شعر الكميت – بعض ما أنكر على **الكميت**.

16- **جميل بن معمر العذري** : [6]

له بيت نصفه أعرابي في شملة، و نصفه مخنّث – جميل أصدق في عشقه **من كثيّر** – المفضل الضبي يميل إلى كثير – تفضيل بعض شعر للعباس بن الأحنف **على شعر** لجميل.

---

(1) (2) **الموشح**. ص 298.

(3) (4) المصدر نفسه. ص 301.

(5) **المصدر** نفسه. ص 302.

(6) **المصدر** نفسه. ص 311.

17- **عمر بن أبي ربيعة** :[1]

هو حجة في العربية على حد قول عمر بن العلاء – بعض ما عيب به شعره - رأي جرير في شعره – عبد الملك بن مروان يقول : عمر أطول قريش صبْوة أبطؤها توبة – سليمان بن عبد الملك يأمر عمر ألا يحج مع الناس – أبو عبيدة يعيب شعره – ابن أبي عتيق ينقد شعرا له – المفضل يضع من شعر عمر في الغزل – النصيب يصف شعره و شعر جميل، و كثير، و ابن أبي ربيعة – رأي كل من سعيد بن المسيب و الفرزدق في شعر عمر بن أبي ربيعة.

18- **قيس بن ذريح** :[2]

وصف بالكفر في بيت من شعره.

19- **مجنون بني عامر** : [3]

قال بيتا فذهب بصره – البلاء موكّل بالمنطق.

20- **الطّرمّاح** : [4]

الطرماح يكتب ألفاظ النَّبيط و يدخلها في شعره – نشأته بسواد الكوفة – هو ليس بحجة لأنه مولد – الطرماح و الكميت يسألان رؤبة عن شيء من الغريب.

21- **الحارث بن خالد المخزومي** :[5]

ابن أبي عتيق يصف شعر عمر بن أبي ربيعة و الحارث بن خالد المخزومي و يميل إلى عمر.

---

(1) **الموشح**. ص 315.

(2) المصدر نفسه. ص 323.

(3) المصدر نفسه. ص 324.

(4) المصدر نفسه. ص 325.

(5) المصدر نفسه. ص 327.

22- **عبد الله بن عمر العَبَلي** :[1]

هشام بن عبد الملك يضربه مائتي سوط بعد أن مدحه بشعر – بعض ما عيب من شعره.

23- **عروة بن أذينة** :[2]

أبو السائب المخزومي يعيب بعض شعره – و العرجي أوفى بالعهد و أولى بالصواب منه – بعض ما أنكر عليه من شعره.

24- **الأغلب العجلي** :[3]

رأي الأصمعي فيه – كان ولده يزيدون في شعره –.

25- **أبو النجم العجلي** :[4]

الأصمعي يستجيد بعض رجزه – بعض ما أخذ عليه – بعض ما أخطأ فيه.

26- **العجاج** :[5]

العجاج عند الوليد – الوليد يطلب منه شعرا آخر غير الذي مدحه به – السناد في رجز العجاج – رأي رؤبة في شعر أبيه (كان يغض الطرف عن عيوب والده الشعرية) – الأصمعي ينكر على العجاج بعض أخطائه في شعره.

27- **رُؤْبَة بن العجّاج** :[6]

الأصمعي يذكر بعض أخطائه المعنوية – رؤبة أكثر شعرًا من أبيه – بعض ما أُخذ عليه.

---

(1) **الموشح**. ص 329.

(2) المصدر نفسه. ص 331.

(3) المصدر نفسه. ص 333.

(4) المصدر نفسه. ص 334.

(5) المصدر نفسه. ص 336.

(6) المصدر نفسه. ص 342.

28- **أبو نخيلة السّعدي** :[1]

انتحاله لشعر رؤبة و موقف رؤبة من ذلك.

29- **مالك بن أسماء** :[2]

رأي الأصمعي في بيتين من شعره، و تفضيله امرأ القيس عليه.

30- **القحيف العامري** :[3]

قال عنه الأصمعي: " ليس بفصيح و لا حجّة ".

31- **الأقيشر الأسدي** :[4]

الأصمعي يطعن في الأقيشر.

32- **أيمن بن خُرَيْم** :[5]

أفضل مديح الرجال – عبد الملك يعتب على عبيد الله بن قيس الرّقيات في مدحه بالفضائل الجسمية – أيمن بن خريم يمدح بشر بن مروان ولا يجيد.

33- **ابن هَرْمَة** :[6]

استحسان شعر عنترة عند بعض أهل العلم – بعض ما أخذ على ابن هرمة في شعره – ابن هرمة يقول شعرًا لا يستطيع أن يجوزه – بعض ما أخطأ فيه ابن هرمة.

34- **عبد الرحمان القس** :[7]

قدامة يذكر بعض ما استثقل من كلامه، و ما استخشن منه – ما جاء من التناقض في شعره – شعر ليزيد بن مالك متناقض.

---

(1) **الموشح**. ص 343.

(2) المصدر نفسه. ص 344.

(3) (4) المصدر نفسه. ص 345.

(5) المصدر نفسه. ص 346.

(6) المصدر نفسه. ص 349.

(7) المصدر نفسه. ص 351.

35- **نوح بن جرير** :[1]

رجل من بني سعد يعيب جريرًا و ابنه.

36- **أبو حيّة النُميري** :[2]

بعض ما عيب من شعره.

37- **ابن ميادة المري** :[3]

رأي قاسم بن جندل في شعره وردّ ابن ميادة عليه – نقد ابن ميادة لشعر الحكم الخضري ــ الحكم ينتقد شعرا لابن ميادة.

38- **عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي** :[4]

بعض ما أخذ عليه في شعره.

39- **الحسين بن مطير** : [5]

مدحه لمعن – نقد لشعره في مديح معن – تسكينه ما حقّه التحريك.

40- **جماعة من شعراء الإسلام** : [6]

لقاء عمر بن أبي ربيعة الأحوص مقبلاً من عند عبلة – نقد عمر لبعض شعر الأحوص في الغزل.

* من عيوب معاني الشعر :[7]

مخالفة العُرْف – أن تنسب الشيء إلى ما ليس له.

---

(1) **الموشح**. ص 354.

(2) المصدر نفسه. ص 355.

(3) المصدر نفسه. ص 356.

(4) المصدر نفسه. ص 359.

(5) المصدر نفسه. ص 360.

(6) المصدر نفسه. ص 361.

(7) المصدر نفسه. ص 362.

* من عيوب ائتلاف اللفظ و المعنى :[1]

الإخلال و عكسه.

* من عيوب ائتلاف اللفظ و الوزن :[2]

الحشو – التَّتْليم – التَّذْنيب – التَّغيير.

* من العيوب العامة للمعاني :[3]

فساد التفسير – التناقض.

* من عيوب ائتلاف المعنى و القافية :[4]

استدعاء القافية و التكلف في طلبها – أن يؤتى بها تكون نظيرة لأخواتها في السّجع – ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره و تنسيق أبياته – و أن يحترز في أشعاره و مفتتح أقواله – بعض الابتداءات المعيبة – الفرزدق أشعر أهل زمانه ثم ذو الرمّة – غضب عبد الملك على ذي الرمّة بعد ما أنشده شعرًا – سخط عبد الملك على شعر للأخطل أنشده إياه – كراهية عبد الملك سماع شعر لمتمم بن نويرة – عبد الملك ينقد شعرًا لجرير – هشام بن عبد الملك يعيب شعرًا لأبي النجم – أرطأة ابن سهية ينشد شعرًا لعبد الملك بن مروان – عبد الملك يرتاع لسماعه هذا الشعر.

– مِن شعراء الأعراب من سلك الزلل في أشعارهم – أحسن الشعر عند محمد بن يزيد النحوي. – من الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها – جماعة من الشعراء المحدثين أغرقوا في المعاني – أحسن المديح.

(1) **الموشح**. ص 363.

(2) المصدر نفسه. ص 365.

(3) المصدر نفسه. ص 367.

(4) المصدر نفسه. ص 368.

الباب الرابع : الشعراء المحدثون :

وصف ابن الأعرابي لأشعار المحدثين و أشعار القدماء و تفضيله لشعر القدماء.[1]

1- بشار بن برد العقيلي :[2]

الأخفش يعيب بعض أبياته – سيبويه يعيب شعرًا لبشار و ردّ بشار عليه بهجائه، وبعض المآخذ في شعر بشار – بشار يأتي بالقوي من شعره والمهجّن منه. وجوب تجنّب الإشارات البعيدة – بشار أستاذ المحدثين – بشار ينظم الشّذرة ويضع إلى جانبها بَعْرَة.

2- مروان بن أبي حفصة :[3]

الأصمعي يقول عنه : كان مولّدًا ولم يكن له علم باللغة – مروان كان ينقح شعره ولم يكن مطبوعاً – الأصمعي يُقَدِّمْ بشاراً على مروان – مروان أجدّ و بشار أهزل ورأي الأصمعي في هذا – كان يأخذ أكثر شعره من دعامة بن عبد الله – اشترى شعرًا من باهلي ومدح به مَعْنًا – أَمْدَح بيت قِيلَ في مَعْن.

3- أبو العتاهية :[4]

بعض ما أخذ عليه في شعره – لو شاء أن يقول ألف بيتٍ لَقال – الرّشيد يُنكِر على إسحاق الموصلي طعنه على أبي العتاهية في شعره – رثاء أبي العتاهية لسعيد بن وهب – ما عيب عليه في بعض رثائه – مما أنكر عليه في النسيب – الخطأ الفاحش والقول السخيف في شعره – نقد لشعر أبي العتاهية وأبي نواس – أبو العتاهية من سوقة الناس وعامتهم – من ضعيف شعره – من شعره المستحسن

---

(1) (2) **الموشح**. ص 384.

(3) المصدر نفسه. ص 390.

(4) المصدر نفسه. ص 395.

- التضمين في شعره – خيرُ الشعر ما قام بنفسه – من عثار أبي العتاهية مع اقتداره – من أخطائه في الشعر – تعصّب الرشيد لأبي العتاهية.

4- **أبو نواس** :[1]

رأي أبي عبيدة في شعره – إسحاق الموصلي يتعصّب على أبي نواس و يَنْصر الأوائل – الفرق بين الممتنع و المتناقض في رأي قدامة – من التناقض في شعره – من قوله على طريق الإيجاب و السّلب – بعض ما عيب من شعره – ابن الأعرابي يفضل بيتًا للأعشى على آخر لأبي نواس– المبرد يزعم أن أبا نواس لحَّانةٌ – مما يُرَد من شعره ويُطرح – من شعره الملحون و المرذول – من شعره المذموم – بيت له بادي العوار – قال شعرا لا يتكلم بمثله مسلم – مما أنكر من قوله وما لم يجد فيه – اللحن والخطأ في شعره – إفراطه في طلب البديع – الإحالة في شعره – نقد العتّابي لبعض شعره – بين مسلم بن الوليد وأبي نواس – مما عيب من شعره – من سرقاته – ما أخذه علي بن المبارك على أبي نواس – وجوب احتراز الشاعر مما يتطيّر منه في مفتتح الأقوال – بعض شعره في الزهد – من مرثيّته للأمين – من مساوئه ما يعفّي على محاسن شعره – الرشيد يُصلِح بيتاً لأبي نواس – بعض شعره الفاسق يدخله به الرشيد إلى المَطْبَق – بعض سقطاته – حبسه الرشيد حتى يدع الخمر – نقد شعر قاله في الحبس – موازنة بين بيت له وآخر لحسّان – بعض ما غلط فيه – كثرة الإحالة في شعره – رأي أبي علي البصير في شعر أبي نواس – بعض ما أخذه من غيره – مسلم بن الوليد يسأل أبا نواس عن بيت له – قال له مسلم : ما أعلَمُ لك بيتاً إلا مدخولاً معيباً ساقطاً – نقد أبي نواس لبيت لمسلم بن الوليد – رأي مسلم بن الوليد في مسألة تقديم أبي العتاهية وأبي نواس مستنكراً ذلك – تماديه في حب البديع – من سيء شعره – رأي ابن مناذر في شعره – شعرله فيه إفراط – هجاء أبي نواس لأحمد بن روح و جواب أحمد – من شعره الذي رُمِيَ به بالكفر – فجوره في شعره.

(1) **الموشح**. ص 407.

5- **مسلم بن الوليد** :[1]

مسلم بن الوليد يتهم أبا نواس بعدم إحسان الأوصاف – نقد أبي نواس لبيت مسلم.

6- **العباس بن الأحنف** :[2]

الأصمعي يتسخّط شعره، ويصف لفظه بالسّخف – ما عيب عليه من شعر الغزل – ما عيب على جرير والفرزدق في الغزل – رأي المدائني في شعره وشعر أبي العتاهية – ابن الأعرابي يُشَبِّهُهُ برُؤْبة – غصين بن براق يحلف أن بيتا للعباس ليس له – ضمُّه بيتاً للذلفاء إلى شعره – أبو الهذيل يعتقد الكذب و الفجور في شعره – ما يروى له من الهجاء.

7- **كلثوم بن عمرو العتابي** :[3]

وصف شعر العتابي والعباس بن الأحنف – من أشعر شعر العتابي – ما أخذ من شعر بشار – بعض المآخذ على شعره – العتابي : كزٌّ لارِقَّةَ له على حد قول أحد الرجال.

8- **أشجع السُلَمي** :[4]

علي بن الجهم يقول إنه يخلي و معنى ذلك.

9- **محمد بن مناذر** :[5]

أبو العتاهية ينقد بعض شعره – أبو عبيدة لا يعجبه شعر ابن مناذر – ابن مناذر يطلب من خلف أن يقيس شعره بشعر امرئ القيس و زهير و النابغة – خلف يرميه بصحفة مملوءة مرقاً – ابن مناذر يكمل بيتا بعد حول.

---

(1) **الموشح**. ص 444.

(2) المصدر نفسه. ص 445.

(3) المصدر نفسه. ص 449.

(4) المصدر نفسه. ص 452.

(5) المصدر نفسه. ص 453.

10- **المؤمّل بن أميل المحاربي** :[1]

رثاؤه للمهدي و ضحك الناس منه.

11- **العُمَاني الرَّاجز** :[2]

إسحاق الموصلي يصف الأصمعي – الأصمعي يعيب العماني – الرشيد يصلح خطأ للعماني.

12- **بكر بن النطاح** :[3]

الإسراف و التجاوز والغلو عند المحدثين و مثال ذلك من شعره.

13- **الفضل الرّقّاشي** :[4]

سؤاله لأعرابي عن معنى البلاغة والعيّ – أبو علي الهباري يفضّل أبا نواس عليه.

14- **محمد بن يسير الحميري** :[5]

المبرّد يذكر خطأ له في شعره.

15- **محمد بن وهيب الحميري** :[6]

بعض ما أخطأ فيه.

16- **دعبل بن علي الخزاعي** :[7]

دعبل يدّعي أن أبا تمام كان يأخذ معانيه فيردّ رجُل عليه.

---

(1) **الموشح**. ص 454.

(2) المصدر نفسه. ص 455.

(3) (4) المصدر نفسه. ص 456.

(5) المصدر نفسه. ص 457.

(6) (7) المصدر نفسه. ص 458.

17- **إسحاق بن إبراهيم الموصلي** :[1]

الأصمعي ينقد بعض شعره – بعض عيوب شعره – مما سرقه من الأحوص – الابتداءات المستكرهة.

18- **مروان بن أبي الجنوب** :[2]

المكتفي ينقد شعراً له – مثل شعر آل حفصة وتناقصه حالاً بعد حال – بعض ما أخذ عليه في شعره –.

19- **أبو تمّام الطائي** :[3]

أبو حاتم يصف شعره – رأي ابن الأعرابي في شعره – أبو هفان يشبه شعره – الغلو في البديع في شعره – رأي دعبل في شعره – عبيد الله يستغث شعره ويكرهه – من ابتداءات شعره البشعة – تقليده لأرجوزة أبي نواس – مما يعاب عليه – من سخيف شعره وما أُخِذ عليه – بلوغه نهايات الإساءة و الإحسان –بعض عيوب شعره –عود إلى الابتداءات المذمومة – الغريب في شعره – إكثاره السرقات – كتابه الذي ألفه في اختيار الأشعار – رَجْع إلى ما عيب من شعره – التكلف في شعره – ومن عجائبه – بعض ما أنكره عليه إسحاق الموصلي – ومن تكلفه – دفاع الطائي عن بيت له – الإحالة في شعره – رأي البحتري في دعبل وأبي تمام – من أشهر ما عيب به أبو تمام – من عيوب الشعر أن تكون القافية مستدعاة ومثل ذلك من شعره – ومما عيب عليه أيضا – رأي علي بن الجهم في شعره – كان إذا كلَّمه إنسان أجاب قبل انقضاء كلامه – من عيوب القصيدة التي مدح بها عبد الله بن طاهر– الكندي يعيب بيتاً لأبي تمام – إسحاق الموصلي يقول عنه أنه يتكئ على نفسه – يعقوب الكندي يقول : هذا رجل يموت قبل حينه – دعبل يزعم أنه كان يسرق الشعر و مثال ذلك من قصيدة رثى بها محمد بن حميد الطوسي،

(1) **الموشح**. ص 460.

(2) المصدر نفسه. ص 462.

(3) المصدر نفسه. ص 464.

و ذِكْر لبعض ما وقع فيه من خطأ.

20- **أبو عبادة البحتري** :[1]

بيت له غير موزون – بعض العلماء بالشعر يوازنون بين شعر أبي تمام وشعر البحتري – تقليد البحتري لمعاني أبي تمام إقرار البحتري بالحق مما أخذه البحتري من شعر أبي تمام و كثرة سرقاته منه – أجْبَل البحتري عشر سنين ثم قال كثيراً – اللحن في شعر البحتري – ابن أبي طاهر يَنْظم شعرا يصف فيه البحتري باللحن والسّرقة – كفره بالإحسان – من هجائه القبيح للمستعين – هجاؤه لأكثر من أربعين رئيسا ممن مدحهم – نقله أكثر من عشرين قصيدة من ممدوح إلى آخر – قلّة وفائه – مما أنكر عليه – ابن الرومي ينهى البحتري عن الهجاء – من سرقات البحتري – من سقطاته في شعره – مما أخذه من أبي تمام – سرقاته من أبي تمام نحو خمسمائة بيت – أبيات له وجد فيها بعض أعدائه مقالاً.

21- **يزيد بن محمد المهلبي** :[2]

الإحالة في بعض شعره.

22- **أحمد بن المعَذَّل** :[3]

تأوّل في قصيدةٍ بيتاً لجرير، فأخطأ في تأوّله وأتى به على غير وجهه.

23- **علي بن الجهم** :[4]

مروان بن أبي الجنوب يصف شعره ببيت من الشعر – تعجّب أحمد بن أبي دُوَاد من مدح علي بن الجهم للمتوكل بكلام غير مسبوق – مما أخطأ فيه ابن الجهم.

---

(1) **الموشح**. ص 505.

(2) المصدر نفسه. ص 525.

(3) المصدر نفسه. ص 526.

(4) المصدر نفسه. ص 527.

24- **عبد الصّمد بن المعذَّل** :[1]

ملاحظات حول بعض أخطائه ولحنه.

25- **عليّ بن محمد العلوي** :[2]

كِبَر شعره عن علمه – بعض أخطائه.

26- **أبو سعد المخزومي** :[3]

تكراره لكلمة مرتين في بيت واحد، و هو عيب – رأي **المرزباني** في ذلك.

27- **أحمد بن أبي فنن** :[4]

مما يعاب على قيس بن الخطيم – أخذ ابن أبي فنن من شعر ابن الخطيم و إسرافه حتى الخطأ.

28- **محمود الورّاق** :[5]

من عيوب بعض شعره.

29- **إسحاق بن خلف البصري** :[6]

له بيت بعضهم أنكره و بعضهم أجازه.

30- **أحمد بن المدبِّر الكاتب** :[7]

أبيات له مضطربة الإعراب.

---

(1) **الموشح**. ص 528.

(2) المصدر نفسه. ص 529.

(3) المصدر نفسه. ص 530.

(4) المصدر نفسه. ص 531.

(5) المصدر نفسه. ص 532.

(6) (7) المصدر نفسه. ص 533.

31- **ابن أبي عَوْن الكاتب** :[1]

شعر له فيه حشو.

32- **أحمد بن علي المادرائي** :[2]

شعر له فيه إحالة.

33- **محمود بن مروان بن أبي الجنوب** :[3]

التناقض في بعض شعره.

34- **أحمد بن أبي طاهر** :[4]

بعض ما أخذه عن دعبل وسقط فيه.

35- **جماعة من الشعراء** :[5]

رثاء أبي أيوب لأم سليمان بن وهب – نقد سليمان للمرثية – زبيدة بنت جعفر تُمْدح بشعر فيَهُمُّ الخدم بضرب الشاعر – استحسان أبي أحمد بن طاهر لبيتين لبعض الأعراب ونقده لهما – من عيوب الشعر أن يُرَكب الشاعر منه ما ليس بمستعمل – العلة في إتيان القدماء بالحوشي – الحوشي في شعر لأبي حزام غالب العكلي – من الشعر المتكلف، وموقف ابن الأعرابي منه –محمد بن علقمة مثال لفظاعة التوحش في أشعار الأعراب.

36- **عبيد الله بن عبد الله بن طاهر** :[6]

إشارة إلى بعض أغلاطه – لا يقال أَضَام بل ضَام – من سرقاته – تسكينه ما واجبه الحركة و هو خطأ.

---

(1) **الموشح**. ص 534.

(2) (3) المصدر نفسه. ص 535.

(4) المصدر نفسه. ص 536.

(5) المصدر نفسه. ص 537.

(6) المصدر نفسه. ص 543.

37- **سليمان بن عبد الله بن طاهر** :[1]

بعض ما لحن فيه كإدخاله إعراباً على إعراب.

38- **علي بن العباس الرّومي** :[2]

بعض ما أُخِذ عليه في شعره رغم أن له إحساناً كبيرا – رأي **المرزباني** في نقد أبي الصّقر لقصيدة ابن الرومي.

الباب الخامس : ما جاء في ذم الشعر الرديء: [3]

و يضم المسائل التالية :

– ما لم يكن من الشعر حسنا وجب تركه – الشعر كالدراهم – أبيات الشعر التي إن سمعتها لم تفكّه لها ، و إن فقدتها لم تبالِها – عروة بن الزبير يصف شعراً سمعه من ابنه بالهُزْرُوف – تَعَجُّبْ من ضعف شعر أبي عبد الرحمان مع عقله – الشعراء أربعة – وصف الفرزدق لشعر ذي الرّمة بِبَعْر الصِّيران – جرير يصف شعر ذي الرّمة بِنُقَط العروس وأبعار الظّباء – شعر كبعر الكبش يَقَع متفرّقا – يقول الشعر فيفتقر به – الفرزدق يقول : كان الشعر جملا بازلا فتوزّعه مجموعة من مشاهير الشعراء، ولم يبق من لحمه شيء – ويقول لرجل أنشده شعراً: ردّه على شيطانك –الشعر كذب وهزل وحقه بالتفضيل أهزله – جرير يسمع شعراً في مجلس هشام، فيخرج ولا يعود إلى هشام – المغيرة بن حَبْنَاء يقول شعرا رديئاً – أكثر الأشعار الباردة تسقط إلى أن ترزق حمقى – رديء الشعر يموت من قبل أهله – ذهاب شعر عقبة بن رؤبة – سبب قول بشار أرجوزته – استخفاف خلف الأحمر بشعر عُرِضَ عليه – كان أبو عبيدة والأصمعي يقولان شعراً ضعيفا –

(1) (2) **الموشح**. ص 545.

(3) المصدر نفسه. ص 547.

نقد فقيه أنطاكية شعراً رديئا عُرِضَ عليه – رجل يعرض على بشار شعراً له فيأمره بستره – رأي أبي عمرو بن العلاء في شعر رجل عرضه عليه – المهدي أمير المؤمنين ينقد شعرا عُرِضَ عليه – عَجْز شاعر على تفسير شعره للرشيد – شعر رديء يسمعه الأصمعي فيبكي – أبو نواس ينشده رجل شعراً وهو في مرض موته فيبكي لرداءة ما عُرِضَ عليه – بين عبد الله بن محمد بن عيينة، ومروان بن سعيد – المفضل الضبّي لا يقول، إذْ علمه بالشعر يمنعه من قوله – شعر خالٍ من الذوق – رأي ابن يوسف الكاتب في شعر ابن أخيه – رأي أبي العتاهية في شعرٍ وعدم إصغائه لقائل رديء الشعر – أبو العتاهية يستهجن شعر ابنه – شاعر يمدح زبيدة فيسئ، فيهُمُّ به الخدم والحشم – ابن أبي العتاهية يحكي رأي أبيه في شعره – رأي أبي زيد النحوي في شعر أبي عدنان السُّلمي – رأي أبي الشمقمق في شعر عُرِضَ عليه – ابن عائشة ينصح شاعراً بالبعد عن الغريب – محمد بن الحسن الحصني يقول لابنه بعدما أنشده شعراً له : أمك طالق إذ ولَدَتْ مثلك – رجل يَهِمُّ بطرح أخيه في البئر بعدما سمع شعره – شعر إسحاق الموصلي في محمد بن راشد – هجاء عمرو بن زَعْبَل لدِماذ – خوف العتبي من أن يرثى بشعر ردئ – أبو قدامة يتعاطى الشعر فيكسره ويلحن فيه – محمد بن دواد الأصبهاني يكتب شعراً يرّد على شعر رديء أرسله رجل إليه – يحي المنجم يصف شعراً رديئا – ابن الرومي يرّد على ابن الخبازة هجاءه – شعر محمد بن عمران الحلبي ضعيف سخيف – بعض الشعراء يقول الشعر ليُذْكرَ به – بقاء الشعر الجيد على تطاول الأيام، وغابر الزمان وشعر ابن أذين في هذا المعنى ، وآخر لدعبل الخزاعي في المعنى نفسه.

* ملاحظات حول الموضوعات :

بعد هذا العرض المقتضب لموضوعات الكتاب المتنوعة حول الشعر والشعراء يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

* رغم أن **المرزباني** من أوائل من جمعوا ونظّمُوا أخبارهم ومسائل كتبهم فإنه لم يصل إلى الدقّة الكاملة، فنجده يرتب العصور من جاهلي إلى إسلامي فَمُحْدث، بيد أنه يذكر عدداً من الشعراء في العصر ويهمل الآخرين.

* ثم إن حجم الملاحظات النقدية والأخبار غير متناسب، فنجده يُفْرِط في إحاطة بعض الشعراء بهالةٍ من الأخبار و الملاحظات و يشح في ذلك مع البعض الآخر، شأنه في ذلك شأن بعض من سبقوه، كابن قتيبة في كتابه "الشعر و الشعراء".

* ومن سمات الكتاب أنه مليء بالاستطراد والتكرار، إذ نجده يقفز من موضوع إلى آخر، كأن يذكر عيبا أو عيوباً لشاعر ثم يقدم أخباراً أخرى ثم يعود إلى ذكر العيوب مرة أخرى، إضافة إلى تكرار الخبر نفسه بصيغ مختلفة وروايات متعددة.

* و يمكن ملاحظة أن أصحاب الملاحظات النقدية في الكتاب يتنوعون فمنهم العلماء والفقهاء والنساء والرجال، وحتى الأطفال ؛ كطرفة بن العبد حين قال لعمرو ابن كلثوم " استنوق الجمل "[1] وهو لا يزال حديث السن – حسب ما قاله الرواة – وغيره كثير، ومنهم الشعراء والحكام والنقاد الذين أخذ عنهم كالأصمعي، و الصولي، وابن طباطبا، وابن دريد و قدامة بن جعفر، وابن قتيبة، و ابن سلاّم وغيرهم.

* كما نجد في الموضوعات اختلافا كبيرا في مستويات النقد، فمنه البسيط ومنه العميق الذي ينبئ عن دراية وخبرة.

* ويلاحظ أيضا أن **المرزباني** لم يفصل بين المقدمة وموضوع السّنَاد والإقواء والإكفاء والإيطاء، ولذا حاولت الفصل بينهما حتى تتبين موضوعات الكتاب ذات الصلة بالنقد أكثر.

(1) **الموشح**. ص 110.

8- مستويات النقد في الموشح :

من الطبيعي في كتاب **كالموشح** جَمَع أخبار الرّواة و أهل الأدب و النقد على اختلاف مستوياتهم، و عبر عصور مختلفة إلى أيام **المرزباني**، و كونه يبحث في بعض عيوب الشعر و الشعراء، أن تختلف مستويات هذه الآراء و الأحكام النقدية، فمنها البسيط غير المعلّل، و هو نقد يغلب عليه الذّوق الفردي و اللّمعات الذكية الصائبة أحيانا، و منها نقد عميق يدل على دراية بحدود الشعر لغةً و وزنا و معنى و ما يتبع ذلك، و منها نقد أثبت النقاد و مؤرخو الأدب أنه لا يخلو من ظلم و تعسّف.

و إذا كان النقد الذوقي مشروعا و حقيقة واقعة، فإنه يتطلب شروطاً لازمة ليصبح أداة صالحة للنقد. و بداوة العربي وفطرته استطاعت أن تخلق أجمل الشعر، فيبوح بأحاسيسه في عذوبة، و سذاجة و صدق، ذلك أن الشعر لا يحتاج كثيراً إلى عقل مكون ناضج لا يحكم إلا عن تثبّت و استقصاء، و الشعر لا يحتاج أيضا إلى معرفة كبيرة بالحياة و بمكنوناتها، بل إن الجهل قد يصبح أكثر مواتاة له وكثيرا ما يصبح الساذج منه أجوده و أعذبه.

و إذا كان الشعر صالحا أن ينتج في مثل هذه البيئة البدوية الساذجة ، فإن النقد يتطلب بيئة ينضج فيها العقل، ويتمرّس فيها الشاعر بقواعد و شروط تؤهله لأن يكون ناقداً موضوعياً منهجياً، و لأن البيئة العربية الجاهلية و حتّى الأموية لم توفر هذه الشروط، فقد جاء نقدها انطباعيا، ذوقيا، و جاء جزئيا مسرِفًا في التعميم؛ فمن خلال بيت يحكم على قصيدة، و من خلال قصيدة يحكم على الشاعر. و هذا ما نجده من أحكام عامة في كتب الأدب كقولهم "هذا الرجل أشعر العرب "، و " هذا أجود ما قالت العرب"، و"هذا أكذب بيت قالته العرب..."و هلمّ جرّا.

و يُقَدّم هذا الحكم خاليا من التعليل والتفصيل، و يعود هذا أيضا إلى البداوة "فالتعليل أمر عقلي لا يستطيعه إلا تفكير مكوّن، و كل تعليل لابد من استناده إلى

مبادئ عامة، و العرب لم يكونوا وضعوا بَعْدُ شيئا من مبادئ العلوم اللغوية المختلفة، التي لم تدوّن إلا في العصر العباسي".[1]

ففي " **الموشح**" يذكر **المرزباني** بسنده أن أبا بردة الثقفي قال [2] : " أدركتُ الناس و هم يزعمون أن أكذب بيت قالته العرب في الجاهلية قول أعشى بني قيس ابن ثعلبة :

لو أَسْنَدَت ميْتاً إلى نَحْرِهَا عاش ولم يُنْقَل إلى قَابِرِ

و المُلاحَظ أن هذا الحكم لم يُبْنَ على تفصيل ولا تعليل و لا إقناع بذكر الأسباب، و يبدو أنّ الناس حكموا على مضمون البيت من خلال واقع الحياة، و وزنوا معناه بميزان المنطق و مدى قربه من الحقيقة، و هذا يتناقض مع ما قيل : أن أعذب الشعر أكذبه.

و في نفس السياق يأتي قول المُضَرِيّ للرّبعي في مناظرة كانت بينهما : " شاعركم أخنث الناس حين يقول :

قالت هُرَيْرَةُ لمّا جئت زائرها و يلي عليك وويلي منك يا رَجُلُ

فقال الربعيّ : أفعلى صاحبكم تَعوّلُ حيث يقول :

سقط النَّصيف ولم تُرِدْ إسقاطه فتناولته واتقتنا باليَدِ

لا، والله ما أحسن هذه الإشارة إلا مُخَنَّث".[3]

(1) مندور، محمد. النقد المنهجي عند العرب. ص 17.

(2) **الموشح**. ص 67.

(3) المصدر نفسه. ص ص 66 – 67.

و يستمر النقد غير المعلل من الجاهلية إلى صدر الإسلام إلى العصر الأموي ،وهو في نفس الوتيرة، يطلق جزئيا ثم يعمم الحكم على القصيدة أو الشاعر، أو يفضل به شاعر على الناس جميعا في غرض معيّن أو في الشعر عامة، وفي هذا السياق نجد **المرزباني** ينقل لنا بسنده أن " عبد الملك بن مروان قال: لو قال كثيّر بيته :

فقلت لها ياعزُّ كلُّ مصيبـــــــــةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

في حرب لكان أشعر الناس، و لو أن القطامي قال بيته الذي وصف فيه مشيةَ الإبل قوله :

يمشين رَهْواً (*) فلا الأعجاز خاذِلةٌ ولا الصُّدورُ على الأعجاز تَتَّكِلُ

في النساء لكان أشعر الناس"[1].

و ما نستشفه من هذين الشاهدين والحكم عليهما أن الشاعر قد يجيد في معنى بيت في غرض ما، و لكنه يصبح المعنى أجود لو تخيّر مناسبته و مقامه إذ لكل مقام مقال، و لكل حادث حديث , فعلى الشاعر أن يتحرّى المعاني التي يستعملها و أن يتخيّر لها المواطن الأليق بها، و الرأي النقدي هذا يدل على معرفة بحد الشعر و بما يناسبه من معانٍ لكل غرض، إلا أنه يبقى بعيداً عن الإقناع و محاولة الشرح والتفصيل والتعليل و إعطاء الأسباب، دون الوقوف عند الحكم الجزئي على بيت و معناه ثم تعميم الحكم على أن الشاعر يكون أشعر الناس لو فعل كذا أو كذا.

على أن كتاب **الموشح** يدّخر بين دفَّتيه، نقداً عميقاً، يمثل ذروة ما وصل إليه النقد من نظرات ثاقبة، وفهم لحدود الشعر، وكشف لمواطن القوة والضعف في النص الشعري من جميع جوانبه.

(*) الرهو : السير السهل اللين المتتابع. أنظر : القاموس المحيط. م 4، ص 338.

(1) **الموشح**. ص 233.

و من هذا القبيل ما نجده في " **الموشح** " عن العيوب العامة للمعاني، " قال : و من عيوب الشعر " فساد التفسير " مثل قول بعض المُحدثين :

فيا أيّها الحيرانُ في ظُلَم الدُّجى و من خاف أن يلقاهُ بَغْيٌ من العدَى
تعالى إليه تَلْقَ من نور وجهه ضياءً و من كفّيه بحرًا من النّدَى

و العيب في هذين البيتين أن هذا الشعر لمّا قدم في البيت الأول الظلم و بغي العدى كان الجيد أن يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما".[1]

و يأتي التعليل المقنع بعد ذلك إذ بيّن أنّ الشّاعر" أتى بإزاء الإظلام بالضّياء، و ذلك صواب، و كان يجب أن يأتي بإزاء بغي العدى بالنُّصرة أو بالعِصمة أو بالوزر أو بما جانس ذلك ممّا يحتمي به الإنسان من أعدائه؛ فلم يأت بذلك، و جعل مكانه ذِكْر النّدى، و لو كان ذكر البيت الأول الفقر أو العُدْم لكان ما أتى به صوابا".[2]

و هذا موقف نقدي صائب، إذ يجب على الشاعر أن يكون مطّلعا على نفسية المخاطب الذي كان يشكو ظلام الليل، فهو في حاجة إلى نور وضياء ليعرف طريقه، وكان يشكو ظلم الأعداء وقلة الأمن، فما أحوجه إلى ملجأ آمن، و مأوى حصين، يحميه من أعدائه. و لكن الشاعر أتى ببحر من الكرم، و هو أمر لم يفكر فيه المخاطب الخائف أصلا، و لا هو في حاجة إلى كرم و مال، و هذا ما سمّاه قدامة بن جعفر بـ "فساد التفسير" في الشعر.

(1) ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر. ص 194.
(2) الموشح. ص ص 367، 368.

و للعلم " فإن فساد التفسير يقع ضمن مصطلح "صحّة التفسير" و هو من"مستخرجات قدامة، وسمّاها قومٌ "التَّبيين" وهو أن يأتي المتكلم، أو الشاعر في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره إما في البيت الآخر أو في بقية البيت" [1].

و يذكر **المرزباني** قولاً آخر لقدامة بن جعفر يقول فيه : " من عيوب الشعر أن تكون القافية مستدعاة قد تُكلّف في طلبها، فاشتغل معنى سائر البيت بها، مثل ما قال أبو تمام الطائي :

كالظبية الأدْماء صافَتْ فارْتَعَتْ زَهْرَ العَرَارِ الغَضّ و الجَثْجَاثَا

فجميع هذا البيت مبني لطلب هذه القافية، و إلاَّ فليس في وصف الظبية بأنها ترتعي الجثجاث كبير فائدة ".[2]

و يعلل ذلك بما تعارفت عليه العرب من استحسان لأوصاف الظباء بقوله : " إنّما توصف الظبية إذا قصد لنعتها بأحسن أحوالها أن يقال: إنها تَعْطُو الشّجر، لأنها حينئذ رافعة رأسها، وتوصف بأن ذُعْرًا يسيرا قد لحقها ... فأما أن ترتعي الجثجاث فلا أعرف له معنى في زيادة الظبية من الحسن، لاسيما و الجثجاث ليس من المراعي التي توصف بأن ما يَرْتَعِي يُؤْثِرُهُ ".[3]

و هذه نظرات ثاقبة تدل على معرفة بحدّ الشعر و ما يلزمه من موسيقى تتعلق بالقافية، و تدل على معرفة الناقد بقضية الطبع و التكلف، و قد علل هذا التكلف وبرهن عليه بأساليب مختلفة، وقد اعتمد على معرفة بما قالته العرب عن محاسن الظباء، و ما يعرفه عن نبات الجثجاث و علاقته بما تشتهيه الظبـــاء،

(1) طبانة، بدوي أحمد. قدامة بن جعفر و النقد الأدبي. ص 263.

(2) (3) **الموشح**. ص 494.

و هذا النوع من الملاحظات النقدية يتّسم بالعمق و الدقة، و هو ما يعطي ميزة أخرى لكتاب " **الموشح**" في أنه يجمع بين النقد الانطباعي الفردي البسيط، وبين النقد الموضوعي و الدال على الاحترافية النقدية، و دقة الملاحظة و التمييز، و لذا فكل مستويات النقد التي عرفت منذ الجاهلية إلى عصر الكاتب لها حظ من الوجود في الكتاب، حتى غدا لوحة فنية رائعة جمعت بين كل أنواع الأصباغ و الألوان، و لعل ذلك هو ما دعا الكاتب إلى تسمية مؤلَّفه بـــ " **الموشح** ".

الفصل الثالث :

تصنيف الملاحظات النقدية الواردة في " الموشح "

ولا : المسائل النقدية

نيا : المسائل البلاغية

الثا : المسائل العروضية

ابعا : المسائل النحوية

خامسا : المسائل اللغوية

تـوطئة:

كتاب " **الموشح**، في مآخذ العلماء على الشعراء"، لأبي عبيد الله **المرزباني**، من كتب النقد العام، التي لا تعرف موضوعا بعينه فتتخصص فيه وتقف عنده، وتبين ما له و ما عليه، بل هو من الكتب التي تتناول كل ما يتعلق بنقد الشعر، من جميع جوانبه، و إن كان عنوانه يدل على أن الكاتب خصص بحثه لعرض ما قاله الرواة و الشعراء و اللغويون و النقاد و الأدباء عموما، في عيوب الشعراء و أشعارهم.

ورغم أن الكتاب كان في جمع مآخذ العلماء على الشعراء، و لكنه في مواضع كثيرة نجده يشيد بمواطن الجودة في الشعر ويثني على الكثير من الشعراء، مما يضفي على الكتاب الصبغة الموضوعية، حين يكشف مواطن العيب و الجودة، و الإحسان و الإساءة في كثير من المواطن.

و لما كان الكتاب موفور المادة، غزير الأخبار، متشعب الموضوعات، كان تصنيف ما به من ملاحظات نقدية من الأمور الصعبة و الشائكة، إلا أنني حاولت تصنيف هذه الملاحظات، و تقسيمها إلى مجموعة من المسائل، مدعما كل ملاحظة ببعض شواهدها، متوقفا عند اتضاح الفكرة، متجنبا إبداء الرأي الخاص و التعليق إلا عند الضرورة، متبعا محتوى عنوان الفصل، و هو التصنيف.

و للإشارة فإن العديد من الملاحظات النقدية، تكون مشتركة بين أكثر من مسألة، فقد تكون المسألة نحوية فيتغير معناها من حيث اللغة، و قد تكون من جوازات الشعر و هي ممّا لا يجيزه النحو في مواطن أخرى، فاكتفيت بعرضها في المسألة التي رأيتها أكثر التصاقا بها، علما بأن كل مسألة تبدي عيبا أو حسنا في الشعر سواء أكانت لغوية أو نحوية أو عروضية أو بلاغية أو فنية فهي أداة من أدوات الناقد التي يمحّص بها الشعر و يثمنه ويرتبه، و بالتالي فهي تقع ضمن الملاحظات النقدية، إذ ينبغي للناقد أن يلمّ بكل هذه المسائل المختلفة حتى يتمكن من تقويم الشعر بشكل جيد.

أولا : المسائل النقدية

1- الشعراء و عيوب الشعر :

لم يضع "**المرزباني**" هذا العنوان لموضوعه الأول، و لكنني رأيت أن مضمون ما قدمه من أشعار فيه يدل على هذا المعنى، إضافة إلى ما تضمنته بداية الموضوع من قول " **المرزباني**" : " و قد ذكر جماعة من شعراء الإسلام و من تبعهم في أشعارهم عدولهم عما أنكر على من تقدمهم من هذه العيوب التي تقدم ذكرها" [1]، و كان " **المرزباني**" قد أشار في مقدمته إلى هذا المعنى " عيوب الشعر" حين قال : " و ابتدأنا بباب أبنا فيه عن حال السناد و الإيطاء و الإقواء و الإكفاء؛ و إن لم يكن هذا الكتاب مفتقرا إلى ذكره؛ و إنما أوردناه لما جاء فيه من **الأشعار المعيبة**..." [2].

و عيوب الشعر في **الموشح** تتفرع إلى مجموعة مسائل، فمنها ما يخص العَروض، و منها ما يخص البلاغة و منها ما يخص اللغة، و منها ما يخص النحو، و منها يدخل في جانب النقد الصرف.

و فِي مقدمة هذه العيوب، يشير المؤلِّف إلى اتفاق جماعة من شعراء الإسلام و من بعدهم عن عدولهم عما أنكِر على من تقدمهم، و يذكر نماذج لما قالوه في هذا الباب. فالشاعر ذو الرُّمّة يقول [3] :

و شعرٍ قد أَرِقتُ له ظريفٍ أُجَنِّبُه المســـــاندَ و المُحالا

---

(1) (2) **الموشح**. ص 2.

(3) المصدر نفسه. ص3.

و قال جرير [1]:

فلا إقواءَ إذْ مَرِسَ القوافـــــي بأفـــواه الــرّواة و لا سنـــادا

و يجمع بين هذه العيوب العَروضية الشاعر أبو حاتم سهل بن محمد السّجستاني حين يقول [2]:

خُذها إليك هديّة من شــاعـــر لا يستثيــبُ ثوابَها إهـــــداؤُهُ
نظم ابن آدابٍ تَنَخَّلَ شعـــــرُه لم يمْحُ رَوْنق شعره إكفـــــاؤُه
لم يُقْوِ فيه و لم يسانده ولـــم يوطِئ فيوهِيَ نظمَه إيطـــــاؤُه

بينما نجد شاعرا آخر قد أشار إلى عيوب أخرى تجنبها في شعره كالسّرقة الشعرية، و المعاني المُعادة، فأبو تمام يقول في وصف قصيدة [3]:

منزَّهةٌ عن السَّرق المُـــورَّى مُكَرَّمَةٌ عن المعنى المُعـــــاد

و الشاعر" أبو العميثل" يصف اهتمامه بتنقيح قصائده، و تقويم ما فيها من اعوجاج، حتى تخرج للناس في أحسن صورة، خالية من العيوب، فيقول [4]:

أقمتُ اعوجاج الشعر حتّى تركتُه قِــداحَ ثِقَافَــيْ نابِلٍ و ابن نابل
فدونكمــاه لا بمنتشــر الــقُوَى ضعيفٍ و لا مستغلقٍ متعاضِــل
قصائــدُ أشبــاهٌ كــأنّ مُتُونهــا متونُ أنابيبِ الوشيجِ العَوَامِــل

فالاستقامة في الشعر مطلب لا مفر منه، وهو بغية كل شاعر، و إن قصّر عن ذلك، و لذا وجب النظر إلى القصيدة من كل جوانبها، قبل إخراجها للنــاس، و في هذا المعنى، يقول السيد بن محمد الحميري [5]:

---

(1) **الموشح**. ص 3.
(2) (3) المصدر نفسه. ص 4.
(4) المصدر نفسه. ص ص 3، 4.
(5) المصدر نفسه. ص 3.

و إنّ لساني مقْـول لا يخونني و إنّي لِمَا آتي من الأمــر مُتقنُ
أحُوكُ و لا أُقْوي و لست بلاحنٍ و كم قائل للشعر يُقوي و يلْحَنُ

و هكذا، فإن محاولة تجنب عيوب الشعر المتنوعة، كانت مبعث فخر للكثير من الشعراء، و هي من باب الحرص و الغيرة على ما يقدمونه من شعر، يُذكَرون به سلبا أو إيجابا، و قد يقضون الليالي الطوال منغمسين في تنقيح و تقويم أشعارهم، شأنهم في ذلك شأن المثقِّف لرماحه، حتى تصير خالية من الاعوجاج، و هاهو عدي ابن الرّقاع يبين شغفه بتقويم قصيدته فيقول [1]:

و قصيدةٍ قَدْ بِتُّ أجمع بينهــا حتّى أقوّم مَيلها و سنادهــا
نظر المثقِّف في كُعوب قنــاتــه حتّى يُقِيم ثِقافُــه مُنْــآدَهــا

و هذه الشواهد، توضح أنّ اعوجاج الشعر، لا يرضاه الشاعر لنفسه، و لذا يبدأ بتقويمه عن طريق نقده الذاتي، و يفرح حينما تسلم أشعاره من كلّ عيب فيعلو شأنه بين الناس.

2-تصنيف الشعراء :

رتّبت العرب الشعراء و صنّفتهم لاعتبارات مختلفة، ومن تلك التصنيفات ما أورده **المرزباني** في موشّحه، من أنّ أبا عمرو بن العلاء " جاءه شاعر، فعرض عليه شعرا له، فإذا هو شعر سوء، فقال أبو عمرو : كان يقال شاعر و شويعر و شعرور، قال : من أيهم أنا ؟ قال : لست منهم؟ قال : فمن أنا ؟ قال : أنت شِعرة !" [2].

(1) **الموشح**. ص 3.
(2) المصدر نفسه. ص 550.

و قال **المرزباني** أنّه " يروى في الحديث في مَثَل للعرب: الشعراء أربعة، شاعر و شويعر و شعرور و الرابع عاض بظر أمه؟ و يقال : ابن شعرة "[1].

و الملاحظ من خلال هذا التصنيف، أن الإساءة في الشعر تنزل بصاحبها إلى أدنى المراتب، وقد يعاب بذلك في حياته وبعد موته.

و أورد **المرزباني** تصنيفا رباعيا آخرللشعراء جاء فيه : [2]

و الشّعـــراء فاعلمَـــنَّ أربعـــهْ : فشاعر ينشِد وسْط المَجْمعه
و شاعر آخر لا يُجْرَى مَعَـــــهْ، و شاعر يقال خمّرْ في دَعَه
و شاعر لا يُرتَجَى لِمَنفعهْ

قال الصولي : فقال له إنسان، و فيها بيت آخر :

*** وشاعر مستوجب أن تصفعـــــــه ***

فضحك و قال : هذا مما زِيد ".

كما يصنف الشعراء بمقياس الفحولة أو عدمها، و من ذلك ما أورده **الموشح**: " أخبرنا ابن دريد، قال : أخبرنا أبو حاتم، قال : سألت الأصمعي عن مهلهل، قال : ليس بفحل. و لو قال مثل قوله :

*** آليتنا بذي حُسَم أنيـــــــري***

خمس قصائد لكان أفحلهم، قال : و أكثر شعره محمول عليه"[3] .

(1) **الموشح**. ص 550.
(2) المصدر نفسه. ص ص 550، 551.
(3) المصدر نفسه. ص 106.

و مقياس الفحولة هنا يبنى على عدد القصائد و المحدد بخمس قصائد، و يختلف هذا العدد في مواضع أخرى، والتمثيل بشطر البيت الذي قاله المهلهل يشير إلى جودة الشعر كما يفهمها الأصمعي دون تعليل و لا تحليل لهذا المفهوم.

بينما في موضع آخر من **الموشح**، نجد مقياسا آخر للفحولة، و ظهر ذلك في سؤال ذي الرمة للفرزدق : " فمالي لا أعد في الفحول؟ قال : يمنعك من ذلك صفة الصحارى و أبعار الإبل"[1].

فمعرفة الشاعر لبيئة العرب و ذكرها في شعره أمر مرغوب فيه، بل واجب على الشاعر إذا أراد الفحولة، و من أهم معانيها الخشونة و القسوة، و تلك سمات بيئة العرب، و لا يرتفع شأن الشاعر إلا إذا عبر عنها و أرضى هوى في نفوس متذوقي هذا الشعر بما يذكره من أعرافهم و ما ألفوا سماعه، فتحرك فيهم المشاعر و تثير إعجابهم و إقبالهم على ما يسمعون، فإذا خرج عن العرف و ما تمجه الأسماع، كذكر الصحاري و أبعار الإبر، ضعف شعره و تأخر الشاعر عن الفحول.

3- أنواع الشعر ومراتبه :

تعددت مفاهيم الشعر في **الموشح**، و أنواعه و مراتبه، ومن مقاربات أنواع الشعر، ما أورده **المرزباني** بسنده أن ابن ميّادة قال لابن جندل: " إنما الشعر كنبل في جفيرك ترمي به الغَرَض، فطالع، و واقع، وعاضد، و قاصر.

الطالع : الذي يطلع الغرض؛ أي يعلوه لم يزغ يمينا ولا شمالا و هو يستحب. و الواقع : الذي يقع بالغرض، و العاضد : الذي يقع عن يمين الغرض أو شماله و هو شرّها، و القاصر : الذي يقصر دونه فلا يبلغه و هو قاصد،

(1) **الموشح**. ص 273.

و العاضد : ما بين الشبر إلى قيد القوس، و كذلك القاصر" [1].

و غير بعيد عن هذا المعنى، ما روى المتوكل بن عبد الله الليثي، في تحديده لمفهوم الشعر و منازله أنه " قال :

الشعر لُبُّ المرء يعرضـــــه و القول مثل مواقع النبـــــل
منها المقصر عن رَمِيَّتِـــــه و نَواقِرٌ يذهبن بالخَصْـــــل

يقال : نقر السهم فهو ناقر : إذا أصاب" [2].

فالشعر في منظور العربي يقاس بمدى استقامته من حيث اللفظ، ومدى فاعليته وإصابته للغرض.فتارة يشبه بالرمح وأخرى بلب الإنسان، فهو صورة لقائله. و الرّماح أنواع ومراتب و تختلف في مدى إصابتها للهدف أو ابتعادها عنه.

4- أركان الشعر:

ورد في **الموشّح** أنّه قيل للبَطِين : أكان ذو الرّمّة شاعرا متقدما؟ فقال البطين: أجمع العلماء بالشعر على أن " الشعر وضع على أربعة أركان: مدح رافع، أو هجاء واضح، أو تشبيه مصيب، أو فخر سامِق؛ وهذا كله مجموع في جرير و الفرزدق و الأخطل، فأما ذو الرمة فما أحسن قط أن يمدح، و لا أحسن أن يهجو، و لا أحسن أن يفخر، يقع في هذا كله دونًا، و إنما يحسن التشبيه، فهو رُبع شاعر"[3].

(1) **الموشح**. ص ص 356، 357.
(2) المصدر نفسه. ص 357.
(3) المصدر نفسه. ص 273

و هكذا نجد أن أركان الشعر تتوزع على أغراض شعرية أربعة، و هي المدح الذي يعلي من شأن ممدوحه، و الهجاء الذي يحطّ من قدر مهجوّه، والإصابة في التشبيه و الإجادة في الفخر، و من هنا فقد يكون الشاعر كاملا و قد يكون دون ذلك.

5- سفساف الشعر:

و سفساف الشعر مرادف لسخيفه، و ذلك إذا جانب الشاعر الصواب، و ظهر تدني معانيه، و قد يحدث هذا حتى مع كبار الشعراء، أمثال " أبي العتاهية حين ترفّق في نسيبه بعُتْبَة:

إنّي أعوذ من الّتي شغفت مني الفؤاد بآية الكرسيّ

و آية الكرسي يهرب منها الشياطين و يُحترس بها من الغيلان، كما روي عن ابن مسعود في ذلك"[1].

و لذلك أنكر عليه العلماء هذا المعنى، فكأنّ " عتبة" من الشياطين أو الغيلان، و هذا من سفساف الشعر.

و " قال الشيخ أبو عبيد الله **المرزباني** رحمه الله تعالى: و مما أنكر على أبي العتاهية من سفساف شعره قوله في عتبة [2]:

و لَّهَـــني حبُّها و صيَّرَني مثلَ جُحى شهرةً و مَشْخَلَبَهْ

و يعود ذلك إلى أنّ كلمة " مشخلبة " كلمة عراقية تطلق على الجارية، بما يُرى عليها من اللّيف و الخَرَز كالحُلَي، ولا تليق بالرجال ، بل تحطُّ من شأنهم .

(1) (2) **الموشح**. ص 401.

6- الكلام الذي لا خير فيه :

أورد **المرزباني** بسنده أن الحجاج قال للفرزدق و جرير – و بين يديه جارية – : " أيّكما مدحَني ببيت فَضَل فيه فهذه الجارية له؛ فقال الفرزدق :

من يَأمَن الحجّاج – و الطّيــر تتّقِي عقوبتَــه – إلا ضعيفُ العزائم

و قال جرير :

من يأمــن الحجّــاج أمّــا عِقابُــه فمُــرٌّ و أمّــا عهــدُه فوَثيــقُ

فقال الحجاج : " و الطير تتقي عقوبته" كلام لا خير فيه، لأن الطير تتقي كل شيء : الثوب، و الصبي، و غير ذلك؛ خذها يا جرير "[1].

إذًا، فعدم الإصابة في لفظ أو عبارة أو معنى، يجعل الشعر ناقصا، ويعد ذلك النقص كلاما لا خير فيه، فعلى الشاعر أن يكون حذرا، ذكيا حتى لا يقع في مثل هذه الأخطاء و العيوب.

7- الهزروف من الشعر :

و هذا النوع من الشعر، معيب، إذ هو بين الشعر و الكلام على حدّ ما جاء في **الموشّح**، حين " سمع عروة بن الزبير من ابن له شعرا، و كان ابنه ذلك يقول الشعر، فقال له، يا بنيّ، أنشدني، فأنشده حتى بلغ ما يريد من ذلك؛ فقال له: يا بني، إنّه كان شيء في الجاهلية يقال له الهزروف بين الشعر و الكلام، و هو شعرك "[2].

(1) **الموشح**. ص ص 178، 179.

(2) المصدر نفسه. ص 548.

و في رواية أخرى، قال عروة بن الزبير لابنه عبد الله، لما أنشده شيئا من شعره : " إنّ العرب تسمي الناقص القائمة من الدّواب التي تمشي على ثلاث قوائم : الهزروف؛ فشعرك هذا من الهزروف".[1]

و بهذا يتضح – شيئا ما – معنى الهزروف، في الدّواب عند العرب، و لكن نوع النقص في الشعر يبقى مبهما يحتاج إلى تعليل.

8- الأبيات المغسولة :

يعني بها الأبيات التي لا تجد فيها بيتا يلفت الانتباه، جودة و جمالا، و المغسولة مرادفه للفظ " الخلو" و يتضح ذلك من قول البحتري" دعاني علي بن الجهم، فمضيت إليه، و أفضنا في أشعار المحدثين إلى أن ذكرنا أَشْجَع السُّلَمي، فقال لي : إنَّه يُخْلي، و أعادها مرّات و لم أفهمها، و أَنِفت أن أسأله عن معناها"[2].

و انشغل الجاحظ بمعنى " يخلي" و اهتدى إلى معناها. فقال: " فنظرت في شعر أَشْجع فإذا هو ربّما مرّت له أبيات مغسولة خالية من معنى و لفظ، فعلمت أنه أراد ذلك، و أن معناه أن الرامي إذا لم يصب من رَشْقِه كله الغرض بشيء قيل "أخلى"؛ فجعل ذلك قياسا"[3].

9- التعصب للشعر القديم :

إن الشعر المحدث في العصر العباسي، أحدث صراعا بين المقبلين عليه و الرافضين له، و من بين المتعصبين للقديم ابن الأعرابي إذ يقول: " إنما أشعـــــار

(1) **الموشح**. ص 549.

(2) (3) المصدر نفسه. ص 452.

هؤلاء المحدثين – مثل أبي نواس و غيره – مثل الريحان يُشَمُّ يوما و يذوِي فيُرمى به؛ و أشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلّما حرّكته ازداد طيبا"[1].

و يصرّ البعض من المتعصبين للقديم على جودة القديم، و تأخر الشعر المحدث في المنزلة، و إن أحسن أصحابه، لتحكيمهم عواطفهم و ميولاتهم ليس إلاّ، و يظهر هذا الاتجاه في موقف ابن الأعرابي حين " أنشده رجل شعرا لأبي نواس أحسن فيه، فسكت، فقال له الرجل : أما هذا مِن أحسن الشعر؟ فقال : بلى، و لكن القديم أحبّ إليّ"[2].

فذوق ابن الأعرابي يميل إلى القديم دون سواه، و إن جاد المحدث فهو مرفوض تعصبا.

10-الشعر الساذج :

و الشعر الساذج هو الذي تأنفه الرّواة، فلا ينقلونه و لا يروونه، لخلوه من معاني الجودة، فسرعان ما يزول و يندثر، على حد قول يحي بن علي المنجم : " أكثر هذه الأشعار الساذجة الباردة تسقط و تبطل إلا أن ترزق حمقى، فيحملون ثقلها، فتكون أعمارها بمدة أعمارهم، ثم ينتهي بها الأمر إلى الذهاب، و ذلك أن الرّواة ينبذونها، و ينفونها فتبطل. قال الشاعر :[3]

يموت رديء الشعر من قَبْلِ أهله و جيّده يبقى، و إن مات قائلُه

(1) (2) **الموشح**. ص 384.

(3) المصدر نفسه. ص 556.

11- الشعر المضمن :

و هو الذي لا يتم فيه معنى البيت إلا بما يليه، و يعتبر التضمين عيبا شديدا في منظور القدماء، و في **الموشح** مثال للشعر المضمّن في قول أبي العتاهية [1]:

يا ذا الذي في الحُبِّ يَلْحَى أمَا و الله لـو كُلِّفْـتَ منـه كمَـا
كلّفتُ من حُبِّ رخيم، لمـا لُمْتَ على الحبّ، فذَرْنِي و مـا
ألقى، فإنّي لست أدري بمـا بُليـتُ إلاّ أنّنـي بينمـا
.....

و يعقب محمد بن يحي على هذه الأبيات بقوله : " مضمن، و المضمن عيب شديد في الشعر، و خير الشعر ما قام بنفسه، و خير الأبيات عندهم ما كفى بعضه دون بعض". [2]

و يعطي نموذجا من الشعر الذي يكفي بعضه دون بعض من قول النابغة :

و لستَ بِمُسْتَبْقٍ أخًا لا تلمُّـه على شَعَثٍ، أيُّ الرّجال المهذّبُ

فيقول : " فلو تمثل إنسان ببعضه لكفاه؛ و إن قال : " أي الرجال المهذب " كفاه، و إن قال : " و لست بمستبق أخا لا تلمّه على شعث " لكفاه ". [3]

12- المعاني التي يقال فيها الشعر :

و هي المعاني و الموضوعات التي ألفتها العرب قديما، و علا بها شعراء الجاهلية و يحددها الأصمعي بقوله : " و طريق الشعر هو طريق شعر الفحـول، مثل أمرىء القيس، و زهير، و النابغة، من صفات الدّيار و الرّحل، و الهجـاء

(1) (2) (3) **الموشح**. ص 405.

و المدح و التشبيب بالنساء، و صفة الحُمُر و الخيل و الحروب و الافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان".[1]

و لكن ما هي أبواب الخير التي يلين معها الشعر و يضعف ؟ يجيبنا عنها الأصمعي في قوله : " ألا ترى أن حسّان بن ثابت كان علا في الجاهلية و الإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير- من مراثي النبي صلى الله عليه و سلم و حمزة و جعفر رضوان الله عليهما و غيرهم لان شعره ".[2]

و هو هنا يعود بنا إلى مقياس الفحولة في الشعر، بالتزام المستحسن من الأوصاف و الموصوفات.

13- الكذب في الشعر:

يعاب على الشعراء الكذب في أشعارهم و المبالغة الشديدة فيما يدعونه حتى أنهم زعموا " أنّ أكذب بيت قالته العرب في الجاهلية قول أعشى بن قيس ابن ثعلبة [3] :

لو أسندَتْ ميْتًا إلى نَحرِهـــا عاش و لم يُنْقَل إلى قابـــر

كما عاب دعبل بن عليّ على المهلهل، مبالغته الشديدة و البعد عن الحقيقة و المعقول، حين جعل صليل السيوف يسمع باليمامة لولا الريح، و بين موضع الحرب بالجزيرة و اليمامة مسافة عشرة أيام، فقال : " أكذب الأبيات قول المهلهل [4]:

---

(1) (2) **الموشح**. ص 85.

(3) المصدر نفسه. ص 67.

(4) المصدر نفسه. ص 106.

فلولا الرّيحُ أسمع أهل حَجْـــرٍ صليل البيض تقرع بالذّكـــور

و من الكذب ما كان الخبر مخالفا للحقيقة، وهو معيب أيضا كما في قول جرير :

إنّي إذا الشاعر المغرور حَرَّبني جارٌ لِقَبْرٍ على مَرَّان مَرْمُـوسُ

فقال رؤبة : كذب و الله، ما تميم بمران؛ إنما هو بذات عِرْق، و قبر مَعْد بمرّان"[1].

و ممَّا ورد من كذب في شعر أبي نواس حتى نسب للمخلوق صفة الخالق، قوله [2]:

و أخفت أهل الشرك حتى أنـــه تهابك النُّطَف التي لم تُخَلَّـــق

14-التكلف في الشعر:

قال أبو الحسن بن محمد بن طباطبا العلوي عن قصيدة للأعشى مطلعها[3]:

بانت سعاد و أمسى حبلُها انقطعا و احتلت الغَمْرَ فالجُدَّيْن فَالْفَرَعَا

و قال : " فهذه القصيدة ستّ و سبعون بيتا التكلف فيها ظاهر إلا في ستة أبيات ".[4]

ثم قال : " فمثل هذا الشعر وما شاكله يصدئ الفهم و يورث الغم".[5]

(1) **الموشح**. ص 190.
(2) المصدر نفسه. ص 114.
(3) المصدر نفسه. ص 67.
(4) المصدر نفسه. ص 68.
(5) المصدر نفسه. ص 70.

كما نجد التكلف في أشعار أبي تمام الطائي، ففي " قوله :

مستسلم لله سائس أمّـــــــــة بِذَوِي تَجَهْضُمِنَا له استســـــلامُ

يقال : تجهضم الفحل إذا علا أقرانه...ففي هذا البيت- كما ترى- تبغض و تكلف".[1]

15- قلة التنقيح في الشعر :

و هي صفة ينبذها الرواة، و يسعون إلى تعديل الأخطاء البشعة فيها، ونجد ذلك فيما رواه الأصمعي حين قال : " قرأت على خلف شعر جرير، فلما بلغت قوله :

فيالك يوما خيرُه قبْل شـــــرّه تَغَيَّبَ واشيهِ و أَقْصَر عاذِلُـــهْ

فقال: ويله و ما ينفعه خير يؤول إلى شر؟... فقلت : فكيف كان يجب أن يقول؟ قال: الأجود له لو قال [2]:

*** فيالك يوما خيره دون شره ***

ثم أوصاه بروايته بهذه الطريقة الصحيحة فقال له : " فارْوُه هكذا؛ فقد كانت الرواة قديما تصلح من أشعار القدماء".[3]

(1) **الموشح**. ص 482.

(2) المصدر نفسه. ص ص 198، 199.

(3) المصدر نفسه. ص 199.

16-ابتداءات الشعر:

اهتم العرب بمطالع القصائد، فاستحبوا الابتداءات الشعرية الجيدة واستقبحوا ما دون ذلك من الابتداءات، و قد تذم القصيدة بكاملها إذا أساء الشاعر بدايتها، ومن ذلك ما قاله محمد بن داود : " سمعت عبيد الله بن سليمان يستغث شعر أبي تمام و يكرهه، فقلت له : أنت أحق الناس بألا تقول فيه هذا؛ لأنه مادحك ومادح أهلك، فقال: لا يشبه الحقَ شيء".(1)

و ضرب محمد بن داود أمثلة لابتداءات أبي تمام القبيحة، فقال : " و كانت ابتداءات شعره بشعة؛ منها قوله :

*** قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ في الغُلْواءِ ***

قدك : حسبك، و اتئب : استحي يا هذا، و أربيت؛ زدت، في الغلواء؛ في الارتفاع في عذلي.

و منها قوله :

*** خَشُنْتِ عليه أختَ بني خُشَيْنِ ***"(2)

و نجد في **الموشح** تعقيبا على هذا الابتداء الأخير، فيه ذم و استهجان مفاده : " وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهن، و إنما أوقعه في ذلك محبته ها هنا للتجنيس، و هو بهجاء النساء أولى"(3)، لذا وجب على الشاعر " أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير منه، أو يستجفي من الكلام والمخاطبات" (4).

---

(1) (2) **الموشح**. ص 466.

(3) المصدر نفسه. ص 475.

(4) المصدر نفسه. ص 71.

17-حوشي الكلام :

و من عيوب الشعر، حوشي الكلام، و "مما قُدّم به زهير على الشعراء أنه كان أبعدهم من سخف، و أشدهم اجتنابا لحوشي الكلام"[1] و لكنه لا يسلم من بعض الحوشي، كما في قوله [2]:

*** فلستُ بمثلوج و لا بمُعَلْهَج ***

يريد الدّعيّ، و قيل : المثلوج : البليد، و المعلهج : الأحمق.

*** بنكهة ذي قربى و لا بحَقَلَّد ***[3]

و الحقلد : السيئ الخلق.

18-المشاكلة بين المصراعين :

و المشاكلة بين المصراعين مطلوبة في الشعر، و الاختلاف بينهما معيب له، ومن هنا فإنه " ينبغي للشاعر أن يتفقد مصراع كل بيت حتى يشاكل ما قبله، فقد جاء من أشعار القدماء ما تختلف مصاريعه، كقول الأعشي :

و إن امرءا أهداك بيني و بينـــه فَيَافٍ تَنُوفاتٌ و يَهْماءُ خَيْفَقُ
لمحقوقَـــةٌ أن تستجيبي لصوته و أن تعْلَمي أنّ المُعان مُوَفَّقُ

فقوله :

*** و أن تعلمي أن المعان موفق ***

غير مشاكل لما قبله".[4]

---

(1) **الموشح**. ص 59.
(2) (3) المصدر نفسه. ص 60.
(4) المصدر نفسه. ص 72.

19- العجز الذي لا يشبه الصدر :

إن الارتباط وثيق بين صدر البيت وعجزه، ولا يجب أن يأتي العجز بعيدا عن الصدر من ناحية العلاقة والمشابهة، فيفسد المعنى، و في **الموشح** ضرب من هذا العيب من الشعر " وقلت للطائي يوما – وقد أنشدنا مرثية محمد بن حميد :

كذا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ و لْيَفْدَح الأمرُ وليس لِعَين لم يَفِضْ ماؤُها عُذر

فقلت : عجزه لا يشبه صدره؛ إنما ينبغي أن تذكره بمدح و رقة ثم تقول :

*** و ليس لعين لم يفض ماؤها عذر ***"[1]

20- حسن الديباجة :

وحسن الديباجة وجمال الإخراج مطلب في الشعر و النثر، و يبدو هذا في تعليق الصولي على نقد النابغة لحسان بن ثابت لما أنشده قصيدته التي منها :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى و أسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولَدْنا بني العنقاء و ابنَيْ مُحَرِّقٍ فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابْنَما

" قال الصولي : فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة، و ديباجة شعره؛ قال له" أقللت أسيافك؛ لأنه قال : " و أسيافنا" و أسياف جمع لأدنى العدد، و الكثير سيوف، و الجفنات لأدنى العدد، و الكثير جفان– و قال : فخرت بمن ولدت؛ لأنه قال : ولدنا بني العنقاء وابني محرق، فترك الفخر بآبائه و فخر بمن ولد نساؤه"[2].

(1) **الموشح**. ص 469.
(2) المصدر نفسه. ص 83.

21- تأليف الشعر و تنسيق أبياته :

ينقل صاحب **الموشح** عن ابن طباطبا العلوي قوله: " ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته، و يقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيه، و يتصل كلامه فيها"[1].

و يضرب لنا ابن طباطبا مثالا لقبح التجاور بين البيتين، في قول ابن هَرْمَة : [2]

و إنّي وتَرْكي ندى الأَكْرَمِيـــن و قَدْحي بِكَفّي زِنادًا شَحاحَـــا
كَتَـــاركة بَيْضَـــها بِالعَـــرَاء ومُلْبِسة بَيْض أخرى جناحـــا

و كقول الفرزدق [3]:

و إنك إذ تهجو تميما و ترتشي سرابيلَ قيسٍ أو سُحُوق العمَائم
كمُهرِيـــق ماءٍ بالفـــلاة و غرَّه سراب أذاعتـــه ريـــاحُ السَّمائم

و أورد **المرزباني** قول ابن طباطبا معلقا : " كان يجب أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق، و بيت للفرزدق مع بيت لابن هرمة ... حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعا؛ و إلا كان تشبيها بعيدا غير واقع موقعه الذي أريد له"[4]، أي أن يكون البيت الأول لكل من الشاعرين مع البيت الثاني لكل منها.

22- الغلو في الشعر :

مدح كُثيّر عبد الملك بن مروان، بارتدائه لدرع حصينة في الحرب، و مدح الأعشى قيس بن معدي كَرب بالتصدي للأعداء من دون درع، فقال عبد الملـــــك

(1) (2) **الموشح**. ص 370.
(3) (4) المصدر نفسه. ص 371.

لكُثير : " قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحبّ إليّ من قولك إذ تقول"[1].

و علل الشيخ أبو عبيد الله **المرزباني** هذا التفضيل لمدح الأعشى بقوله : " رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كُثير؛ لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط، و الأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جُنَّة" [2].

و من معاني الغلو، الإغراق في الشعر، و يذكر أن الأحوص قد قال لصاحبته عبلة من جملة ما قال : [3]

لأنت إلى الفؤاد أشدّ حبًّـــــــا من الصَّادي إلى الكأس الدِّهــاق

فقال له عمر بن أبي ربيعة : " ما تركت لي شيئا، و لقد أغرقت في شعرك.

قال : كيف أغرقت في شعري و أنت الذي تقول :

إذا خَدِرت رِجلي أبوح بذكرهـــا ليذهب عن رجلي الخدور فيذهب

فقال : الخدور يذهب و العطش لا يذهب.

فالإغراق و المبالغة في الشعر يرفع صاحبه، و يصل إلى مبتغى الشاعر، " و قد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل في المعاني التي أغرقوا فيها، فقال أبو نواس :[4]

و أخفت أهــل الشرك حتّى إنّــه لَتخافُك النُّطف الّتي لم تُخلـــق

و قال بكر بن النّطاح [5]:

لو صال من غضب أبو دُلَف على بِيضِ السّيوف لَذُبْنَ في الأغماد.

(1) **الموشح**. ص 231.

(2) المصدر نفسه. ص ص 231، 232.

(3) المصدر نفسه. ص ص 361، 362.

(4) المصدر نفسه. ص 382.

(5) المصدر نفسه. ص 383.

23-ملاحظات نقدية حول بعض الأغراض الشعرية :

أ- المدح :

- **المدح بالصفة الثابتة أفضل :**

فقد " عاب الناس قول طرفة : [1]

أسْد غِيلٍ فإذا ما شَرِبـــوا وهبوا كلَّ أَمُونٍ و طَمِـــرْ

فقيل : إنما يهبون عند الآفة التي تدخل على عقولهم، و فَضّلوا قول عنترة :

و إذا شربـــت فإننـــي مستهـــلك مالي و عرضي وافر لم يُكْلمِ
و إذا صحوت فما أقصّر عن ندى وكما علمتِ شمائلي و تكرّمي

و ما استحسان الناس لبيتي عنترة إلا لأن صفة الجود باقية فيه، لا تتغير قبل الشراب و بعده، إضافة إلى سلامة العِرض الذي لا يذهبه السُكْر.

- **أجود المدح ما قصد به الفضائل النفسية :**

يفضل العارفون بالشعر، وصف الممدوح بالفضائل النفسية المتأصّلة كالصدق و الوفاء و النجدة و الشجاعة و غيرها، أما الوصف بالمال و المكانة بفضل الآباء و الأجداد فهي صفات قد تجتمع في الممدوح مع ضَعَة في نفسه.

و في هذا يقول قدامة بن جعفر : " أفضل مديح الرجال ما قصد به الفضائل النفسية الخاصيّة، لا بما هو عرَضي فيه؛ و ما أتى من المدح على خلاف ذلك كان معيبا"[2].

---

(1) **الموشح**. ص 78.

(2) المصدر نفسه. ص 346.

و من الأمثلة الجياد في هذا الموضع، ما عتب به عبد الملك بن مروان على عبيد الله بن قيس الرقيات، إذ قال له : " إنك قلت في مصعب بن الزبير :

إنّما مصعبٌ شهابٌ من اللـــــه تجلّت عن نوره الظلماء

و قلتَ فِيَّ :

يأتلـــق التـــاج فوق مَفْرقه علـــى جبيـــن كأنّـــه الذهـــب

فوجه عيب عبد الملك إنما هو من أجل أنّ هذا المادح عدل به عن الفضائل النفسية... إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء و الزينة، و ذلك غلط و عيب"[1].

فجمال الجسم منحة من الله و لا دخل للإنسان فيها، و لكن الجمال المعنوي هو ما يميز إنسانا عن آخر، و يرفع شخصا و يضع شخصا آخر، و هذا التقويم يستند إلى القيم الإسلامية التي تسمو بالروح و الأخلاق و لا تنظر إلى الشكل.

- **قلة الفطنة في المدح :**

كثيرا ما يخطئ الشعراء في المدح، فيخرجون به عن غرضه، و قد يتحول إلى هجاء، ومن نماذج قلة الفطنة في المدح ما قاله ذو الرمة في مدح بلال بن أبي بُرْدة :

رأيت الناس ينتجعون غيثـــا فقلت لصَيْدَح انتجعي بِـــلالا

و صيدح هي ناقة ذي الرمة.

(1) **الموشح**. ص 347.

" فقال بلال : يا غلام؛ اعلِفها قتًّا و نَوًى، أراد بذلك قلة فطنة ذي الرمة للمدح"[1].

" فلما خرج قال له أبوعمرو- وكان حاضرا : هلا قلت له : إنّما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها، كما قال الله عز و جل : " و اسأل القرية التي كنّا فيها" يريد أهلها "[2].

فالمدح يحتاج إلى فطنة صاحبه، و تقديره لمقام ممدوحه، فقد روِي أن أبا النجم العجلي أنشد هشاما :

*** و الشمس قد صارت كعين الأحول ***

و ذهب به الرَّوِي في الفكر في عين هشام؛ فأغضبه، فأمر به فطرد"[3] و كان هشام بن عبد الملك أحولا، و لم يتفطن إلى ذلك الشاعر.

- **<u>الضرع في المدح :</u>**

يكره للشاعر أن يشتد في الشكوى و طلب المال أمام ممدوحيه من الخلفاء و الأمراء، لأن ذلك من باب التّضرّع و في ذلك إذلال للنفس، ويروى أن كُثيرا قال: " في أي شعر أُعطي الأحوص عشرة آلاف دينار؟ قالوا بقوله :

و ما كان مالي طارفًا من تجارة ... و ما كان ميراثـــا مـــن المال مُتْلدا
و لكـــن عطاءً مـــن إمام مبارك ... ملا الأرض معروفا وجودا وسُوددا
شكـــوت إليـــه ثِقْلَ غُرْمٍ لو أنّه ... ومـــا اشتكى منه علـــى القِيل بَلَّدا

(1) **الموشح**. ص 281.
(2) المصدر نفسه. ص 282.
(3) المصدر نفسه. ص ص 334، 335.

فقال كُثير: ضرَع قّبحه الله "[1] و يعني أن يبقى الشاعر كريم النفس لا يلح في الطلب و الاستجداء.

ب- الوصف :

- **الخطأ في الوصف :**

" مر المسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم :

ألا أنعم صباحا أيها الرَّبع و اسلـم نُحيّيك عن شَحْطٍ و إنْ لم تكلم

فلما بلغ قوله :

و قد أتناسى الهَمَّ عند ادّكـــــارِه بِناجٍ عليه الصَّيعَريَّة مُكْـــدَمِ

فقال طرفة – و هو صبي يلعب مع الصبيان : استنوق الجمل".[2]

و قيل أن طرفة بن العبد قال : " استنوق الجمل" لعمرو بن كلثوم، حين أنشد عمرو بن هند شعرا له، و "وصف فيه جملا، فبينما هو في وصفه خرج إلى ما توصف به الناقة".[3] و قول طرفة هذا أغضب عمرو بن كلثوم فهايجه، و هو ينبىء عن حاسة نقدية مبكرة لدى طرفة إذ كان طفلا صغيرا آنذاك. فصفات الجمل تختلف عن صفات الناقة، و الخطأ هنا غير مقبول، إذ أن الصيعرية صفة للإناث لا للفحول.

(1) **الموشح**. ص 297.

(2) المصدر نفسه. ص 110.

(3) المصدر نفسه. ص 111.

و نجد خطأ آخر في " قول النابغة الذبياني :

كأنّ حِجَاجَ مُقْلَتِها قليـــــــــبٌ من الشِّيقَيْنِ حلَّقَ مُسْتَقاهـــــا

الشيقين : موضع، و حلق: غار، و مستقاها : ماؤها، و الحجاج لا يغور لأنه العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب".[1]

و في قول الشاعر الشماخ :[2]

و أعددت للسَّاقَيْن و الرِّجْل و النسا لِجاما و سرجًا فوق أعوجَ مُخْتال

و إنما يلجم الشدقان لا الساقان.

و مواضع الخطأ في الوصف كثيرة جدّا في **الموَشّح**، تتبع الكاتب ذكرها و فصّل مواطن الخطأ فيها.

ج- الغـــــزل :

- **الكلام المستثقَل في الغزل :**

من سمات ألفاظ الغزل و عباراته و معانيه، الرّقة و اللّطافة و اللّين حتى يكون مستساغا مناسبا للغرض، إلا أن بعض الشعراء يجانبون هذا الطلب و يقعون في الكلام المستثقل، و هو عيب في الغزل، و في هذا الصّدد" قال قدامة بن جعفر : من الكلام المستثقل في الغزل قول عبد الرحمان بن عبد الله القَسّ :

إنْ تَنْأَ دارُكِ لا أملُّ تَذَكُّـــــرًا و عليكِ منـــي رحمـــةٌ و سلامُ

(1) **الموشح**. ص 132.

(2) المصدر نفسه. ص 113.

و من المسخشن قول هذا الشاعر أيضا :

سَلاَّمَ ليْت لِسانا تنطقين بـــــه قبْل الّذي نالني من صوته قُطِعا

فما رأيت أغلظ ممن يدعو على معشوقة أجادت في غنائها بقطع لسانها "[1].

24-السرقات الشعرية :

حين ندقق في كتاب "**الموشح**" نجد **المرزباني**، لا يعرض دراسة منهجية للسرقات، و لكنه يكثر من أخبارها، و يستخدم في سرد هذه الأخبار و المصطلحات التي سبق أن استخدمها النقاد المتقدمون عليه، كالنَّسْخ، و المُصالته و الانتحال و الاجتلاب و الاحتذاء و النَّقل، غير أننا نجده يستخدم " اصطلاحا جديدا لم يستخدمه النقاد من قبل وهو " المسخ" و يقصد به تقصير الشاعر عن المعنى الذي أخذه من سابقه ".[2]

و من الأمثلة التي استخدم فيها " **المرزباني**" هذا المصطلح الجديد، قوله : " قال العتابي :[3]

في مآقِيَّ انقباض عن جفونهما و في الجفون عن الآماق تقصير

و هذا بيت أخذه من قول بشار الذي أحسن فيه غاية الإحسان وهو قوله:

جَفَت عيني عن التَّغميض حتّى كأنَّ جفــونها عنــها قصـــــار

---

(1) **الموشح**. ص ص 251، 252.

(2) هدارة، محمد مصطفى. مشكلة السرقات في الأدب العربي. ط 2. بيروت : المكتب الإسلامي. 1401 هـ-1981 م. ص 106.

(3) **الموشح**. ص ص 450، 451.

فمسخه العتابي، على أن بشارا قد أخذه من قول جميل :

كأنّ المُحِبَّ قصيرُ الجُفـــون لطــول السُّهــاد و لمْ تقصــر

و يعلق **المرزباني** على هذا المسخ بقوله : " و جاء هذا إلى المعنى قد تعاوره شاعران محسنان مقدمان و أحسنا فيه، فنازعهما إيّاه فأساء"[1].

و يغتنم **المرزباني** المناسبة لتقديم وقفة نقدية طيبة فيقول : " و حقّ مَن أخذ معنى و قد سبق إليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه، أو يزيد فيه عليه حتى يستحقه، فأما إذا قصر عنه فإنه مسيء معيب بالسرقة مذموم في التقصير"[2].

و يعيد **المرزباني** ما سبق أن قرّره النقاد من قبل بشأن السرقة الممدوحة و السرقة القبيحة، فيقول : " و لا يعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه، و لا يفتضح، و ينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه لا فقير إليه"[3].

و يميل **المرزباني** إلى كراهية التعصب في الادّعاء على شاعر بالسرقة، فقد قال عن أبي تمام : " و للطائي سرقات كثيرة أحسن في بعضها و أخطأ في بعضها"[4]، و حين روى عن الأصمعي قوله : " تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة"[5]، قال **المرزباني** : " و هذا تحامل شديد من الأصمعي و تَقَوُّل على الفرزدق... و لسنا نشك أن الفرزدق قد أغار على بعض الشعراء في أبيات معروفة، فأما أن نطلق أن تسعة أعشار شعره سرقة فهذا محال".[6]

---

(1) **الموشح**. ص ص 450، 451.

(2) (3) المصدر نفسه. ص 451.

(4) (5) المصدر نفسه. ص 478.

(6) المصدر نفسه. ص 167.

و من مصطلحات السرقة الشعرية الواردة في **الموشح** على سبيل المثال لا الحصر قول الكاتب : " كان الفرزدق يُصلِتُ على الشّعراء ينتحل أشعارهم".[1]

و مواطن الحديث عن موضوع السَّرقات في **الموشح** كثيرة.

25- الموازنة بين الشعراء :

تتجلى الموازنة في **الموشّح** في صورة مفاضلة بين الشعراء، في أشعارهم بصفة عامة، أو في أغراض محددة، أو في صفة جزئية تخص أشعارهم، و هي في عمومها تصدر عن أحكام جزئية خالية من التعليل، إلا نادرا، كما أنها تفتقر إلى المنهاج النقدي العلمي، إذ " أن الأهواء و خواطر السّاعة و مناسبات القول كانت من مصادرها" [2].

و من أمثلة هذه الموازنات بين الشعراء ما قالته نوار زوجة الفرزدق حين سألها: كيف شعري من شعر جرير؟ قالت : قد شركَك في حُلوه، وغلبَك على مُرّه"[3]، بيد أنها لم تعلل هذا الحكم، و لم تقنع، و حكّمت هواها، و لم يقبل **المرزباني** هذا الحكم النقدي من نوار و علل ذلك بقوله : " و لا يقبل قول النوار على الفرزدق لمنافرتها إيّاه"[4].

و من الموازنات التي تقترب من النقد الموضوعي ما ورد في **الموشح** في الموازنة بين العباس بن الأحنف و العتّابي، و فيها فضل العبّاس " ذلك أن العتّابي متكلف، و العباس يتدفّق طبعا، و كلام هذا سهل عذب، و كلام ذاك مُتَعَقِّد كَزٌّ،

(1) **الموشح**. ص 168.
(2) مندور، محمد. المصدر السابق. ص 343.
(3) **الموشح**. ص 168.
(4) المصدر نفسه. ص 169.

و من مصطلحات السرقة الشعرية الواردة في **الموشح** على سبيل المثال لا الحصر قول الكاتب : " كان الفرزدق يُصِلتُ على الشّعراء ينتحل أشعارهم".[1]

و مواطن الحديث عن موضوع السَّرقات في **الموشح** كثيرة.

25- الموازنة بين الشعراء :

تتجلى الموازنة في **الموشّح** في صورة مفاضلة بين الشعراء، في أشعارهم بصفة عامة، أو في أغراض محددة، أو في صفة جزئية تخص أشعارهم، و هي في عمومها تصدر عن أحكام جزئية خالية من التعليل، إلا نادرا، كما أنها تفتقر إلى المنهاج النقدي العلمي، إذ " أن الأهواء و خواطر السّاعة و مناسبات القول كانت من مصادرها" [2].

و من أمثلة هذه الموازنات بين الشعراء ما قالته نوار زوجة الفرزدق حين سألها: كيف شعري من شعر جرير؟ قالت : قد شركك في حُلوه، وغلبك على مُرِّه"[3]، بيد أنها لم تعلل هذا الحكم، و لم تقنع، و حكّمت هواها، و لم يقبل **المرزباني** هذا الحكم النقدي من نوار و علل ذلك بقوله : " و لا يقبل قول النوار على الفرزدق لمنافرتها إيّاه"[4].

و من الموازنات التي تقترب من النقد الموضوعي ما ورد في **الموشح** في الموازنة بين العباس بن الأحنف و العتّابي، و فيها فضل العبّاس " ذلك أن العتّابي متكلف، و العباس يتدفّق طبعا، و كلام هذا سهل عذب، و كلام ذاك مُتَعَقِّد كَزٌّ،

(1) **الموشح**. ص 168.
(2) مندور، محمد. المصدر السابق. ص 343.
(3) **الموشح**. ص 168.
(4) المصدر نفسه. ص 169.

و لشعر هذا ماء و رِقّة و حلاوة، و في شعر ذاك غلظ و جَسَاوة، و شعر هذا في فنّ واحد – و هو الغزل– فأكثر فيه و أحسن، و قد افْتَنّ العتابي فلم يخرج في شيء منه عمّا وصفناه به" [1].

و من الموازنات الشعرية في **الموشح**، تلك التي تنازع فيها امرؤ القيس و علقمة الفحل، أيهما أشعر؟ و تحاكمهما لدى أم جندب زوج امرئ القيس، و بعد أن أنشداها قصيدتيهما في وصف فرسيهما، قالت لامرئ القيس : " علقمة أشعر منك. قال: و كيف؟ قالت : لأنك قلت :

فللسوط ألهوب و للساق درة و للزجر منه وقع أخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، و مريته فأتعبته بساقك، و قال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانـــــه يمر كمر الرائح المتحلـــــب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه، لم يضربه و لم يتعبه"[2]، و قدمت أم جندب رأيها مشفوعا بالتعليل الذي رأته مناسبا.

26- من عيوب المعاني :

حظيت عيوب المعاني بالقسم الأكبر من ملاحظات عيوب الشعر، في كتاب **الموشح**، ذلك أن النقاد العرب و العارفين بالشعر و أسرار اللغة العربية، يستنكرون على الشعراء الوقوع فيها، و يلاحظون على تلك الأخطاء، و يوجهون الشعراء إلى ضرورة تجنبها، حتى تسلم أشعارهم من هذه العيوب، و يدعونهم إلى التثبت من

(1) **الموشح**. ص 450.

(2) المصدر نفسه. ص 29.

أحكامهم التي يصدرونها في أشعارهم، ذلك أن الخطأ في المعنى يفسد الشعر و لو كان ذلك الخطأ طفيفا فقد نبّه إليه العلماء بالشعر و استنكروه.

و من بين تلك العيوب التي ذكرت في **الموشح** ما يلي :

- **فساد القسَم :**

و يعني به فساد التقسيم، أو كما سماه قدامة بن جعفر فساد الأقسام: و يتمثل ذلك في : " أن يكررها الشاعر أو يأتي بقسمين أحدهما داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر، أو يجوز أن يدخل أحدهما تحت الآخر في المستأنف، أو أن يدع بعضها فلا يأتي به" [1].

أ- التكرير:

و من أمثلته" قول هديل الأشجعي :

فما برحت تومي إليه بطرفها و تُومض أحيانا إذا خصمُها غَفَلْ

لأن تُومض و تومئ بطرفها متساويان في المعنى"[2]. و هذا من باب التكرار المكروه الذي لا ضرورة له .

ب- دخول أحد القسمين في الآخر:

كقول الشاعر :

أُبادِرُ إهلاكَ مستهلِكٍ لمالي، أو عبَثَ العابِثِ

فعبث العابث داخل في إهلاك مستهلك" [3].

(1) (2) (3) **الموشح**. ص 124.

ج- ترْك أحد الأقسام :

كقول جرير في بني حنيفة [1]:

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهـــــم من العبيد و ثلث من مواليهـــا

فترْك جرير للثلث الآخر، لا يُحتَمَل تركُه، مادام قد شرع في التفصيل، و يذكر **الموشح** في التعقيب على هذا البيت: " بلغني أن هذا الشعر أنشد في مجلس، و رجل من بني حنيفة حاضر فيه، فقيل له: من أيهم أنت؟ فقال من الثلث الملغى"[2].

- فساد المقابلات :

و معنى ذلك : " أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر، إما على جهة الموافقة أو المخالفة، فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر و لا يوافقه" [3].

و مثال ذلك في " قول أبي عديّ القرشي :

يا ابن خير الأخيار من عبد شمس أنت زين الدنيا و غيث الجنـــود

فليس قوله : "غيث الجنود" موافقا لقوله : " زين الدنيا" و لا مضادا، و ذلك عيب"[4].

- فساد التفسير:

و مثال ذلك ما ورد في " قول بعض المحدثين :

فيأيها الحيران في ظلم الدجـــى ومن خاف أن يلقاه بغْيٌ من العِدى
تعال إليه تلق من نور وجهـــه ضياء ومن كفَّيْه بحـــرا من الندى

(1) (2) (3) (4) **الموشح**. ص 126.

و العيب في هذين البيتين أنّ هذا الشاعر لما قدّم في البيت الأول الظلم و بغي العدى، كان الجيد أن يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما. فأتى بإزاء الإظلام بالضياء، و ذلك صواب"[1]، أما بغي العدى فيليق أن يقابله ما يُحتَمَى به كالنصرة، فأخطأ الشاعر و أتى بالندى، و هذا عيب في التفسير. و الكرم يفترض أن يكون تفسيرا للفقر و العُدْم.

- **التناقـــض :**

و مثاله " قول ابن نوفل :

لإعلاج ثمانيـــةٍ و شيْـــــــخٍ كبيرِ السِّنِّ ذي بَصَر ضَريـــرِ

و في هذا تناقض، فضرير بمعنى أعمى، و " كأنّه يقول : إنّ له بصرا و لا بصر له، فهو بصير أعمى"[2]، وهذا القول لا يصح لما فيه من تضارب في المعنى.

- **ما يتطير منه :**

" و ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره؛ و مفتتح أقواله، مما يتطير منه و يستجفى من الكلام و المخاطبات؛ كذكر البكاء و وصف الخطوب الحادثة"[3] فالسامع يأنس بالكلام اللطيف، و يتطير من غيره، من مثل ما قاله " البحتري لأبي سعيد الثَّغْري :

*** لك الويل من ليلٍ بطاءٍ أواخره ***

فقال له أبو سعيد : الويل لك و الحَرَب " [4].

---

(1) (2) الموشح. ص 368.

(3) المصدر نفسه. ص 371.

(4) المصدر نفسه. ص 372.

- **مراعاة المقام و شعور السّامع :**

و مما ورد في ذلك قول أبي النجم العُجلي منشدا هشام بن عبد الملك :

*** و الشمس قد صارت كعين الأَحْوَل ***

" و ذهب عنه الرَّوي في الفكر في عين هشام، فأغضبه، فأمر به فطُرد" [1].

- **مخاطبة كلٍّ بما يفهم :**

قيل لبشار : " إنك لتجيء بالأمر المُهَجَّن.. إنك تقول:

إذا ما غضِبنا غضبة مُضَرِيّـَةً هتكْنا حجاب الشّمس أو مَطرَتْ دَمَا

ثم تقول :

ربابـــــــــة ربّة البيـــت تصبُّ الخلَّ في الزّيـــــــــت
لهـــــا عشرُ دجاجـــات و ديكٌ حسَنُ الصّـــــــــوت

فقال : كلّ شيء في موضعه... فربابة هذه تجمع عليَّ هذا البيض و تحظره لي، فكان هذا من قولي لها أحبَّ إليها و أحسن عندها من :

*** قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل *** [2]

و قال بشار في موضع آخر عن هذين البيتين: "إنما أخاطب كلا بما يفهم". [3]

و يعبّر عن هذا المعنى بقولهم : لكل مقام مقال، إذ لكلٍّ مستواه الثقافي و الاجتماعي واهتمامه و على الشاعر أن يراعي ذلك، حين ينظم شعره.

---

(1) الموشح. ص 377.

(2) (3) المصدر نفسه. ص 388.

- **الإشارات البعيدة و الإيماء المُشْكل :**

ينبغي للشاعر أن يجتنب الإشارات البعيدة، و الحكايات الغلقة، و الإيماء المشكل... و من "الحكايات الغَلِقة قول بشار [1]:

غدت عانةٌ تشكو بأبصارها الصَّدى إلى الْجَأبِ إلاّ أنّها لا تخاطبــه

فالبيت فيه بعض المعاني الغامضة، و لا يذهب إلى معنى بذاته بوضوح، وهذا معيب، إذ أن العيون لا يمكن أن تشكو العطش، ولا يفهم منها ذلك، و الجأب وهو حمار الوحش لا يمكنه أن يفهم هذه الإشارات، و التي تتطلب العقل و إعمال الفكر.

و من الإيماء المشكل الذي أفرط قائله في حكايته [2]:

أَوْمَتْ بكفَيها من الهـــــــودج لولاك هذا العام لم أحجـــــج
أنت إلى مكة أَخْرَجْتَـــــــني حبّا و لولا أنت لم أخـــــرج

فالإشارة بالكف لا يمكنها أن تعبر عن كل هذه المعاني التي بعدها، لكثرتها، و حاجتها إلى تفصيل.

- **الإحـــالـــة :**

و هي ذكر المستحيل، أو نسبة صفة إلى غير الموصوف بها مما يوقع في الكراهية و الإنكار ومن أمثلة ذلك ما قاله أبو نواس [3]:

و أخفت أهل الشرك حتى إنـــــه لتخافك النطف التي لم تخلق

(1) **الموشح**. ص 388.
(2) المصدر نفسه. ص 144.
(3) المصدر نفسه. ص 419.

و هذا مستحيل، لأنه وصف المخلوق بصفة الخالق عز و جل، وهو معنى لا يصح.

- **الممتنع و المتناقض :**

و الفرق بينهما " أن المتناقض لا يكون، ولا يمكن تصوره في الوهم، و الممتنع لا يكون و يجوز أن يتصور في الوهم" [1].

و من المتناقض قول " أبي نواس يصف الخمرة :

كأن بقايا ما عفا من حبابها تفاريق شيب في سوادِ عذارِ
تردت به ثم انفرى عن أديمها تَفَرّي ليلٍ عن بياضِ نهار

فحين شبّه الحباب و هو الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر بالشيب في البياض فهذا جائز، و لكن " الحباب الذي جعله في البيت الثاني كالليل هو الذي في البيت الأول أبيض كالشيب، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذار، هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار، و ليس في هذا التناقض منصرف إلى جهة من العذر"[2]، فالشيء لا يمكن أن يكون في الوقت نفسه موصوفا بالبياض و السواد، فهذا تناقض لا يتصور.

و من الممتنع قول أبي نواس [3]:

يا أمين الله عش أبدا دُم على الأيام و الزمن

فسواء كان هذا من باب التفاؤل للممدوح بالبقاء أو الدعاء له، فهو من الممتنع المستقبح، الذي لا يجوز، إذ سنّة الله تقتضي الموت لكل العباد، و لا أحد يعيش أبدا.

(1) الموشح. ص 410.
(2) المصدر نفسه. ص ص 411، 412.
(3) المصدر نفسه. ص 410.

- **مخالفة العرف :**

إن من عيوب معاني الشعر " مخافة العرف، و الإتيان بما ليس في العادة و الطبع؛ مثل قول المَرَّار :

و خالٌ على خديك يبدو كأنـــه سنا البدر في دَعْجاءَ بادٍ دُجُونُها

فالمتعارف المعلوم أن الخيلان سود أو ما قاربها في ذلك اللون، و الخدود الحسان إنما هي البيض، و بذلك تنعت، فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى."[1] فجعل الخال في بياضه و إضاءته بالبدر في الليلة الشديدة الظلام، و هذا ما يخالف العادة و الطبع.

- **نسبة الشيء إلى ما ليس منه :**

و نجد ذلك في قول خالد بن صفوان :

فإنْ صورةٌ راقتْك فَاخْبَرْ فربّمـــا أَمَرَّ مَذاقُ العُودِ و العودُ أخضرُ

" كأنه يومئ إلى أنة سبيل العود الأخضر في الأكثر أن يكون عذبا، أو غير مر؛ وهذا ليس بواجب؛ لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطُّعُوم أوْلى منه بالآخر"[2]، فنسبة المرارة و العذوبة للعود ليست منه، إذ هو يُشمّ و لا يُتذوّق " و هذا من عيوب معاني الشعر.

- **وضع الشيء في غير موضعه :**

روي في **الموشّح** أن عبد الملك بن مروان قال: " لو قال كُثير بيته"

فقلت لها يا عــزُّ كلّ مصيبـــة إذا وطّنت يوما لها النّفْسُ ذَلّتِ

(1) (2) **الموشح**. ص 362.

في حرب لكان أشعر الناس، و لو أن القطامي قال بيته الذي وصف فيه مشية الإبل:

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلـــة و لا الصدور على الأعجاز تكل

في النساء لكان أشعر الناس"[1]، فالمعنى يكتسب قيمته بمناسبته و بالشيء الذي قيل فيه.

- **المشاكـــلـــة :**

و تعني أن يتخير الشاعر من الكلمات الدالة على معان يخدم بعضها البعض، و تكون العلاقة بينها غير متنافرة، ومن هذا القبيل، ما ورد في **الموشح**، من أن الكميت أنشد نُصَيْبًا :

وقد رأينا بها حُورًا مُنَعَّمَـــــةً بِيضا تكامل فيها الدَّلُّ و الشَّنَبُ

فقال له نصيب : تباعدْتَ في قولك : " تكامل فيها الدل و الشنب"؛ هلا قلت كما قال ذو الرّمّة [2]:

لمياء في شفتيها حُوَّةٌ لَعَـــسُ و في اللِّثَاتِ وفي أنيابِها شَنَبُ

و الشنب هو رقة و عذوبة في الأسنان، أما الحوة فهي سمرة الشفة، و اللعس سواد اللثة.

و عقب المبرد على قول الكميت بقوله : " والذي عابه نصيب به من قوله : " تكامل فيها الدل و الشنب" قبيح جدا، و ذلك أن الكلام لم يجْرِ على نظْم، و لا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها"[3]، إذ ما علاقة الدّلال بالشنب؟!.

---

(1) **الموشح**. ص 233.

(2) المصدر نفسه. ص 305.

(3) المصدر نفسه. ص 306.

- **الخطأ الذي سببه الجهل بالحقائق :**

و منه ما قاله الكميت [1]:

إذا ما الهجارس غَنَّيْنَهـــــا يُجاوبن بالفَلوات الْوبَـــــارا

" فقال له نصيب : الفلوات لا تسكنها الوبار"[2]، و الوبار، جمع وبرة : حيوان كالسنور.

- **الخطأ المخالف للتاريخ :**

ومن هذا الخطأ قول زهير بن أبي سلمى [3]:

فَتُـنْتَجْ لكم غِلْمان أَشْأَمَ، كلّهم كأحمر عادٍ ثمَّ تُرْضِع فَتَفْطِـــم

لأن المشؤوم هو أحمر ثمود و لا عاد، و غلمان أشأم أي غلمان شؤم.

27- من عيوب الألفاظ :

- **الألفاظ المستكرهة الرديئة النسج :**

يكره في الشعر أن تكون ألفاظه مستكرهة، متفاوتة النسج، قبيحة العبارة، كقول النابغة [4]:

يُصاحبْنهم حتّى يُغِرْنَ مُغارَهـــم مِنَ الضَّاريات بالدّماء الدَّوارِبِ

(1) (2) **الموشح**. ص 304.

(3) المصدر نفسه. ص 56.

(4) المصدر نفسه. ص 53.

" يريد من الضاريات الدوارب بالدماء، فقدّم و أخر، و إنّما يقبح هذا إذا التبس بما قبله، و لو كان من الضاريات بالدم الدوارب لم يلتبس"[1]، فالدماء، كلمة حجزت بين كلمتين من الواجب اقترانهما " الضاريات و الدوارب".

- **الألفاظ الثقيلة :**

و من أمثلة الألفاظ الثقيلة ما ورد على لسان " العتابي :

فُتَّ المَمادِح إلاّ أنّ ألسُنَنـــــا مستنطقاتٌ بما تُخفي الضَّمائِر

فقال : " الممادح"؛ و المدائح أحسن منها و أخف على السمع، و أشبه بألفاظ الحذاق و المطبوعين، و قال: " مستنطقات"؛ و نواطق أحسن و أطبع، ثم قال : " الضمائر" فختم البيت منها بأثقل لفظة لو وقعت في البحر لكدرته، و هي صحيحة، و لكنها غير مألوفة، و لا مستعذبة" [2]، فلا شيء يقدر به الشعر و يرقي بعد صحة المعنى من اللفظ الحسن العذب.

- **الألفاظ السخيفة :**

من أشهر ما عيب به أبو تمام قوله [3] :

كانوا رداء زمانهم فتصدَّعـــوا فكأنما لبس الزمان الصُّوفا

و وصف هذا اللفظ بالسَّخافة، دون تعليل، و لا إعطاء البديل، فقيل : " و لعمري إن هذا اللفظ سخيف" [4].

---

(1) **الموشح**. ص 53.

(2) المصدر نفسه. ص 451.

(3) (4) المصدر نفسه. ص 493.

- **اجتماع الحاءات :**

تكره في الشعر بعض الحروف المكررة في البيت الواحد، إذ تفسد موسيقاه و تعيبه و من ذلك ما " أنشده إسحاق الموصلي الأصمعيَّ في غضب المأمون عليه:

يا سَرْحَةَ الماء قد سُدَّتْ مَوارِدُه ... أمَا إليك طريق غيـــر مسدود
لِحائِـــم حـــام حتّى لا حِيَام بِـــهِ ... مُحَلأ عن طريق الماء مطرود

فقال الأصمعي : أحسنت في الشعر، غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسيّ لعابتها ".[1]

- **الإكثار من الغريب :**

مما يعاب على الشعراء إكثارهم من الغريب، و ربما تعمدهم ذلك تفننا و تمييزا لأشعارهم بغريب ألفاظها، و من الأمثلة على ذلك ما قاله ابن عائشة لرجل " أنشده شعرا لنفسه أكثر فيه من الغريب، فقال له : ما أحسب أنك أفصح من امرئ القيس، و لا زمانك أرفع كلاما من زمانه"[2]، ثم استشهد له بأبيات لامرئ القيس تخلو من الغريب رغم انتمائه للعصر الجاهلي و منها [3]:

تمتع من الدنيـــا فإنـــك فَـــانِ ... من النَّشوات و النّساء الحسانِ
أمن أجل أعرابية حلَّ أهلُهـــا ... بروض الشَّرَا عيناك تبتـــدران
فدمعُها سحٌّ و سكْبٌ و دِيمَـــةٌ ... ورشٌّ و تُوكـــافٌ و تَنْهمـــلان
ليالي يدْعوني الصّبا فأجيبُـــه ... و أعيُن مَنْ أهْوى إلـــيَّ رَوَانِ

و " التوكاف" هو القليل من المطر، و " روان " أي دائمات النظر في سكون.

(1) الموشح. ص 460.
(2) (3) المصدر نفسه. ص 469.

- **الألفاظ الأعجمية :**

مما عيب على الأعشى " استعماله الألفاظ العجمية في شعره [1] لكننا لا نجد أمثلة لذلك في **الموشح** حتى نتبين منها صحّة القول.

28- من عيوب ائتلاف اللفظ و المعنى :

- **الإخلال :**

من بين عيوب ائتلاف اللفظ و المعنى " الإخلال" و هو " أن يُترك من اللفظ ما يتم به المعنى" [2]، كما في قول الشاعر:

أعاذلَ عاجِلُ ما أشتـــــــــهي أَحَبُّ من الأكثر الرَّائـــــــث

" فإنما أراد أن يقول : عاجل ما أشتهي مع القلة أحب إلي من الأكثر المبطئ، فترك " مع القلّة " و به يتم المعنى"[3]، وهذا النوع من الترك يخل بالمعنى فيأتي ناقصا.

- **زيادة ما يفسد المعنى :**

و هذا النوع من الجنس عكس العيب المتقدم، و هو أن يزيد في اللفظ ما يفسد المعنى، كقول بعضهم [3]:

فما نطفةٌ من ماءِ نَحْضٍ عُذَيْبَةٌ تُمَنَّـــعُ مِـــنْ أيدي رُقاة تَرُومُهـــا
بأطيب من فيها لـــو أنـــك ذُقتَه إذا ليلةٌ أسْجتْ و غارت نجومُها

(1) (2) **الموشح**. ص 369.
(3) المصدر نفسه. ص ص 364، 365.

فقول هذا الشاعر " لو أنك ذقته " زيادة توهم أن لو لم يذقه لم يكن طيبا، فهي زيادة مخلة بالمعنى.

- **المعنى المستغلق و اللفظ المستكره :**

و من أمثلته قول الفرزدق مادحا إبراهيم بن إسماعيل بن هشام المخزومي، وهو خال هشام بن عبد الملك [1] :

و ما مثلُه في الناس إلا مُملَّكـا أبو أمِّهِ حيٌّ أبوه يقاربـــه

و كان يكون إذا وضع الكلام في موضعه :

" وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا الملك أبو هذا الممدوح؛ فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجَّنه بما أوقع فيه من التقديم و التأخير "[2].

29- من عيوب ائتلاف المعنى و الوزن معا :

- **المقلوب :**

و هو أن يضطر الوزن الشعري إلى إحالة المعنى، فيقلبه الشاعر إلى خلاف ما قصد كقول عروة بن الورد.[3]

فلو أني شهدت أبا معـــاذ غداة غدا بمهجته يفـــوق
فديت بنفسه نفسي و مالـــي ومـــا آلوكَ إلاّ ما أُطيـــق

أراد أن يقول : فديت نفسه بنفسي، فقلب المعنى.

---

1) الموشح. ص 162.
2) المصدر نفسه. ص 163.
3) المصدر نفسه. ص 128.

- المبتور :

و معناه " أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد، فيقطعه بالقافية، و يتممه في البيت الثاني"[1]، و مثال ذلك فيما قاله عروة بن الورد :[2]

فلو كاليوم كان عليَّ أمـــــري و مــن لك بالتّدبُّر في الأمــور
إذًا لَمَلكتُ عِصمة أمَّ وَهْـــــبٍ على ما كان من حَسَكِ الصُّدُور

فالبيت الأول لم يكن قائما بنفسه في المعنى، بل جاء البيت الثاني و أتم معناه.

30- من عيوب التزاف المعنى و القافية :

- التكلّف في طلب القافية :

و من عيوب الشعر أن " تكون القافية مستدعاة، قد تكلف في طلبها، فاشتغل معنى سائر البيت بها" [3]، كقول أبي تمام :

كالظبية الأدماء صافت فارتعَـت زهر العرار الغضّ و الجثجاثا

" فجميع هذا البيت مبني لطلب هذه القافية، و إلا فليس في وصف الظبية بأنها ترتعي الجثجاث كبير فائدة؛ لأنه إنما توصف الظبية إذا قصد لنعتها بأحسن أحوالها".[4]

فرعي الظبية للجثجاث لا يزيد الظبية أي معنى في الحسن، وهو ليس من المراعي الجديرة بالوصف.

(1) (2) **الموشح**. ص 129.
(3) المصدر نفسه. ص 368.
(4) المصدر نفسه. ص 369.

- **القافية النظيرة لأخواتها في السجع :**

وهي أن يأتي الشاعر بالقافية لتكون مشابهة لأخواتها في السجع " لا لأن لها فائدة في معنى البيت، كما قال علي بن محمد البصري[1]:

و سابِغةِ الأذيالِ زَغْفٍ مفاضَـةٍ تَكَنَّفَها منِّي نِجادٌ مُخَطَّـــطُ

فالنجاد لا يزيد في جودة الدرع أيا كان لونه، و بالتالي فكونه مخططا إنما أتى به من أجل السجع.

31- من عيوب ائتلاف اللفظ و الوزن :

- **التَّفْصيـــل :**

و من عيوب الشعر المتعلقة باللفظ و الوزن معا، " التفصيل"، و " هو ألا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض، فيقدم و يؤخر؛ كما قال دريد بن الصمة :[2]

و بَلِّغ نُمَيْرًا إن عرضْتَ ابنَ عامر فأيُّ أخٍ في النائبات و طالـــب

ففرق بين نمير بن عامر بقوله : " إن عرضت " و بهذا يصبح المعنى غامضا و كأن ابن عامر ليس هو " نميرا ".

- **الحشو :**

" و هو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن، مثال ذلك ما قال أبو عدي القرشي : [3]

(1) **الموشح**. ص 369.
(2) المصدر نفسه. ص 127.
(3) المصدر نفسه. ص 365.

نحن الرؤوس و ما الرؤوس إذا سمت في المجد للأقـوام كالأذنـاب

فقوله : " للأقوام حشو لا منفعة فيه".

- **التشليـــم :**

و هو أن يأتي الشاعر " بأسماء يقصر عنها العروض، فيضطر إلى ثلمها و النقص منها؛ مثال ذلك قول أمية بن أبي الصلت :

لا أرى من يعينني في حياتـــي غير نفسي إلاّ بني إسـرال

و يقصد ببني إسرال، بني إسرائيل، فأنقص من الكلمة لإقامة الوزن".[1]

- **التذنيب :**

و هو عكس العيب المتقدم، و ذلك " أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض، فيضطر إلى الزيادة فيها، مثال ذلك ما قال :

لا كعبد المليك أو كيزيـد أو سليمان بعْدُ أو كهشـام

فالملك و المليك اسمان لله عز و جل، و ليس إذا سمي إنسان بالتعبّد لأحدهما وجب أن يكون مسمى بالآخر، كما أنه ليس من سمى عبد الرحمان هو من سمي عبد الله، و المخاطب هنا هو عبد الملك و ليس عبد المليك"[2]، فكانت هذه الزيادة في الاسم عيبا.

(1) **الموشح**. ص 365.

(2) المصدر نفسه. ص 366.

- **التغيـــــر :**

" وهو أن يحيل الشاعر، الاسم عن حاله و صورته إلى صورة أخرى إذا اضطرته العروض إلى ذلك، كما قال بعضهم يذكر سليمان" : [1]

*** ونسْج سُلَيْم كُلَّ قَضَّاءَ ذائل ***

إذا ذكر " سليم" و هو في الأصل " سليمان" وهو من باب التغيير الذي اضطره إليه الوزن.

(1) **الموشح**. ص 367.

ثانيا : المسائل البلاغية

للبلاغة حظ وافر في كتاب **الموشح**، فهي أداة معينة للناقد لاكتشاف عيوب الشعر، و فهم مراميه، و قد تنوعت وجوهها من خيال أبدع الصورة التشبيهية أو الاستعارية أو المجازية إلى ذوق جمالي جاد بالبديع فكانت المطابقة و المقابلة و غيرهما، و من أهم ما لاحظه النقاد و علماء الشعر من عيوب بلاغية المسائل التالية :

1-التشبيهات البعيدة-الغلو:

يعاب على الشعراء المغالاة في التشبيهات، فتبعد عن الحقيقة و الصواب، و يبدو تكلف أصحابها فيها، و تضطرب الصورة و " من التشبيهات البعيدة التي لم يلطف أصحابها فيها، و لم يخرج كلامهم في العبارة سلسا سهلا، قول النابغة الذبياني: [1]

تُخْدِي بهم أُدْمٌ كأنّ رحالهـــــا عَلَقٌ أُرِيق على مُتون صِــوارِ(*)

فتشبيه الأبل السائرة بسرعة، وهي تحمل رحالها الحمراء اللون بالدم المهراق على ظهور البقر، يعطي صورة غير موفقة، و بعيدة عن التصور.

---

(1) **الموشح**. ص 129.

(*) الصِوَار : القطيع من البقر. انظر : القاموس المحيط. م 2، ص 73.

2- التشبيهات غير الجيدة :

التشبيه الرديء يسيء إلى الشعر، و يحط من قيمته، و مما روي في هذا المجال أنه لما قدم ذو الرمة الكوفة لقيَه الكميت، فقال له : إني عارضتك بقصيدتك، ثم قرأ عليه قصيدته و التي منها:

هل أنت عن طلب الأَيْفَاع منقلب أم هل يُحَسِّنُ من ذي الشَّيبة اللعب

قال له ذو الرمة : " ما أحسن ما قلت، إلا أنك إذا شبهت الشيء ليس تجيء به جيدا كما ينبغي، و لكنك تقع قريبا، فلا يقدر إنسان أن يقول أخطأت و لا أصبت" [1].

3- الاستعارة القبيحة :

من الاستعارات المعيبة الواردة في **الموشح**، قول أوس بن حجر :[2]

و ذات هِدْمٍ عارٍ نواشِرهـــــا تُصْمِتُ بالماء تولَبًـا جَدَعـــا

فعابه قوم، لأنه أفحش الاستعارة بأن سمى الصبي "تولبا"، و هو ولد الحمار أي الجحش، فهي صورة بشعة و خاصة أن المرأة كانت ترتدي ثيابا رثة و عارية الذراعين لم تجد ما تسكت به وليدها الجائع غير الماء، و تصوير هذا الولد السيئ الغذاء بالجحش فيه فحش و قسوة.

4- الشعر البعيد الغلق : [أو المجاز المباعد للحقيقة]

و يبدو ذلك من خلال قول المثقب في وصف ناقته : [3]

(1) **الموشح**. ص 307.

(2) المصدر نفسه. ص 88.

(3) المصدر نفسه. ص 143.

تقول و قد درأتُ لها وَضيـــني أهــذا دينُــه أبــدًا و دينـــي
أكُلُّ الدَّهــر حَــلٌّ و ارتحـــال أمَــا يُبقي عليَّ و لا يقينـــي

فهذه الحكاية عن ناقته من المجاز المباعد للحقيقة، و فيها إشارات بعيدة، لأنه أراد أن يقول عن ناقته لو تكلمت، لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول، فالشكوى من السفر و التعب المستمر لا تعبر عنه الناقة صراحة.

و الذي يقارب الحقيقة قول عنترة في وصف فرسه : [1]

فازورَّ من وقْع القنــا بلبانــــه وشكا إلــيَّ بعبــرة و تحمحــم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى و لكان لو عرف الجواب مكلمي

5-أحسن الشعر :

إن " أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه، و أحسن منه ما أصاب به الحقيقة، و نبه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره، و ساقه برصف قوي و اختصار قريب، و عدل فيه عن الإفراط"[2]، كقول بعضهم في النحافة ".[3]

فلو أن ما أبقيتِ منِّي مُعَلَّـــقٌ بعودِ ثمامٍ ما تأوَّدَ عودُهـــا

و الثمام، نبت ضعيف، واحدته ثمامة.

6-الإفراط في طلب البديع :

و هو معيب أيضا، و قد " ذكر العتابي أبا نواس فقال: هو و الله شاعـــر

(1) **الموشح**. ص 143.
(2) (3) المصدر نفسه. ص 380.

ظريف، مليح الألفاظ، إلا أنه أفرط في طلب البديع" [1] حتى قال : [2]

لما بدا ثعلب الصدود لنـــــــا أرسلت كلب الوصال في طلبــه

فما كلمة " الوصال" إلا لمقابلة " الصدود" و يبدو فيها الإفراط و السعي في طلب البديع، وهو وجه من التكلف.

7- البديع المقيت :

مما وجهه عبد الله بن المعتز من نقد لأبي تمام حين قال : [3]

لو لم تدارك مُسن المجد من زمن بالجود و البأس كان المجد قد خَرِفا

فقوله : " مُسِنَّ المجد" من البديع المقيت .

8- المطابقة غير الحسنة :

كما قال ابن المعتز في قصيدة أبي تمام التي أولها :[4]

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد وعـــاد قتادا عنـــدها كل مرقـــد
لعمـــري لقـــد حرَّرْتَ يـــوم لقيتَـــه لو انَّ القضـــاء وحدَه لم يُبَـــرَّد

فلم تخرج ها هنا المطابقة خروجا حسنا، و لا تحسن في كل شيء.

(1) (2) **الموشح**. ص 418.
(3) (4) المصدر نفسه. ص 471.

ثالثا : المسائل العروضية

إن الناحية العروضية بمفهومها العام، قد شغلت الدارسين للشعر سواء كانوا نقادا أم شعراء، بضرورة مراعاتها وتجنب مخالفة قواعدها، إذ أن الشعر مصدره الشعور، و يخاطب الشعور أولا ثم العقل، وما دام الشعر فنا جميلا وجب أن يكون مراعيا للأذن الصاغية والنفس المتذوقة، و الوزن الشعري يؤثر في النفس و يبلغ المعنى، إذ أن الإيقاع الموسيقي المستقيم يميز الشعر عن غيره من فنون التعبير الأخرى.

و الوزن بهذا المفهوم كان محل عناية الدارسين القدامى، و قد اعتبروه علما قائما بنفسه له أصوله و قواعده، و أول من وضع أصول هذا العلم – فيما يقال – الخليل بن أحمد، غير أن الكثير من مسائله الجزئية كانت معروضة من قبله وإن لم تكن لها مصطلحات محددة، و لكن الأذن الشاعرية تكشف الجيد من الشعر و رديئه من هذه الناحية.

و المسائل العروضية المختلفة أدوات تعين الناقد على تقدير الشعر و تثمينه، فكلما خلا الشعر من عيوب العروض كلما تحققت فيه صفة الجودة المتعلقة بالوزن و القافية و لواحقها، و ما ظهرت فيه عيوب العروض إلا و تدنى و عابه النقاد و الأدباء واستثقلته الأذن.

و **الموشح** رغم إقراره بضرورة الوزن و القافية للشعر، ووجوب مراعاة جانب العروض فيه، فإن هذا لا يعني أن الشعر يكتفي بهما، أي الوزن و القافية إذ " ليس كل من عقد وزنا بقافية فقد قال شعرا؛ الشعر أبعد من ذلك مراما، و أعز انتظاما".[1]

(1) **الموشح**. ص 547.

و من أهم ما ذكره كتاب **الموشح** من المسائل العروضية – أذكرها مختصرة ببعض شواهدها – ما يلي :

1- الإقواء :

و يعرفه " **الموشح**" بقوله: " فأمّا الإقواء فرفع بيت وجر آخر"[1]، و تسمى حركة حرف الروي بالمجرى، فمن الواجب أن تكون موحدة في أبيات القصيدة الواحدة.

و قد وقع في عيب الإقواء النابغة الذبياني حين قال :[2]

زعم البوارح أن رحلتنا غـــدا و بذاك خبرنا الغراب الأسودُ
لا مرحبا بغد و لا أهلا بـــــه إن كان تفريق الأحبّة في غدِ

و من حركات القافية " النفاذ"؛ وهو حركة الهاء التي للوصل، فإن اختلفت فهي مثل الإقواء، فإن جاء ذلك فهو عيب، و حركة الهاء التي للوصل مثل قول لبيد :

*** بمِنًى تأبَّد غَوْلُهَا فَرِجَامُها ***

2- الإكفاء :

و يعرف كالتالي : " و أما الإكفاء فاختلاف حرف الروي" [3] و هنا تجدر الإشارة إلى وجوب التنبه إلى أن حرف الروي يختلف عن حركته، حتى لا يتم الخلط بين الإقواء و الإكفاء، إذ أن " العرب قد تخلط فيما بين الإكفاء و الإقواء".[4]

---

(1) **الموشح**. ص 4.

(2) المصدر نفسه. ص 11.

(3) (4) المصدر نفسه. ص 4.

و من أمثلة الإكفاء ما نجده فيما أنشده أبو عبيدة لامرأة من خَثْعَم – عشقت رجلا من عُقَيل :[1]

ليت سِمَـاكِيًّا يَحـار رَبَابُـه ... يُقَـاد إلى أهل الغَضَا بزِمام
فيَشرَبَ منه جَحْوَشٌ و يشيمُـه ... بعينَـيْ قَطاميٍّ أَغَرَّ يَمَانِـي

و هنا اختلف حرفا الروي، فالبيت الأول رويه ميم و الثاني نون، وهذا عيب.

3- الإيطاء:

و يعرفه **الموشح** كما يلي : " و أما الإيطاء فأن يقفِّيَ بكلمة ثم يقفى بها في بيت آخر"[2] وهذا كثير في شعر العرب، ومن أمثلته قول النابغة :[3]

أَواضِعِ البيت في خرساءَ مظلمـة ... تُقَيِّدُ العِيرَ لا يَسْري بها السَّاري
لاَ يَخْفِضُ الرِّزَّ عنْ أرضٍ أَلمَّ بها ... و لا يَضِلُّ على مصباحِه السَّاري

فتكرار كلمة "الساري" في قافيتي البيتين يعتبر إيطاء، وهو من عيوب الشعر.

4- السناد:

و يعرف السناد بأنه " اختلاف كل حركة قبل الروي"[4]، وهذه الاختلافات منها ما يقع في الحرف، و منها ما يقع في الحركة :

و من الحروف التي تحتاج إليها القافية التأسيس و الرِّدْف؛ و من الحركات التي تحتاج إليها القافية الحَذْوُ و التّوجيه و الإشباع، و هي كالتالي :

---

(1) **الموشح**. ص 13.

(2) (3) (4) المصدر نفسه. ص 5.

أ- التأسيس :

و هو " ألف بينها و بين حرف الروي حرف متحرك، و لا يكون التأسيس إلا ألفا "[1]، نحو قول النابغة :[2]

كليني لهم يا أميمة ناصـــب و ليل أقاسيه بطيء الكواكـــب

فإذا أسست بيتا و لم تؤسس آخر فهو سناد، و هو عيب قلما جاء، كقول العجاج : [3]

*** بسمسم أوعت يمين سمسم***

ثم قال :

*** فخِنْدِفٌ هامةٌ هذا العالَم ***

"و ذكروا أن قوما همزوها، فإن همزوها فليست بتأسيس"[4]، فتصبح "العألم".

ب- الـــــرِّدف :

و يعرف الردف بأن " يكون ياء أو واوا أو ألفا قبل حرف الروي لاصقة به؛ فالياء : رقيب، و الواو : طروب، و الألف : أطلال".[5]

و يشترط في الردف إن كان ألفا، فلزومه القصيدة جمعاء، ولا تجوز معها الياء و لا الواو، وتجوز الياء مع الواو، مثل مشيب وخطوب، و الأمير و وعور، فإن أردفت بيتا وتركت آخر فهو سناد وعيب.

و من الأشعار التي ورد فيها السناد، قول الشاعر" :[6]

(1) (2) (3) (4) **الموشح**. ص 6.
(5) (6) المصدر نفسه. ص 7.

لإذا كنت في حاجة مرســـــــلا فأرسل حكيما و لا توصـــــه
و إنْ بابُ أمرٍ عليك الْتَـــــوى فشاور لبيبا و لا تعصـــــــه

فالواو التي في توصه ردف، و الصاد حرف الروي، و البيت الثاني ليس بمردف؛ فهذا سناد؛ و هو عيب، و قلما جاء.

ج- الحـــــذو :

و هو" حركة الحرف الذي قبل الردف، نحو " قُولا" مع " قِيلا"، لأن الكسرة قبل الياء، والضمة قبل الواو، و الحذو يتبع الردف".[1]

و لو جاء قُولا مع قَوْلا، و بِيعَا مع بَيْعَا لم يَجُزْ، لأنَّ أحد الْحَذْوَين يتابع الردف و الآخر يخالفه؛ و هو سناد، وهو عيب.

و من أمثلته قول عمرو بن الأيهم التَّغلبي :[2]

ألم تر أنَّ تغلب أهلُ عِـــــــزٍّ جِبالُ مَعاقِلَ ما يُرْتَـقَيْـنـــــا
شربْنا من دماء بني سُلَيْـــــــم بأطراف القَنا حتَّى رَوِيـنـــــا

د- التوجيه :

و هو" حركة الحرف الذي قبل حرف الروي في المقيد خاصة، و ليس للمطلق توجيه".[3]

---

(1) (2) **الموشح**. ص 7.
(3) المصدر نفسه. ص 8.

و من أمثلته قول رؤبة :

*** و قاتم الأعماق خاوي المُخْتَرَقْ ***

ثم قال :

*** ألَّفَ شتَّى ليس بالرّاعي الحَمِقْ ***

ثم قال :

*** مَضْبُورةٍ قَرْوَاءَ هِرْجاب فُنُــقْ ***

و هو توجيه قبيح" وكان الأخفش لا يرى هذا سنادا، فيقول" قد كثر من فصحاء العرب" [1].

هـــ: الإشباع :

و هو " حركة الحرف الذي بين ألف التأسيس وبين حرف الروي، كالحَوَاجِب فكسرة الجيم الإشباع، و قال الأخفش : وتجوز الكسرة مع الضمة، وتقبح الفتحة مع واحدة منهما". [2]

و من ألوان الإشباع القبيح الذي يكون سنادا قول ورقاء بن زهير :[3]

رأيت زهيرا تحــت كلكل خالــد فأقبلت أسعى كالعجول أبــادِر
فَشَلَّتْ يَميني يومَ أضربُ خالــدا و يمنعُه منّي الحديدُ المظاهَر

فهذا قبيح، و كان الخليل لا يراه سنادا.

(1) (2) (3) **الموشح**. ص 10.

5- الرمل :

و الرمل عند العرب كل شعر ليس بمؤلف البناء، ولا يحدّون فيه شيئا إلا أنه عيب، و قد ذكر الأخفش أنه مثل قوله :[1]

أَقْـفَرَ من أهلِه ملحُـــــــوبُ فالقُطَبِـيَّاتُ فالذَّنـُـــوب

فكأنه عنده كل شعر غير تام الأجزاء، و هو من الشعر المهزول الضعيف.

6- التضمين :

و التضمين هو " بيت يبنى على كلام يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضيا له[2]، فمعنى البيت لا يتم معناه بتمام قافيته بل يكتمل بالبيت الموالي، و هذا أيضا يعتبر من عيوب الشعر التي أوردها " **الموشح** " تحت عنوان : " البيان عن السناد و الإقواء و الإكفاء و الإيطاء".

و من أمثلة التضمين قول الشاعر :[3]

و سعدٌ فسائلهم و الرِّبـــــابُ و سائلْ هَوَازِنَ عنا إذا مـــــا
لقيـــناهم كيف نعـــلُوهـــــــم بَوَاتِر يَفْرِيـــن بيضًا وهَامـــــا

فمعنى البيت الأول لم يتم إلا بالبيت الثاني.

و يدرس التضمين أيضا من ناحية عيوب المعاني، إذ يحبذ العرب اكتمال المعنى عند كل بيت.

---

(1) **الموشح**. ص ص 23، 24.

(2) (3) المصدر نفسه. ص 23.

7- من عيوب أوزان الشعر:

أ- التخليع :

و التخليع هو " أن يكون قبيح الوزن، قد أفرط قائله في تزحيفه، و جعل ذلك بنية للشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة، إلى ما ينكره حتى يُنْعِم ذوقه، أو يعرضه على العَروض، فيصحّ فيه"[1].

و هذا اللون من الشعر الذي كثرت زحافاته، و إن كان صحيحا، فخلله بيّن يمُجُّه الذّوق الشّعري، و تأباه الأذن المميّزة للأوزان، ولذا " فإن ما جرى من الشعر هذا المجرى ناقص الطلاوة، قليل الحلاوة" [2].

و مثال التخليع في قول عروة بن الورد : [3]

يا هنـد بنـت أبـــي ذِراع أَخْلفتِني ظني ووتَرْتِني عِشقـي
نكحتِ راعيَ ثلّةٍ يُثَمِّرُهـــا و الدَّهر فَانيـهِ بمـا يُبقِـــي

ب- التزحيف :

و هو أهون عيوب الشعر، و "هو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء؛ فمنه ما نقصانه أخفى، و منه ما هو أشنع؛ و هو في ذلك جائز في العروض" [4]

و مثال ذلك قول خالد بن أبي ذؤيب الهذلي :[5]

لعلك إمّا أمُّ عمرٍو تبدَّلَـــتْ سِواكَ خليلا شاتمي تَسْخيرها

و هذا مزاحف في كاف "سواك" و من أنشده " خليلا سواك" كان أشنع.

---

1) (2) **الموشح**. ص 121.
3) المصدر نفسه. ص 122.
4) (5) المصدر نفسه. ص 123.

و يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط، أو كان في بيت أو بيتين من القصيدة، من غير توالٍ و لا اتساق يخرجه عن الوزن.

8- من ضرورات الشعر :

و يذكر المرزباني جملة من ضرورات الشعر و التي يصح للشاعر أن يتجاوز قواعدها، فتلين خدمةً لوزن الشعر، و أغلبها من باب النحو و التي اتفق أغلب النقاد و اللغويين على جوازها، إذ يجوز للشاعر ما لا يجوز للناثر، و أحاول أن أعرضها في عجالة توخيا لتحقيق غاية تصنيف أهم الملاحظات النقدية في **الموشح**، بعيدا عن الشرح و التفصيل.

و من هذه الضرورات ما يلي :

أ- صرف ما لا ينصرف :

و ذلك من باب رد الأمر إلى أصله، و في البيت التالي نجد الشاعر قد صرف و ترك الصرف في بيت واحد: دَعْدٌ – دعدُ، و هذا جائز في الشعر: [1]

لم تتلفَّع بفضل مئزرهـــــــا دعدٌ و لم تُغْذَ دعدُ بالعُلَـــب

ب- ترك صرف ما ينصرف :

و هو غير جائز، لأنه يخرج الشيء عن أصله: و قد أجازه الأخفش، و أنشد قول العباس بن مرداس السُّلَمي : [2]

(1) (2) **الموشح**. ص 144.

فما كان حصنٌ و لا حابـــسٌ يفوقان مرداسَ في مَجْمَـــعِ

فترك صرف مرداس، وهو اسم منصرف : و هذا قبيح لا يجوز و لا يقاس عليه، و اعتبره **المرزباني** لحنا.

ت- قصر الممدود :

و هو جائز في الشعر، فهو رد الشيء إلى أصله، و قال الشاعر : [1]

بكت عيني و حُقَّ لها بُكاهـــا و ما يغني البكاءُ و لا العويل

فقصر البكاء ومده في بيت واحد.

ث- مد المقصور :

و الشاعر إذا اضطر إلى مد المقصور غير أوله إلى الفتح، فيصبح جائزا، قول الشاعر: [2]

و المرء يبليه بَلاَءَ السِّرْبِـــالْ كَرُّ اللَّيالي و انتقالُ الأحـوالْ

فلما فتح الباء من " البِلى" ساغ له المد.

ج- الاجتزاء بالضمة من الواو :

في مثل كأنّه، و لهُ، و بيْناه، كقول الشاعر: [3]

له زَجَلٌ كأنَّه صوتُ حـــادٍ إذا طلب الوسيقة أو زَمِيـــرُ

(2) **الموشح**. ص 145.

) المصدر نفسه. ص 146.

ح- حذف بعض الكلمة :

كقول الشاعر :[1]

و طرت بمُنْصلي في يَعْمَـــــلات دوَامِي الأَيْدِ يخبطن السَّريحـــا

و هنا اسقط الشاعر الياء من " الأيدي".

خ- تسكين الحروف التي عليها الضمات و الكسرات :

مثل : عضُد و فخِذ، فقيل، عضْد و فخْذ، و في كبِد، كبْد... كقول الشاعر :[2]

ألا رب مولود وليس لـــــه أبٌ و ذوي ولدٍ لم يَلْدَهُ أَبَـــــوان

فسكن اللام المكسورة ثم حرك الدال بالفتح في كلمة " يَلِدْه ".

د- تضعيف ما لا يجوز أن يضاعف :

كقول الشاعر، و قد ضعَّف كلمة " ضنُّوا" فجعلها " ضَنَنُوا" : [3]

مهلاً أعاذلَ قد جرَّبْتِ من خُلقـــي أنِّي أجُود لأقوام و إنْ ضَنَنُوا

ذ- رد الإعراب إلى أصله :

في مثل قاضٍ، فيقول قاضِيٌ و قاضِيٍ، و كذلك جواريُ و غوانيُ... كقول الشاعر :[4]

---

(1) **الموشح**. ص 146.

(2) المصدر نفسه. ص 147.

(3) (4) المصدر نفسه. ص 148.

ما إن رأيت و لا أرى في مُدَّتي كجوارِي يلعبن في الصحـــــراء

ر- إلحاق نون الجميع من الاسم المضمر :

و ذلك في مثل : الضاربونه، و الخائفونه و الآمرونه، كقول الشاعر :[1]

هم القائلون الخير و الآمرونــه إذا ما خَشُوا من مُحْدَثِ الأمرِ مُفْظِعَا

ز- حذف التنوين من الأسماء المنصرفة :

و ذلك لالتقاء الساكنين، كقول الشاعر، و قد حذف التنوين في " حاتم" [2]

*** و حاتمُ الطائيُّ وهَّاب الْمِئِي ***

س- حذف الإعراب :

و يوصف هذا بغير الحسن، كقول سيبويه : [3]

فاليوم أَشْرَبْ غير مُسْتَحْقِـــبٍ إثمًا من الله و لا وَاغِـــــلِ

يريد : أَشْرَبُ، فحذف الضمة.

ش- قطع ألف الوصل :

و هذا أيضا ليس بالحسن، كقطع همزة الوصل في " اثنين" في قول جميل :[4]

ألا لا أرى إِثنين أحسنَ شيمَـــةً على حدثان الدّهر منِّي و من جُمْلِ

(2) **الموشح**. ص 149.

(4) المصدر نفسه. ص 150.

ص- الحذف من القافية :

كقول الشاعر يُرِيد بابن المعل ابن المُعَلَّى: [1]

و قَبِيـلٌ من لُكَيْزِ شاهـــــــدٌ رهْطُ مَرْجُوم و رهطُ ابنِ المُعَـــلْ

ض- تخفيف المشدّد :

كقول الشاعر، و قد خفف الراء من " الشر"

دعوت قومي ودعوت معشَـــري حتّى إذا ما لم أجِد غيرَ الشّـــــرِ

كنت امرءًا من مالك بن جعفرِ[2]

و الملاحظ أنه ورد في **الموشح** تعقيبا على هذا المثال، قوله : " فحذف الياء من الشر"، وهذا ليس صوابا.

ط- التقديم و التأخير :

بحيث يوضع الكلام في غير موضعه نحو :[3]

صَدَدْتِ فأَطْوَلْتِ الصُّدود و قلّمـــا وِصال على طول الصدود يدومُ

يريد : و قلما يدوم وصال.

ظ- التصغير:

كقول امرئ القيس، و قد صغّر " فَوْق" فأصبحت " فُوَيْقَ" [4]

(1) (2) **الموشح**. ص 151.

(3) المصدر نفسه. ص 152.

(4) المصدر نفسه. ص 153.

ضليع إذا استدبرتَه سدّ فَرجـــــه بِضافٍ فُوَيْقَ الأرض ليس بأَعْزلِ

ع- غَدْو مكان غَد :

و قد جاء هذا في قول الشاعر: [1]

و ما الناس إلاّ كالديار و أهلِهـــا بها يوم حلُّوها و غَدْوًا بَلاقِـــع

غ- وضْع ليتي في موضع ليتَني :

كقول الشاعر: [2]

كمنية جابر إذ قال ليتِـــــــي أصادِفُه و أَفقِد بعضَ مالـــــي

ف- عمْ صباحا بدل " انْعَمْ صباحا :

في قول الشاعر: [3]

أتوا ناري فقلت منُون أنتـــم فقالوا : الجنّ قلت : عِمُوا ظَلاما

ق- الترخيـــم :

و قد رخم الشاعر في النداء فقال : و هو يريد يا مروان :[4]

يا مَرْوَ إن مطيتي محبويـــــة ترجو الحياء و رَبُّها لم ييـــأس

(1) الموشح. ص 153.

(2) (3) (4) المصدر نفسه. ص 154.

كما رخم الشاعر في غير النداء، كقول امرئ القيس :[1]

لَنِعْمَ الفتى تعشو إلى ضوء ناره طريفُ بنِ مالِ ليلة الجُوعِ و الخَصْرِ

يريد طريف بن مالك، فرخم في غير موضع النداء.

ك- وضع حرف لا تجري فيه الحركة مكان حرف متحرك :

كقول الشاعر :[2]

لها أشاريرُ من لحم تُـتَمِّـرُه من الثَّعَالِي و وَخْرٌ مِنْ أَرَانِيهـا

يريد الثعالب و أرانبها، فأبدل الياء من الباء.

ل- الكلكال بدل الكلكل :

كقول الشاعر :[3]

أقول إذْ خَرَّتْ على الكَلْكـال يا ناقتي ما جُلْتِ من مَجَـال

م- الدراهيم مكان الدراهم :

قال الشاعر :[4]

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفْيَ الدَّرَاهِيم تنقادُ الصَّيَـارِفِ

(1) (2) **الموشح**. ص 155.

(3) (4) المصدر نفسه. ص 151.

ن- اللذا بمعنى اللذان :

كقول الشاعر :[1]

أَبَنِي كُلَيْب إنَّ عمَّيَّ اللّـــــــذَا قتَلا الملوك و فكَّكا الأغـــلالا

ه- تخفيف ياء النسب :

" يجوز تخفيفها في القوافي، كما قالت امرأة تفخر بأخوالها من اليمن :

*** هَوْذَةُ خَالي و لقيطٌ و عَلِي ***

و لا يجوز تخفيفها في حشو الشعر، فذلك من باب اللحن، كما فعل أبو نواس في كلمة" المُزَنِي".[2]

فما ضرَّها ألاَّ تكون لجَـــــرْول و لا المُزَنِي كعبٍ ولا لزيـــاد

(1) **الموشح**. ص 209.

(2) المصدر نفسه. ص 414.

رابعا : المسائل النحوية

يشير كتاب **الموشح** لأبي عبيد الله **المرزباني**، إلى مجموعة من الملاحظات النقدية المتعلقة بالمسائل النحوية، فلا يجوز في مذهب النقاد و اللغويين أن يخطئ الشاعر في جانب النحو، لأن ذلك يعيب الشعر و الشاعر معا، وكون الكتاب ينتمي إلى القرن الرابع الهجري، فإن الأخطاء النحوية لم تكن كثيرة لقرب العصر و شعرائه من سلامة اللغة و أوج قوتها.

و من بين المسائل النحوية التي حوتها طيات كتاب **الموشح** الملاحظات التالية :

1- تقديم المكنى على الظاهر :

قال حسان بن ثابت يرثي مُطْعِم بن عديّ: [1]

فلو كان مجدٌ يُخْلِدُ اليوم واحـــدا من الناس أبْقَى مجدُه اليوم مُطْعِمَا

و وصف هذا البيت بأنه " رديء عند أهل العربية، وذلك أنه قدَّم المكنى على الظاهر، و مثله ربما جاز في الضرورة" [2].

2- عود الضمير على متأخر :

و من أمثلته ما قاله الشاعر: [3]

---

(1) (2) **الموشح**. ص 84.

(3) المصدر نفسه. ص 85.

جزى ربُّه عنِّي عديّ بن حاتم جزاء الكلاب العاويات و قد فعلْ

و إنما أجاز هذا لأن المُظْهَر يفسّر المُضْمر، و الصحيح أن يتقدم الظاهر على الضمير.

3- الزحام : تذكيره و تأنيثه :

و قد وردت هذه اللفظة في قول الفرزدق :[1]

تُريكَ نجومَ الليلِ و الشَّمسُ حيَّـةً زِحَامُ بناتِ الحارثِ بنِ عُبَـادِ

فنقده عنبسة بن معدان حين قال له : الزّحام مذكر، و الفعل تريك دال على التأنيث فهو عيب من الناحية النحوية، و قيل : الزحام له وجهان أحدهما أنه مصدر مثل الطِّعان و القتال و هذا مذكر، و ثانيهما أنه جمع " للزحمة و يراد بها الجماعة المزدحمة، فهذا مؤنث، و " قول عنبسة أقوى و أعرف في الكلام"[2].

4- جمع فاعل - نعتا - على فواعل :

و قد جمعه الفرزدق في البيت التالي على هذه الصيغة بقوله :[3]

و إذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خُضُعَ الرِّقاب نَوَاكِس الأبصار

" و في هذا البيت شيء يستظرفه النحويون، و هو أنهم لا يجمعون ما كان على فاعل، نعتا " فواعل "؛ لئلا يلتبس بالمؤنث"[4]، إلا استثناء حينما يَأْمَنُون عدم لالتباس، فيقولون فارس وفوارس، و لكن الفرزدق أجراه بهذه الصيغة للضرورة.

---

1) (2) **الموشح**. ص 166.

3) (4) المصدر نفسه. ص 167.

5- الندبة :

قال ابن قيس الرُّقَيَّات :[1]

تبكيكم أسماءُ مُعْوِلَةً و تقول ليلى وَا رَزِيئَتِيَهْ

وا رَزِيئَتِيَهْ، ندبة و قد لحن فيها، و " كان ينبغي أن يقول وا رَزِيئَتَاهْ، كما تقول: وا عَمَّاه، وا أُخَيَّاهْ " [2].

6- حذف الألف... و رفع المفعول به :

قال أعشى همدان : [3]

من دعا لي غُزَيِّلِي أَرْبَحَ اللهْ تِجارتُهْ

فقال الأصمعي : سبحان الله، يحذف الألف التي قبل الهاء في اسم الله عز و جل، و يسكن الهاء، و يرفع تجارته" [4] و هذا لا يجوز أبدا.

7- إدخال سوى لأجل الإعراب :

" قال الأصمعي: أخطأ أبو النجم في قوله:

*** كالشمس لم تعد سِوى ذُرُورها ***

أي لم تجاوز ذرورها، فأدخل سوى لأجل الإعراب".[5]

---

(1) (2) **الموشح**. ص 295.

(3) (4) المصدر نفسه. ص 301.

(5) المصدر نفسه. ص 336.

8- لم يسمع من الوجل و الغزل " فعلى " :

قال بشار بن برد :[1]

و الآن أقْصَرَ عن سُميَّة باطِـلي و أشـار بالْوَجَلَى عليَّ مُشير

و قال أيضا :

على الغَزَلَى منِّي السّلام فربّمـا لَهَوْتُ بها في ظلِّ مُخْضَرَّةٍ زَهْرِ

فعابه الأخفش و قال : " لم يسمع من الوجل و الغزل " فعلَى" و إنما قاسهما بشار، و ليس هذا مما يقاس، و إنما يعمل فيه بالسماع"[2].

9- لم يسمع بجمع " نون " على " نينان " :

و ذلك في قول بشار :

تلاعب نِـيـنَانَ البُحور و ربّما رأيت نفوس القوم من جَرْيِها تَجري

فعابه الأخفش" و قال : لم يسمع بنون و نينان"[3]، أي أنه أخطأ في الجمع، فالنون هو الحوت، و جمعه أنوان و نينان، وهذا ما ورد في لسان العرب، و ربما خفي على الأخفش هذا الجمع، فعابه.

10- نون الجمع و ضبطها :

قال أبو نواس :

كُمَيْتًا تَخَطَّاهَا الزّمان فقد أتـت سِنُونَ لها في دَنِّها و سِنـونُ

(1) (2) (3) الموشح. ص 385.

فقيل له : " لَحَنْتَ، فأجريت نون الجمع، و هي منصوبة " [1]

11- رد الضمير أولى من إعادة الاسم :

قال أبو سعد المخزومي: [2]

أشيب و لم أقض الشباب حقوقه و لم يمض من عهد الشباب قديم

فعيب عليه تكرار كلمة " الشباب" في البيت مرتين، و الأولى أن يقول في الشطر الثاني : " و لم يمض من عهد عليه قديم" و هو أفضل.

12- أبيات مضطربة الإعراب :

قال الشاعر : [3]

مـا عندنـا شـيء فنعطيـه و لا يفـي بالشُّكْر شُكريـه
فإن رضي بالشِّعر عن شِعـره عارضتُ في حُسن قـوافيـه
و إن يكـن تُقْنِـعُـه دعـوةٌ دعـوت ربِّـي أن يعافيـه
و إن رَضِي ميسورَ ما عنْدنـا أمـرتُ نُجْحَـا أنْ يُغَدِّيـه

فقال الصولي : " هذه الأبيات مضطربة الإعراب، في تركه فتح الفعل الماضي، و إنّ الحقَّ في جواب الجحد: " ما عندنا فنعطيَه"، و كذلك " أن يعافيَه" و " أن يغديَـه"[4]، فالفعل : فنعطيَه : مضارع منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية، والحركة واجبة الظهور و هي الفتحة.

---

(1) **الموشح**. ص 432.
(2) المصدر نفسه. ص 530.
(3) (4) المصدر نفسه. ص 534.

13-المضام و المضيم. و أضام و ضام :

قال الشاعر :

أَرِقْتُ و ما ليلُ المُضَام بدائمِ و قد ترقُد العينان و القلبُ ساهِرُ

" و الصواب المَضيم، لا يقال أَضمَتْه، و إنما يقال ضِمتُه".(1)

14-لا يدخل إعراب على إعراب :

قال الأخفش : " أخبرني المبرد، قال : أنشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه :

*** و قد مضت لي عشرونان ثِنتان ***

فقلت له : أيها الأمير : هذا لحن، لأن إعرابا لا يدخل على إعراب"(2)، فعشرون : فاعل مرفوع بالواو، و لا يصح أن تدخل عليه ألف التثنية التي هي للرفع أيضا، فهذا خطأ.

15-لا يدخل مع " ما ينفك و ما يزال" إلا :

قال عمرو بن العلاء : " أخطأ ذو الرمة في قوله :

حَراجِيجُ ما تنفك إلاَّ مُناخَـــــةً على الخَسْف أو نَرْمِي بِها بَلَدًا قَفْرَا

(1) **الموشح**. ص 544.

(2) المصدر نفسه. ص 545.

في إدخاله " إلاَّ" بعد قوله" ما تنفك" [1]، إذ لا يقال : مازال زيد إلاَّ قائما، و علل أحمد بن يحي ذلك بقوله : " لأن " ما " مع هذه الحروف خبَر و ليستْ بِـجَحْد" [2].

16- وضع الخبر مكان الاستفهام:

قال عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْـــــــرًا عددَ القَطْرِ و الحصى و التّـراب

فقال أبو عمرو بن العلاء : " كان ينبغي أن يقول: أتحبها؛ لأنه استفهام" [3]، و في رواية أخرى يلتمس له وجها آخر من الإعراب فيقول : " و له فيه عذر إن أراد الخبر لا الاستفهام، كأنه قال : أنت تحبها على جهة الإخبار"[4].

(1) (2) الموشح. ص 286.

(3) المصدر نفسه. ص 315.

(4) المصدر نفسه. ص 316.

خامسا : المسائل اللغوية

يحرص الأدباء و اللغويون على سلامة الشعر من اللحن و الأخطاء اللغوية، فينبهون إليها، و يعيبون على الشعراء إخلالهم بالجانب اللغوي، و يستعين النقاد باللغة المستمدة من تراث العرب، فيجعلونها مقياسا لتقويم الشعر، و كتاب الموشح يجمع العديد من الملاحظات النقدية اللغوية، و إن بدا بعضها بسيطا، و لكنهم كانوا لا يسمحون للشاعر أن يلحن، أو يتجاوز ما ألفته العرب من فصاحة و بلاغة.

و من أهم هذه الملاحظات ما يلي :

1- ترم و ترأم :

حين قال كُثير :[1]

لا أَنْزَرُ النَّائِلَ الخليـــــــلَ إذا ما اعتلّ نَزْرُ الظُّؤْرِ لَمْ تَـــــرَمِ

فقيل له : لَحنْت، في قولك " ترم" و إنما هو " ترأَم"، و رَئِمَت الناقةُ ولدَها رأمُه رأمًا، عطفت عليه و لزمته.

2- فلانة زوجة فلان قليل :

قال الأصمعي : " ما أقل ما تقول العرب الفصحاء : فلانة زوجة فلان؛ إنما ولون زوج فلان" [2]، و من هذا القليل قول ذي الرّمة : [3]

أَذَا زوْجةٍ بالمصرِ أم ذا خُصومة أراك لها بالبصرة العامَ ثاوِيَا

---

1) **الموشح**. ص 232.

2) (3) المصدر نفسه. ص 284.

3- لا يقال " أدمانة " :

قالوا : أخطأ ذو الرّمة حين يقول:

*** أُدْمَانَة قد تربّتها الأجاليد ***

لأنه يقال : آدم و أُدَمَاء و أُدْمٌ و أُدْمَان، و لا يقال أُدْمَانَة[1].

4- رعد و أرعد، و برق و أبرق :

و في قول الكميت :

أَرْعِدْ و أَبْرِقْ يا يزيـــــــــــــد فما وعيدك لي بضائرْ

فقال الأصمعي : " و أن أرعد" خطأ، و أنه لا يقال إلا " رعد و برق"، إذا أوعد و تهدد، وهو " يرعد و يبرق"، و كذلك يقال : رعدت السماء و برقت، و أرعدنا نحن و أبرقنا : إذا دخلنا في الرعد و البرق"[2].

5- صيم و صوم :

" سئل الأصمعي عن بيت العجّاج :

*** غير ثلاثٍ في المحلِّ صُيَّم ***

و أصله الواو، قال : حدثني عيسى بن عمر، قال: سألت رؤبة عن هذا، قال : تِيـــهَ به في الْمُتَيَّـــهِين؛ هو صُوَّم "[3].

---

1) **الموشح**. ص 290.

2) المصدر نفسه. ص 308.

3) المصدر نفسه. ص 341.

6- ليت أباك منطلقا :

من بعض بلاد العرب من ينصب خبر ليت "و هي لغة لهم"[1] كقول العجّاج:

*** يا ليت أيّـــامَ رواجِعَا ***

فنصب خبر ليت " رواجعا" عوض رفعه في اللغة الأشهر، و مثله: ليت أباك منطلقَا، و ليت زيدا قاعدًا.

7- دغية و دغوة :

قال عقبة بن رؤبة :

*** و دَغْيَةٍ من خَطِلٍ مُغْدَوْدِنِ ***

فقال الأصمعي: " و إنما هو دَغْوة، يقال : فلان ذو دغوات، أي سقطات"[2]، أي أخلاق رديئة.

8- الجزم كراهة لكثرة الحركات :

ماذا بمنْبِجَ لو تُنْبَشْ مقابرُهـــا من التّهدُّم بالمعروف و الكـــرَم

فقال قوم من النحويين أن الشاعر جزم " لو تنبشْ" لغير حاجة لغوية، وإنّما " كراهة لكثرة الحركات ".

" و لو قال : " نُبِشَتْ مقابرُها" استراح من " تنبشْ" و كان كلاما فصيحا "[3].

---

(1) الموشح. ص 340.

(2) المصدر نفسه. ص 342.

(3) المصدر نفسه. ص 351.

9- تسكين واو "هو" :

قال ابن مطير :

*** أَوْدَى فلا يُثْـنَى و لا هُوْ آيِبُ ***

فسكّن " هوْ "؛ وحقّها التّحريك، و هي لغة [1].

10- العـرواء:

قال زهير :

فبِتْنا عُراةً عند رأسِ جوادِنـــا يُزَاوِلُنا عن نفسه و نزاولـــه

فقال مروان بن أبي حفصة وهو في حلقة يونس عن كلمة " عراة " : من " العُرَواء" من البرد، فقال له الأصمعي : " أخطأت، لوكانت من " العرواء " لقال : لبتنا مَعْرُورِين؛ إنّما عني أنهم باتوا مشمّرين كما يقال: تجرد فلان للأمر".[2]

11- يسوى ويساوى:

قال أبو العتاهية :[3]

و لربّما سئل البخـــيـــــــــ ـــــلُ الشّيءَ ولا يَسْوَى فتيلا

و هذا خطأ، و " الصواب لا يساوي، لأنه من ساواه يساويه"[4].

---

(1) **الموشح**. ص 360.

(2) المصدر نفسه. ص 391.

(3) (4) المصدر نفسه. ص 405.

12- فريت و أفريت :

أخطأ أبو نواس في قوله :

*** اهْجُ نِـزارا و أَفْـرِ جِلْـدَتها ***

إذ " زعم الأصمعي أنه يقول في الفساد: فَرَيْتُ ، و في الإصلاح : أَفْرَيْت. و كان يقول: فَرَيت أوداجه، و غيره يقول في الخير و الشر جميعا : فريت و" أفريت "[1].

13- شنف و شنف :

و أخطأ أبو نواس في قوله أيضا :[2]

***حتى عقدن بإذنـــه شُنُفَـا ***

" إنما هو شَنْف، و هذا لا يجوز من جهات "[3].

14- قطا و قطا :

وعابوا على أبي نواس قوله :[4]

*** أَسرعُ من قـــول قَـطَاةٍ قَـطَّا ***

و كان ينبغي أن يقول " قَطَا " بالتخفيف، لا " قطّا"

---

(1) **الموشح**. ص 418.

(2) (3) المصدر نفسه. ص 420.

(4) المصدر نفسه. ص 422.

15- الممادح و المدائح :

قال الشاعر :

فتَّ المَمَادح إلا أن ألسننـــــا مستنطقات بما تخفِي الضَّمائير

" الممادح" و المدائح أحسن منها و أخف على السمع، و أشبه بألفاظ الحذاق و المطبوعين"[1].

16- مستنطقات و نواطق :

في نفس البيت السابق : " مستنطقات"؛ و نواطق أحسن و أطبع"[2].

17- كلمة الضمائير غير مستعذبة :

و من نفس البيت السابق : " الضمائير" أثقل لفظة لو وقعت في البحر لكدرته، و هي صحيحة،و لكنها غير مألوفة، و لا مستعذبة "[3].

18- القنوع و القناعة :

قال الشاعر: [4]

و لو قنِعت أتاني الرِّزق في دعة إنَّ القُنوع الغِنى لا كثرة المـال

و قد أخطأ في كلمة " القنوع "، لأن القُنوع إنما السؤال، و القانِع السَّائل، يقال: قَنَع يقنَع قُنوعا؛ إذا سأل، و إذا رضي قيل: قَنِع يقْنَع قنَاعة.

(1) (2) الموشح. ص 45.
(3) المصدر نفسه. ص 451.
(4) المصدر نفسه. ص 457.

19- الآجال ومفردها:

قال أبو تمام : [1]

و مها من مها الخدور و آجـــا لُ ظباء يُسـرِعْنَ في الآجـال

فأخطأ أبو تمام في لفظة " آجال"، " لأن الآجال جمع إجْل و هو القطيع من البقر، يقال : سِرْب من قطا، و سرب من نساء، و سرب من ظباء"[2].

فنسبة الآجال للظباء خطأ لغوي، لا تجيزه لغة العرب.

20- البصرة مكان البصره:

قال الشاعر :[3]

رأيت منظرا عجبـــــــــا غذاة النَّحْر بالبَصـــــــرَهْ

فأخطأ في قوله " البَصِره " والصّواب هو : البصْرة.

(1) (2) الموشح. ص 505.

(3) المصدر نفسه. ص 528.

خاتمة

خاتمة

ممّا لا شكّ فيه أنّ كتاب " **الموشّح** " في مآخذ العلماء على الشّعراء لأبي عبيد الله **المرزُباني**، من بين أهم مصادر الأدب و النقد، و الذي يدعونا إلى هذا التقدير لمنزلة الكتاب، أننا لا نكاد نعثر على كتاب يتناول الأدب العربيّ القديم دراسة أو تأريخا، و بالأخصّ نقد الشعر منه، إلاّ و يستقي من نبعه الغزير، و يذيّل قائمة مصادره و مراجعه باسمه.

و رغم أهمية هذا الكتاب و فضل صاحبه، فإنّه لم يلق – في حدود ما أعلم– اهتماما كبيراً من الدّارسين، و بالتالي فمن العسير إيجاد دراسة تفصيلية لأهم موضوعاته و ملاحظاته النقدية و غير النقدية ممّا اشتمل عليه الكتاب، و هذا ما دعاني للبحث في هذا الجانب منه، خدمةً لتراثنا الأدبي و العلميّ، و إنصافاً لصاحبه الذي لم يدّخر جهداً في سبيل الحفاظ على الشّعر العربي الرّصين، من اللّحن و الضّعف.

و الكتاب بمادته الغزيرة، و مضمونه المتنوّع، و تبويبه الجيّد، ينبئ عن مؤلف متميّز، ذي عزيمة قويّة و إرادة فولاذيّة، و تبصّر و صبر و كرم و موضوعية ... و هي صفات قلّما تجتمع في شخص واحد. و لكنّ من عرفوه عن قرب، شهدوا له بذلك و يؤكّدها كتابه **الموشّح**.

و من أهمّ الملاحظات التي تلفت الانتباه، حسن تصنيف الكتاب و تبويبه، حتّى عدوا صاحبه من محاسن الدنيا، و رغم ما شاب الكتاب من نقائص بمنظار اليوم، فهو خطوة عملاقة على طريق التّأليف و التصنيف، بالنظر إلى عصر الكاتب.

أما كثرة الروايات و تنوّعها، و ضبط أسانيدها مهما صغُر شأن الخبر المنقول، فهي دليل على دقّة في العمل، و بعد عن الأحكام المطلقة و الادعاءات. فكلّ خبر له صاحبه الذي يتحمّل مسؤوليته، و منه يأخذ قيمة حكمه.

و قراءة " **الموشّح** " بإمعان تسفر عن أمّة تقدّر اللسان المبين، فتسعى دوماً إلى ثِقافه حتى يغدو سهماً لا اعوجاج فيه، يصيب هدفه متى أراد، كما يُنْبِئ عن روح الإنسان العربي الذي اهتم بالشعر و جعله ديوانا له، فراعى لغته و أسلوبه و معانيه و أوزانه، و لم يغفل مقام المتلقّي و أذواق المستمعين، فوظّف إحساسه المرهف و ذوقه السليم لمتابعة الهفوات و الزّلاّت، و دقّق في كل خطأ مهما كان طفيفاً فنبّه إليه، و كشف عيبه، و دعا إلى يقظة الشاعر و شعوره بالمسؤولية و هو يحمل إرث أمّته.

فالمرزبانيّ من خلال هذا الكتاب، الذي جمع هذا الكمّ الهائل من الأخبار و الملاحظات حول الشعر و الشعراء، يكون قد أسهم في خدمة الأدب و الشُعر و توجيه الشعراء و أذواق الجماهير، بما رواه من آراء و نقد، و لم يعبه أنّه لم يقدّم نظريّة خاصّة به في نقد الشعر و الشعراء، ذلك أنّ جمع آراء الآخرين و نظرياتهم يعدّ إحاطة تفوق النظريّة الواحدة، خاصّة أن **الموشّح** يجمع أحكاماً نقدية منذ العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، و هي فترة ازدهار الشعر العربي و نقده.

و من مميزات الكتاب أيضاً أنّه لا يقف دوماً عند ذكر العيوب بل يتبعها بالبدائل الممكنة، و يصحّح الأخطاء، و يضرب الأمثلة لما قيل من صواب فأجاد فيه أصحابه، حتّى يبتعد الشعراء عن هذا الخطأ أو ما يشبهه، و يعرف القارئ خلله و عيبه. و هذا النوع من النقد المرفق بالبدائل هو ما نسميه اليوم بالنقد البنّاء، لأنّ صاحب الحكم لا يكتفي بذكر العيوب، و تلك مهمّة يسيرة على كلّ من أراد، بل نجده يرشد إلى الصّواب و يوجه إليه، و يمثّل له غالبا.

و رغم أنّ " **الموشّح** " يجمع أخبار الآخرين في عيوب الشعر و الشعراء، فإنّنا نجد فيه مواطن الجودة و الإحسان، و خاصّة في حقل الموازنات بين الأشعار و الشعراء، مماّ أضفى على الكتاب صبغة الموضوعية و الاعتدال، فكما أنّ للشاعر هفواته فإنّ له حسناته.

و في " **الموشّح** " مزيّة أخرى تزيد الكتاب فضلاً، و تلك هي الأمانة العلمية التي نجدها في منهجية عرض الكتاب و مضمونه، إذ لا نكاد نعثر على خبر في نقد الشعر أو الشعراء إلاّ منسوباً إلى قائله أو مصدره، إقرارًا للحقّ، و ردّ الأمور إلى أصحابها، و بالتالي فالكتاب ليس معنيًا بتحمّل مسؤوليتها و لا ادّعاء ما ليس له، طلبًا للشهرة و المجد.

و حين نقرأ كتاب " **الموشّح** " نجد أنّ كثيرًا من أخباره و موضوعاته و ملاحظاته النقدية مألوفًا لدينا و سبق أن قرأناه في غير هذا المصدر، و هذا لا يعيبه في شيء، لأنّ ما نجده فيما قرأناه في كتب أخرى مفرّقا غير مجموع، و " **الموشّح** " يجمع هذه الأخبار في تبويب محكم قلّما نعثر على مثله. فلو " أردت أن تظفر بمجموعة ما قاله النقاد القدماء عن الأخطل أو جرير مثلاً لما استطعت أن تجدها منظمة على نحو ما تجدها في هذا الكتاب".[1] و لا يخفى علينا ما لهذه المزية من توفير للجهد و الوقت، و تعميم للفائدة و حفظ للتراث.

و لا يتوجّه الكتاب لطبقة من الناس دون أخرى، كونه ينتمي إلى عصور قديمة بعيدة عنّا شأنه شأن كثير من المصادر التي يعسر فهمها، لوعورة لغتها وتعقّد أساليب أصحابها، و من ثمّ فهي للخاصّة من ذوي الاقتدار و العلم. فعلى نقيض ذلك يأتي كتاب " **الموشّح** " ميسور اللغة، واضح الفكرة غالبًا، و هذا ما عبّر عنه صاحبه حين قال : " و أودعتُ هذا الكتاب ما سهلَ وجوده، و أمكن جمعُه، و قَرُبَ مُتَناوَلُه ".[2]

---

(1) مبارك، زكي. النثر الفني في القرن الرابع. ص150.

(2) **الموشح**. ص 1.

ثمّ إنّه لا يكتفي باختيار الروايات الأوضح، بل كثيرًا ما يلجأ إلى شرح المفردات الغامضة، و تقريب المعاني، و تأويل بعض المفاهيم، حتّى لا يجد القارئ عنتًا و هو يقرأ ما ورد في الكتاب من مآخذ من عصورٍ بعيدةٍ عنّا.

و كتاب " **الموشّح** " يجمع عصارة فكر نقديّ يمتدّ عبر قرون، و من ثمّ تنوّعت مراتب النقد فيه، واختلفت مستوياته، حسب خصائص كلّ عصر، و بالتالي فالقارئ و الباحث يجد فيه مُبتَغاه و مستوى النقد الذي يريده، بدءًا من الإشارات العابرة إلى الحكم النقديّ العميق الذي يدعو إلى التّأمّل و إعمال الفكر.

و الملاحظات النقديّة في الكتاب تتنوّع أيضًا من حيث العلم الذي وقع فيه الخطأ، فمنها ما هو من النّقد الصّرف، و منها ما يتعلّق بعلومٍ أخرى كالبلاغة و العروض و النحو و اللغة، و هي معارف و أدوات من الضروريّ أن يمتلكها الناقد المقتدر، حتّى يحيط بما ينقده علمًا و فهما و تقديرًا. ذلك أنّ الشعر لا ينظر إليه من زاوية واحدة، بل ينظر إليه من نواحٍ مختلفة تتطلّب الإلمام بهذه العلوم و المعارف و الآليات.

و إذا كان عنوان الكتاب : " **الموشّح** في مآخذ العلماء على الشعراء" فإنّ ذلك لا يعني أنّ الكاتب اكتفى بعمليّة الجمع و وقف عندها، فإن صاحبه كثيرا ما أظهر شخصيّته و صرّح برأيه و مذهبه في النقد ، ممّا زاد الكتاب أهمّية أكبر.

و إذا كان للموشّح كلّ هذه المزايا و الفوائد، فهو أيضًا لا يخلو من بعض النقائص و الهفوات، فهو قد كرّر بعض الموضوعات و القضايا النقديّة دونما حاجة ماسّة إلى ذلك، و ذكر بعض الأخبار المعادة في أكثر من موضع. كما أنّه لم يتحرّ التناسب في المادة المجموعة حول عيوب الشعراء رغم توفّرها، إذ يفرد شاعرا بصفحات كثيرة من المآخذ و الأخبار، و يذكر آخر بخبرٍ واحد، و يهمل البعض الآخر تماما، شأنه في ذلك شأن ابن قتيبة في "الشعر والشعراء".

و خلاصة القول أنّ كتاب " **الموشّح** " يكتسي أهمية بالغة في تاريخ الأدب العربي، و خصوصًا نقد الشّعر والشّعراء، و دراسة كالتي قمت بها لا يمكن أن تحيط بالكتاب من كل جوانبه، خاصّة أنّني تناولت زاوية محدّدة منه كما هي مبينة في عنوان البحث، و يبقى الباب مفتوحًا لتناول هذا الصّرح الأدبي العظيم من طاقات أخرى علّها تكشف ما بداخله من درر كامنة، لذا فلا يسعني إلاّ أن أهيب بأصحاب العزائم و الهمم بالبحث في هذا الكتاب خدمة للتراث و الأجيال.

و إنّي لأرجو أن أكون قد وفّقت في إزاحة بعض الغموض عن الكتاب و ساهمت في تقديمه بصورة لائقة بمقامه، و الله المستعان، والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع

القرآن الكريم : برواية ورش.

1- **إبراهيم، طه أحمد.** تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري.د ط. بيروت : دار الحكمة.د تا.

2- **ابن الأثير الجزري، عزّ الدّين.** اللباب في تهذيب الأنساب. د ط. بيروت:دار صادر، 1400 هـ- 1980م.

3- **الأصبهاني، أبوالفرج علي بن الحسين.** الأغاني. د ط. تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج. القاهرة : دار الكتب المصرية، 1962م.

4- **الأصمعي، عبد الملك بن قريب.** فحولة الشعراء. تحقيق تشارلس توري. بيروت : دار الكتاب الجديد، 1971م.

5- **بروكلمان، كارل.** تاريخ الأدب العربي. ط3. ترجمة عبد الحليم النجار. ط3. القاهرة : دار المعارف بمصر، 1974م.

6- **ابن جعفر، قدامة.** نقد الشعر. د ط.تحقيق عبد المنعم خفاجي. بيروت : دار الكتب العلمية. دتا.

7- **الجمحي، أبو عبد الله بن سلاّم.** طبقات فحول الشعراء. ط1. تقديم وشرح محمود الربداوي. دمشق : مكتبة دار الفتح، 1968م.

8- **الجمحي، أبو عبد الله بن سلاّم.** طبقات فحول الشعراء. دط. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة : دار المعارف بمصر، 1952م.

9- **الحموي، ياقوت شهاب الدين.** معجم الأدباء. الطبعة الأخيرة. بيروت : دار إحياء التراث العربي. دتا.

10- **الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي.** تاريخ بغداد. ط1. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت : دار الكتب العلمية، 1997م.

11- **ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد.** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. د ط. تحقيق إحسان عباس. بيروت : دار صادر، 1398هـ-1978م.

12- **الذهبي، محمد بن أحمد.** الإعلام بوفيات الأعلام. ط1. تحقيق مصطفى بن علي عوض و ربيع أبو بكر عبد الباقي. بيروت: دار الكتب الثقافية، 1993م.

13- **الرّبداوي، محمود.** المتخير من كتب النقد العربي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1401هـ-1981م.

14- **ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن.** العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده. ط3. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مصر : مطبعة السعادة، 1963م.

15- **سلاّم، زغلول.** تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري. دط. القاهرة : دار المعارف بمصر. دتا.

16- **ابن سلامة، الرّبعي.** الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي. دط. قسنطينة : منشورات جامعة منتوري، 2000م.

17- **ضيف، شوقي.** النقد. ط3. القاهرة : دار المعارف بمصر. 1974م.

18- **ضيف، شوقي.** الفن ومذاهبه في الشعر العربي. ط6. القاهرة : دار المعارف بمصر. دتا.

19- **طبانة، بدوي.** قدامة بن جعفر و النقد الأدبي. ط3. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1969م.

20- **ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد.** عيار الشعر. دط. تحقيق طه الحاجري و محمد زغلول سلام. القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى، 1956م.

21- **عامر، فخرالدين.** مصادر التراث في كتب التراجم الأدبية. ط1. القاهرة : عالم الكتب، 2000م.

22- **عامر، فخرالدين.** أسس النقد الأدبي في عيار الشعر. ط1. القاهرة : عالم الكتب، 2000م.

23- **عباس، إحسان.** تاريخ النقد الأدبي عتد العرب. (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري). ط5. بيروت : دار الثقافة، 1406هـ- 1986م.

24- **عتيق، عبد العزيز.** تاريخ النقد الأدبي عند العرب. د ط.بيروت: دار النهضة العربية. دتا.

25- **ابن العماد الحنبلي،** أبو الفلاح عبد الحيّ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. د ط. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي. بيروت: دار الآفاق الجديدة. دتا.

26- **غربال، محمد شفيق.** الموسوعة العربية الميسرة.صورة طبق الأصل من طبعة 1965م.بيروت: دار إحياء التراث العربي.

27- **الفاخوري، حنّا.** تاريخ الأدب العربي. ط9. بيروت: المكتبة البوليسية، 1978م.

28- **الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب.** القاموس المحيط. بيروت: دار الفكر، 1403هـ- 1983م.

29- **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم.** الشعر و الشعراء. مراجعة محمد يوسف نجم و إحسان عباس. بيروت : دار الثقافة، 1964م.

30- **القفطي، جمال الدين.** انباه الرواة على أنباه النحاة. ط1. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي. و بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1406هـ- 1986م.

31- **مبارك، زكي.** النثر الفني في القرن الرابع الهجري. د ط. بيروت : دار الجيل. د تا.

32- **المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران.** الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء. د ط. تحقيق علي محمد البجاوي. مصر : دار نهضة مصر، 1965م.

33- **المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران.** معجم شعراء العرب. ط1. صححه و علق عليه د. فونيز كرنكو. بيروت : دار الجيل، 1411هـ - 1991م.

34- **ابن المعتز، أبو العباس عبد الله.** كتاب البديع. ط2. نشر أغناتيوس كراتشقوفسكي. بيروت : دار المسيرة، 1982م.

35- **موافي، عثمان.** دراسات في النقد العربي. د ط. مصر، الإسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، 2004م.

36- **مندور، محمد.** النقد المنهجي عند العرب. د ط. الفجالة، القاهرة : دار نهضة مصر، 1972م.

37- **ابن النديم، محمد بن إسحاق.** الفهرست. ط1. تحقيق ناهد عباس عثمان. الدوحة، قطر : دار قطري بن الفجاءة، 1985م.

38- **هدارة، محمد مصطفى.** مشكلة السرقات في الأدب العربي- دراسة تحليلية مقارنة. ط2. بيروت : المكتب الإسلامي، 1401هـ- 1981م.

39- **ويس، عمّار.** مقاييس النقد عند ابن سلاّم. رسالة ماجستير في الأدب القديم. جامعة قسنطينة، 1981م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة

مقدمة ..... أ

مدخـــــــل

أوّلاً : ترجمة المؤلّف

1- من هو المرزُباني 2
2- نشأته 4
3- مكانته و فضله 4
4- شيوخه و تلاميذه 8
5- كتبه 10
6- وفاته 17

ثانيًا : لمحة عن الحياة الأدبية و النشاط النقدي في عصره

1- الحياة الأدبية 19
2- النشاط النقدي 23

الفصل الأول

الجهود النقدية السابقة لكتاب "الموشح"

أولا : النقد قبل مرحلة التأليف

1- النقد في العصر الجاهلي 29
2- النقد في صدر الإسلام 35

3- النقد في عصر بني أميّة 42

ثانيًا : التآليف النقدية في العصر العباسي

1- فحولة الشعراء للأصمعي 57
2- طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم 61
3- الشعر و الشعراء لابن قتيبة 66
4- قواعد الشعر لأبي العباس ثعلب 71
5- كتاب البديع لابن المعتز 74
6- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي 78
7- نقد الشعر لقدامة بن جعفر 88

الفصل الثاني

منهج تأليف الكتاب و موضوعاته

1- تسمية الكتاب 98
2- نُسَخُه و طبعاته 101
3- مصادر الكتاب 102
4- سبب تأليف الكتاب 106
5- طريقة تأليف الكتاب 107
6- منزع الكتاب 121
7- موضوعات الكتاب 135
8- مستويات النقد في الموشّح 162

الفصل الثالث

تصنيف الملاحظات النقدية الواردة في الموشّح

أوّلاً : المسائل النقدية 170
ثانيا : المسائل البلاغية 215
ثالثا : المسائل العروضية 219
رابعا : المسائل النحوية 235
خامسا : المسائل اللغوية 242

خاتمة 250
قائمة المصادر و المراجع 256
فهرس الموضوعات 261

ملخّص البحث

موضوع البحث الذي أتقـدّم به لنيل درجـة الماجستيـر، اختصـاص أدب عربي قـديـم ، عنوانـه : " **الموشّح في مآخذ العلـماء على الشعـراء " لعبيـد اللـه المرزُباني، دراسة تصنيفية موضوعاتية.**

و الكتـاب ينتمي إلى القـرن الرابـع الهجري؛ إذ أنّ مؤلّفـه توفي سنة 384هـ، و"**الموشح**" كتاب في نقد الشّعر، رصد فيه صاحبه ما عاب به العارفون بالشعر– بمختلف فئاتهم – الشعراءَ من العصر الجاهلي إلى العصر العبّاسي.

و عملي فيه أنني قسّمته إلى مدخل وثلاثـة فصول؛ وتضمـّن المدخـل التعريف بالكاتب من جهات مختلفـة، قدر ما أسعفتنـا به المصادر، كما تضمّن لمحة عن الحيـاة الأدبية والنقدية في عصر المرزُباني، أمّا الفصل الأوّل فجعلته للاطّلاع على أهـم الجهود النقدية السّابقة لكتاب الموشّح، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، حتّى يمكن تقدير ما قدّمه الكاتب من جهد إضافي في مجال العلـم والمعرفـة. و خصّصت الفصل الثاني للتعريف بالكتـاب، و منهـج تأليفه و موضوعاته. أمّا الفصل الثالـث فكان عبارة عن دراسـة تطبيقية عن الكتاب، فحواها : تصنيف الملاحظات النقدية الواردة في الموشح. وقسّمتها إلى مجموعـة من المسائل بحسب نوع العلم أو الفنّ الذي تنتمي إليـه، إمّا نقديـة أو بلاغية أو عَروضية أو نحوية أو لغوية .

و أنهيته بخاتمة أشرت فيها إلى أهمّ نتائج الدّراسة التي قمت بها؛ و من جملتها أنّ كتاب "**الموشّح**" صَرْحٌ أدبيّ و نقديّ، أسهم في جمع التراث العربي و خاصّة في مجال نقد الشعر، فجمع كثيراً من الأخبار التاريخية والملاحظات النقديـة المتفرقة القيّمة، و أبـدى المؤلّف مواقفه الخاصّة التي تدلّ في كثير من الأحيان عن خبرة و دراية و ذوق.

و ما يميّز الكتاب إحاطته بأغلب جوانب نقد الشعر التي عُرِفت منذ العصر الجاهلي إلى زمانـه، و غـزارة المـادّة النقديّـة فيه، إضافـة إلى حسن تنظيمه و تبويبـه، بالنظر إلى عصره، و تفرّده بأخبار لا توجد في غيره من الكتب.

SUMMARY

For a research to obtain a Master's Degree in Classical Arab Literature, I propose a classifying and thematic study entitled : "The Mouachah, or the intellectuals blames towards the poets."

The so-concerned book goes back to the 4th century of the Hegira whose author died in 384 of the Hegira .It's a book of poetry criticism in which the author surveys most of the faults that characterised the Arab poetry from the Djahilia period of the Abbasid one and had transmitted his blames to the poetry specialists of that time.

First, the introduction of my work consists in introducing all the aspects of the book and the literary life of the epoch in which the author lived. Then, in the 1st part, I show the contribution of the author to the literary criticism, in the 2nd part, the method of the elaboration of the book and its theme, and finally, in the 3rd part, the survey of all the critical remarks found in the book and their classification according to the art and discipline to which they belong: poetical, metrical, syntactic or linguistic.

In the conclusion, I want to emphasize all the value and all the specific contribution of the book. In fact we are in front of a literary monument and a literary criticism.

Thanks to that author, we have benefited of important data concerning literary history and history simply in addition to a rich and various criticism in which we feel the author's experience, his great knowledge and his refined taste.

Last but not least, let's say that the so-concerned book is outstanding as far as literary criticism in poetry is concerned and is also original in its internal organisation in its epoch .Its method; its richness and its harshness remain unique.

RESUME

Dans le cadre d'une recherche pour l'obtention d'un magister en lettres arabes classiques nous proposons ici une étude classificatoire et thématisante intitulée : " Le Mouachah ou les griefs des érudits à l'endroit des poètes ".

L'ouvrage en question remonte au 4ème siècle de l'hégire, son auteur étant décédé en 384 de l'hégire. C'est un ouvrage de critique de la poésie où l'auteur à fait l'inventaire de la plupart des anomalies qui ont caractérisé la poésie arabe de la période Djahilienne à la période Abbasside, et a adressé ses griefs aux spécialistes de la poésie de l'époque.

Mon travail a consisté d'abord, dans l'introduction, à faire connaître tous les aspects du livre et de la vie littéraire de l'époque dans laquelle a évolué l'auteur, ensuite à mettre en relief ,dans une 1ere partie, l'apport de l'auteur à l'édifice de la critique littéraire, dans la 2ème partie, le mode de l'élaboration de l'ouvrage et sa thématique, et dans la 3eme partie, l'inventaire de toutes les remarques critiques disséminées dans l'ouvrage, puis leur classement en fonction de l'art ou la discipline auquel ou à laquelle elles appartiennent : poétiques, métriques, syntaxiques ou langagières.

Enfin, dans la conclusion, nous avons voulu indiquer toute la valeur et tout l'apport spécifique de cet ouvrage. En effet et c'est le cas de le dire; nous sommes en face d'un monument littéraire et de critique littéraire sans commune mesure.

Grâce à cet auteur, nous avons là une banque de données importante en matière d'histoire littéraire et d'histoire tout court, en plus d'une critique riche et variée où l'on sent toute l'expérience de l'auteur, sa grande érudition et son goût raffiné.

Un dernier mot encore : disons que l'ouvrage en question est éminemment important du point de vue critique littéraire. Ce livre est également original de part son organisation durant son époque. Sa méthode, sa richesse et sa rigueur demeurent uniques en leur genre.